الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2–

كلية الآداب واللّغات

قسم اللُّغة والأدب العربي

أطروحـــــــــــــــــــــــــــــة

مقدمة لنيل شهـــــــــادة

الدكتوراه

التخصص: **لغات التخصص**

إعداد الطالبة : **بوكوبة آسية**

–لُغة الخطاب الدينيّ في كتاب الاعتصام للشاطبي (ت790هـ)–دراسة لسانية

المشرف: أ. د: كمال قادري

المركز الجامعي –بريكة–

أعضاء اللجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
أ.د.صلاح الدين زرال	أستاذ	جامعة سطيف 2	رئيسا
أ.د.كمال قادري	أستاذ	المركز الجامعي –بريكة–	مشرفا و مقررا
أ.د خالد هدنة	أستاذ	جامعة سطيف 2	ممتحنا
أ.د.جمال كويحل	أستاذ	جامعة سطيف 2	ممتحنا
أ.د.عز الدين صحراوي	أستاذ	جامعة باتنة 1	ممتحنا
د.عبد الغني بن أحمد	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي –بريكة–	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443–1444هـ/2021–2022م

أطروحة

الدكتوراه

*فاتحة كل خير

وتمامُ كلِ نعمة *

*إهداء

-أقـــــــــــدمُ ثمرة هذا الجهد :

*إلى شمس نهـــــــــاري وضيائي وقمر ليلي ، إلى أمي و أبي وإخوتي نور حياتي وعلى ما قدموهُ لي من عونٍ ودعـــــــــاء.

*إلى الّذين علمونـــــي أصول الكتابة ، وحبّبُوني لُغة الضاد ، وزرعُوا في قلبي حُب اللّغة العربيّة الجميلة ، إلى أساتذتي كافةً.

*إلى أصدقائي وكُل أحبتي ، وكل من سهى عن ذكرهـــــــم لساني .

*شكر وتقدير

- أتقدمُ بخالص الشُكر والعِرفان لكُل من ساندني وقدمَ لي الدعمَ خلاّل هذه الرحلة التعليمية، فشُكرًا للهِ أولاً على إعانتي بإتمام هذا العمل منذُ أن كان فكرة في الذهن إلى أن صارَ على الشكل الّذي هو عليه الآن، راجيةً منهُ أن يتقبل مني هذا العمل. وأن يتجاوز عني كل تقصير أو خلل ، ثم لوالدّيَ الكريمين على رعايتهما وحرصهما على وصُولِي لمثلِ هذه المرحلة العلمية ومُباركة ذلك بالرضا والدُعاء .

قال تعالى:﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَاهُ﴾ (الأحقاف/15) ، وقال أيضا :﴿لإن شكرتُم لأزيدنَكُم﴾(إبراهيم /7)

- وعملاً بقوله (ص) :"من لم يشكُر النّاس لم يشكر الله "

-فالحمدُ للهِ القادرِ المُقتدر الملك القدُوس حمدًا كثيرًا الّذي سدّدَ خُطاناَ ووفقنَا لِمَا فيهِ الخير ورزقنا العزم والإرادة والصبر لإنجاز هذا العمل المتواضع.

-كما نتقدمُ بالشُكر والعِرفان لكُل أستاذ مُحترم وزميلٍ عزيز ساهمَ من قريبٍ أو بعيد في إخراجِ هذهِ الثمرة إلى حيّزِ الوجُود ، وإثرائهِ بالأفكار والآراء والتوجيهات والنِقاشات لتعميقِ تصوُراتهِ ، وبلورةِ أفكارهِ وتوضيحِ غوَامضهِ ، وفي مُقدمتهم الأستاذ المشرف: "د/ كمال قادري"، الّذي لم يبخل بمعلوماتهِ وتوجيهاتهِ خلاّل مسيرتنا في البحث، وأتوجهُ بالشكر الجزيل أيضا للدكاترة المُكونين للجنة المُناقشَة ،والّذين وافقُوا على مُراجعتها وإثرائها بتدخُلاَتهِمْ ومُلاحظَاتهِم القيِّمة .

*مقدمة:

إنّ الخطاب الديني من أهم القضايا الّتي بدأ الاشتغالُ عليها، نظرًا لِمَا لهُ من دورٍ في تشَكُل الوعي الفردي والجماعي، وكونَهُ شكلاً من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي وكذا الحضاري، فصارَ موضوعًا للباحث والسياسي، والإعلامي ، وهو الخطاب المقترن بالحكمة والّذي يستنِدُ إلى مصادر التشريع الإسلامي ؛ وهي القرآن الكريم والسُنّة النبويّة ومصادر التشريع الإسلامية الأخرى ، ويتميزُ الخطاب الديني الأصيل بالتجديد ضمن إطار عقيدة الإسلام وشريعتهِ ، والتجديدُ يكمنُ في أسلوب الدعوة لا في مُحتواها وثوابتها ، كما يسعى الخطاب الديني لنشرِ الدين الإسلامي عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا ومُعاملات لغايات تعليم النّاس كل ما هو نافع لهم في الدُنيا والآخرة ، وبذل المجهودات في سبيل خدمة هذا الدين امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر الرسول –صلى الله عليه وسلم –.

فقد مثل الخطابُ الإسلامي بُؤرة ذلك الاهتمام في الخطاب الديني، لامتلاكهِ أهمية بالغة في ظلِ التحوُلات العالمية الراهنة، ولا يخفى علينا أيضا ما للخطابِ من تأثيرٍ بالغ الأهمية على جُمهور المخاطبين ، وما لذلك من آثارٍ تنعكِسُ من ورائهِ ، ولا وجُودَ لشيءٍ يحفَظُ المجتمع أو انحِرافهُ إلاّ نوعُ الخطاب المُوجه إليه والخطاب الدّيني ؛ هو واحِدٌ من هذا النوع الّذي يُنتظَرُ منه تأدية دور فعّال في هذا الاتجاه ، وبالتالي الأُمة الحيَّة والتيارات المسلمة الّتي يُضَخُّ فيها الخطاب المُسَايِرْ لعصرها والمُحَافِظْ على عروبتها يكون خيرُ دافعٍ لرُقيّها وحصانتها ، والتجديدُ في الخطاب يعني مُراعاة مُقتضيات المرحلة والفئة المُخاطبَة ، مع الحفاظ على أصالة الفكر وجوهرهِ ، وما انتهى إليه السابقون والمعاصرون من أعلامنا ، إذْ نحنُ بحاجَةٍ فعلا إلى تجديد الخطاب الديني ، لكنهُ تجديد موضوعي الّذي يستجيبُ لمُتطلبات العصر ويُجِيبُ عن الأسئلة والإشكالات المُستجدَّة ويعملُ على تحديث المفاهيم والأفكار ، لا أن يكون أداة هدم للفكر الإسلامي وبعض مدارسهِ ؛استجابةً لضغُوطٍ غربية أو لصراعات سياسية .

والخطابُ أيضا هو مُجمل ما يصلُنَا من أفكارٍ أو تصَوُرّاتٍ بشكلٍ من أشكالِ التعبير اللُّغوي ، مسموعًا أو مكتوبًا ، وبكُلِّ وسائل التواصل التقليديّة " أوالمُستحدثة" ، سواءً كُنّا نتلقّاها جماعةً أو فُرادَى ، إذًا الخطاب الدّيني المُعتدل القائم على إتباع النصوص الشرعية بفهم السلفِ الصالح من الرعيلِ الأول من الصحابة والتابعين ، والمُهتدي باجتهاداتِ العلماء

الربانيين ، والّذي يدعُو إلى جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسدِ وتقليلها ،ويتضمنُ خيري الدُنيا والآخرة وما يحققُ السعادة للعبدِ فيهما هو الخطابُ القادِرُ على الإصلاح وهداية البشرية وإنقاذها من الفكر العقَدِي ، أي إعمالُ العقل في تفسير وتأويل النصوص الخاصة بالعقيدة في أطُرٍ شرعية ولُغَوِيَة غير مُصَادِمَة للأصول العامة للعقيدة الإسلامية .

وبما أن الشاطبي مُعَلِمَ الفكرِ واللُّغة، فإن لهُ رأيٌ مبتدأٌ ونَظْرَةٌ مُبتكرَةٌ مُسْتَقِلَة في ثنايا هذا البحث.الّذي يندرجُ ضمن فرعٍ من فرُوعِ علم اللسان و يتناولُ بالدراسة والتحليل رُؤية الإمام الشاطبي ومساهماته واستباقاتهِ في صقل المفاهيم وبلورة التصوُّرات الّتي تلامسُ أشدَ المُلامسَة ما اهتدى إليه المعاصرون في حقول اللسانيات والتداولية والسيميولوجيا، ويَتحَدَّثُ عن التأويل والحجاج وعن علم المقاصد والأصول والفقه.

لذا نحتاجُ لخطاب وفقه الإمام الشاطبي في عصرنا هذا، لأنه الأقرب إلى فقه الاجماع منه إلى تعميق الخلاف ، وبكونهِ أحد قُراء الإسلام وخطابهُ يُؤسس لفعل واعي يراعي مقاصد الدين واحتياج المسلمين، والمهمة اليوم ليست في بعث المجددين من قبورهم ؛ بقدر ما نحتاج للفقه والحكمة في حسن توظيف تراثهم بما يناسب حالنا المعاصر.

والحاصل، أنّ لُغة الخطاب الدينيّ تعدُ حقيقةً لُغويّةً، ومنهجاً أساسيًا للعلُوم الدّينية، بل ولُغة عامة وشاملة يهتمُ بها العام والخاص، مع وضع كل ما ينبغي أن يكون من توجُه غيبي وديني، حسي ودُنيوي .

وبالتالي، فإن الحديث عن الخطاب الديني عمُومًا، دون ربطهِ بالبنيات الثقافية والحضارية الّتي ساهمت في تطَوُرِهِ، كان السِمة الأبرز لدى المُنظرين لهذا الخطاب، ما انعكسَ وبشكلٍ سلبي على الأحكام والنتائج المستنبطة.

كما تهدفُ دراسة الخطاب في مرحلة من المراحل إلى رصدِ سِمَاتِهِ والمؤثرات الّتي أثرت فيه ودوافعهِ وأهدافهِ، ويتبعُ ذلك الوقوف على الخصائص الفكرية والذهنية لمُنْتِجِهِ، وموقعهِ في المنظومة الفكرية الّتي ينتمي إليها.

أسباب اختيارا لموضوع: أما عن اختيار موضوع بعينهِ مِمَا يتصلُ بهذا العَلَمْ العظِيم، وبعد القيام بما استطعتُ من استِطلاع بيبليوغرافي، تبيّنَ لي أن الاهتمام بكتاب الاعتصام يكادُ

ينعدِمُ من الاهتمام بالنصوص الأصولية والمقاصدية الّتي عُرِفَ بها الشاطبي مثل:"الموافقات و مقاصد الشريعة "، فزادَ ذلك في تحفيزِي على اختيار " مُدونة الاعتصام " ، موضُوعًا لرسالة الدكتوراه الّتي تنصبُ في ظاهرة الأنظمة اللُّغوية، كما تجلتْ في الخطاب الدينيّ عند الشاطبي ، مع استيفاء مستويين آخرين هما :" المستوى التواصلي والتداولي"، اللَّذان يُعتبران الأساس اللساني لأي تصوُر بحث أكاديمي ، وبعد رحلة التقصِي والبحث الّتي قمتُ بها ، وكذا القراءات العديدة توصلتُ إلى المُقاربة التداوُلِيَة للخطاب الدينيّ عمُومًا ،ونظرية المستويات اللُّغوية خصُوصًا ،إلى أن تم اختيار الموضوع الّذي يتَخِذُ من نصِ " الاعتصام " مُدونةً ، ومن المُقاربة اللسانية التداوُلية منهجًا ، ومن هنا وُسِمَ البحث ب:" لُغة الخطاب الدينيّ في كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (ت 790هـ) –دراسة لسانية تداولية–" .

ومن بين أهم أسباب اختياري للموضوع، أذكر الأسباب الموضوعية، والّتي يمكنُ إيجازُها في النقاط التالية:

– عدم التفريق بين مضمون الخطاب، وطريقة عرضِهِ وتقديمِهِ، جعلت الكثير منا ينفرُ من الخطاب الديني.

–عدم التفريق بين «الدِّين"، بوصفِهِ نصًا مُقدسًا، و" الدِّين" بوصفِهِ خِطَابًا بشريًا.

–الميل إلى الدراسات التداولية واللسانية ، الّتي تهتمُ بطبيعة اللُّغة والمُخاطبين على اختلاف مستوياتهم وتُراعِي مداركهم.

–الرغبة في الإحاطة بموضوع الخطاب الديني ، ومقاصدِهِ الّتي يهدفُ لتحقيقها ، والنظر في طبيعة اللُّغة الّتي سيُوظفها الشاطبي في مُدونة الاعتصام ، ويهدِفُ لتحقيقها ، فهذه المبررات وغيرها كانت وراء خوضي لموضوع " لُغة الخطاب الديني".

إشكالية البحث: لقد أردتُ من خلال بحثي هذا أن أُثِيرَ بعض الإشكالات المتصلة بموثُوقية النص الدينيّ ، والّتي نرى أن التحليل اللّساني التداوُلِي كَفِيلٌ بحصرِهَا ، وإضاءة الكثير من جوانبها ، فدراسة مستويات اللّغة كشفت لنا كيف أن المتلقي يتدخلُ مِرَارًا في فضاء مُدونة الاعتصام الخِطابي ، ممّا يدفعُنا إلى التساؤل : ما قيمة كتاب الاعتصام ؟

وهل استطاعَ خطابهُ ودعوتهُ مقاومة رغبات الأتباع وتحدِّي ضغط المذاهب الباقية ؟ هل هذا تراجُع أم قصُور في نوعية الخطاب ؟

كما تنصبُ دراستي أيضا لموضوع "الخطاب الديني " ، من وُجهة نظر لسانية وأخرى تداولية ، بعد القضايا المثيرة والمطروحة حول مفهومه ، والخطابات المؤسسَّة لهُ، مع إمكانية إخضاعهِ للمناهج اللّسانية الحديثة ، ومنها المنهج التداولي والتواصلي ، ومنه يأتي عملي في هذه الأطروحة ليُجِيبَ عن الأسئلة الآتية :

-كيف يتم استنباط فكر الشاطبي في مسألة "الخطاب الديني " ؟

-ما طبيعة اللُّغة الّتي وظفها في خطابهِ ؟

-هل وُفِقَ الشاطبي على ردِّ البدعة ؟ والكشفِ عن زيفِ الخطاب البِدَعِي ؟

-ما قيمة الخطاب الديني لدى فكر المسلمين وباقي الديانات الأخرى ؟

-هل الخطاب الديني متفرد في نوعيته ؟ أم أنه متعدد عن باقي الخطابات الأخرى؟

-إلى أي مدّى يصِحُ تصنيف مُدونة "الاعتصام"، ضمن منظور لساني تداوُلِي ؟ وهل يحفِّزُ ذلك التصنيف الاهتمام بكتاب الاعتصام والكشف عن غِنَاه المنهجي والمعرفي ؟

- ألاَ تدُلُنَا المتُون والخِطابَاتْ النَصِيَّة المحمُولة فيها، على تبايُنْ في جنس الخطاب الدينيّ، الّذي يمكنُ أن يَلحقَ بِكُلِ جزء من أجزاء كتاب الاعتصام ؟

-هل أمكن للشاطبي أن يجيب عن تساؤلات تخُص المسلمين وحدهم ، أم تتوجهُ لغيرهم من النصارى واليهود ، الّذين تجمعهم بيئة اجتماعية واحدة هي الأندلس ، دون أن ننسى الصراعات الّتي كانت قائمة آنذاك ، وقد آلت إلى طرد المسلمين منها لاحقًا؟

- وهل بإمكان الخطاب الدينيّ اليوم أن يُنتِجَ لنا ثقافة دِينية سمحة أو معرفة عالمية ؟ أم إنهُ لا يزَالُ عقِيمًا ويُرَاوِحُ مكانَهُ ؟

- وهل الخطاب الدينيّ مُوجَه للفردِ في لُغتهِ، أم هو مُوجه للمجتمع ؟

المنهج المتبع: لطبيعة هذا الموضوع كون الخطاب الدّيني واحِدًا من الخطابات الّتي شغلَتْ ساحة البحث والدراسة، وعُنِيَ بها كثيرٌ من الدارسين، وهذا راجعٌ إلى مكانةِ هذا الخطاب في النفوس وارتباط المجتمع بمواضيع الخطاب الدّيني كخُطب الجمعة والعيدين. كما يهدِفُ هذا إلى تحليل لُغة الخطاب الدّيني في ضوء نظرية الاتصال لمعرفةِ مدى نجاح "المرسل" في توصيل رسالته إلى " المتلقي" ، وقياس مدى استجابة " المتلقي" ، لهذه الرسالة يُضَافُ إلى ذلك الكشف عن مدى تأثير لُغة الخطاب الدّيني في المتلقي ، وأثرهُ في إقناع الجمهور وتحقيق الهدف من عملية الاتصال وهي الاستجابة .

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ؛ حيث قمتُ بالتحليل اللُّغوي لمستويات هذا الخطاب مُستخدمة الحجاج ونظرياته كبُعْدٍ تدَاوُلِي .

ثم اعتمدتُ على نماذج تحليل تعودُ إلى مناظير لسانية لُغوِيَّة وتواصُلِيَّة وتداوُلِيَّة ، من آفاق مُختلفة، فإن تحليل اللُّغة لا يتمُ إلا بعد تحديد مُستوياتها اللّغوية ، فالبحث اللّغوي الحديث يتناول المستويات "الصوتية ، والصرفية ، والتركيبية ، والدِلالية ، والتواصُلية ، والتداولية" ، لتيسير الدراسة اللّغوية وفهم جوانب اللُّغة ضمن واقع اللُّغة المنطوق فلا يعرف هذا التقسيم ، فالكلامُ المنطوق تتكامَلُ فيه هذه المستويات وتأتي دُفعة واحدة ، ثم يتمُ التطرق لتحليل أهم المواضيع المتناولة في كتاب الاعتصام للشاطبي وفق هاتهِ المستويات.

بنية البحث (الخطة): لعلَهُ قد اتضحَ من خلال ما تقدمَ التصوُر العام لخُطة البحث، فما هي تفاصِيلُهَا ؟

يرتكزُ البحث على مدخل وفصلين أحدهما لساني والآخر تداولي ،فقد تناولت في الفصل الأول جُل المفاهيم المُتعلقة بمصطلحات البحث وصاحب المُدونة ، ثم عرجتُ في الفصل الثاني على تحليل المدونة وِفْقَ مُستويين " لساني(لُغوي) ، وتداولي" ، إذْ تطرقتُ في البداية إلى مدخل عرضتُ فيه الآليات المتخصصة للإمام الشاطبي ، فقد اشتملت على مُحاولات لتطبيق المفاهيم النظرية السابق عرضُها على كتاب الاعتصام ، من ناحية : منزلة المُدونة ومكانتها وشرحها اعتمادًا على ما تقدّمَ عرضهُ في الجانب النظري ، مع إضاءات نظرية مُضافة ، ثم أدرجتُ في الفصل النظري الإضاءة المفاهيمية المُوسعَة للبحث ، من حيثُ أسُسهِ و مُنطلقاتهِ الخِطابيَّة المُمثلة في الآليات والدلالات اللّسانية الأكثر تأثيرًا في الدراسات

اللُّغوية التواصُلية ، وأعقبتُ ذلك بعرض تعريفي بالآليات والدلالات اللّسانية ، وما اعتمدتهُ من مفاهيم ونُظُمْ اصطلاحية انتصبَ فوق أرضيتها نموذج التحليل اللساني التواصُلي في أحدثِ تجلياتهِ ، وفق المنظور التداولي خاصةً ، أما الفصل التطبيقي والّذي اعتمدتُ فيه على تحليل المُدونة بصُورةٍ فِعلية لأنتهي إلى عرض لُغة الشاطبي من خلال مُستويات اللُّغة ثم الدراسة التداولية للأفعال الإنجازية في الخطاب الدينيّ الدعَوِّي ، ثم لُغة الشاطبي من الناحية الحِجاجية " ، وبهذا اكتملت حلقاتْ البحث والتأمتْ أجزاؤهُ ، ورد آخرهِ على أولهِ ، فجاءت الخاتمة الّتي ضمنتها خُلاصة ما اجتهدتُ في الوصول إليه من نتائج .

الدراسات السابقة: تعدّدت المراجع الّتي نهلَ منها بحثي وتنوعت بحسبِ الحاجة ، وأذكر منها على سبيل التمثيل كتاب : الشهري. عبد الهادي بن ظافر :(استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية)، وكتاب : حجاب. محمد منير:تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، وكتاب: حوى. محمد سعيد : التأصيل لمفهوم البدعة وأثرهُ في توحيد الأمة وكتاب : الريسوني . أحمد: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، وكتاب: سلمان . عزمي محمد: جوانب التفكير النحوي لدى الأصوليين " الشاطبي أنموذجا "، وكتاب: العلمي. عبد الحميد: منهجُ الدرس الدّلالي عند الإمام الشاطبي (ت790هـ)، وكتاب: غماري . نصيرة محمد : النظرية التداولية عند الأصوليين (دراسة في تفسير الرازي ت544-606هـ)،

وكتاب: محمد. يحي : منطق فهم النص (دراسة منطقية تُعنى ببحث آليات فهم النص الدّيني وقبلياته)، وكتاب : مشبال . محمد : بلاّغة الخطاب الديني (أعمال مهداة للدكتور محمد الولي).

إن مُعظم هذه المراجع على أهمية ما قدمتهُ للتُراث العربي، وللدراسات اللّسانية، وعلى نفَاسَةِ ما أفادت به الخطابات الدّينية، إلاّ أنّها اهتمت أكثر بالتنظير سواء للمفاهيم التداولية أو للمفاهيم والقضايا، الّتي تُثِيرُ إشكالات في " الخطاب الدينيّ".

في حين يرتكِزُ بحثي على الجانب التطبيقي ، واخترت" كتاب الاعتصام للشاطبي" كونهُ يتحدثُ عن العقيدة وأصول الدين ، ويشتمِلُ على بيان البِدَع وأحكامها ، وما يتعلّقُ بها من المسائل أصُولاً وفرُوعًا ، فهو دعوة إصلاحية قِوَامُهَا إتباع السُنة وقواعدها وضوابطها من البدعة ، ما جعلني أهتمُ أكثر بمدى استحضار المتكلم للمخاطب أثناء بناء خطابهِ

والبحث عن المقاصد الّتي يرمي إليها مُنتِج الخطاب .

وفي الأخير أتقدمُ بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور:" كمال قادري " ، الّذي تابعَ معِي بحثي من بدايتهِ إلى أن ظهرَ للوجُود ، وتحملَ معِي عناءَهُ ، ولم يدخِرْ جُهدًا في إبداءِ النصح والتوجيه لي .

ولا يفُوتني أن أتقدمُ بشُكرِي الجزيل أيضا إلى أعضاء اللجنة العلمية، الّتي قبِلتْ مُناقشة هذه الرسالة وتكبدت عناء تفحُصِهَا ومُراجعتها، وكذا المجلس العلمي لجامعة محمد لمين دباغين سطيف "2" .

وأرجوا أن نكون قد وُفِقنَا في دراستنا لهذا الكتاب القَيِّم ،الّذي ضمَّ جواهِر الكلام واللُّغة .

*وسائلة العلِي القدير أن يجزِيَهُ عنِي خيرَ جزاء المُحسنين *

–والله من وراء القصد وسواء السبيل –

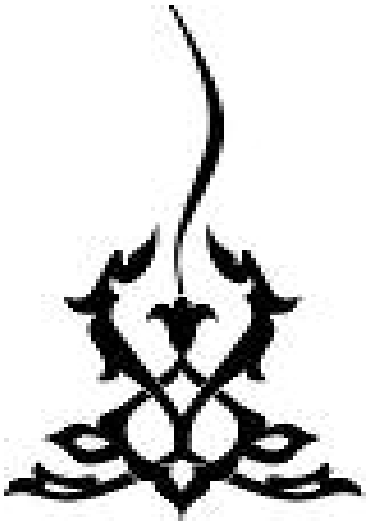

الفصل التمهيدي:* الإطار النظري للموضوع (مفاهيم المصطلحات الأساسية للموضوع)

أولا: مفهوم اللّغة (وسيلة تعبير وتواصل)

ثانيا :مفهوم الخطاب والنص (الدلالة اللُّغوية والاصطلاحية للخطاب)

ثالثا: مفهوم البدعة في اللُّغة والاصطلاح

رابعا:مفهوم القصد و المقصدية

خامسا :المقصدية لدى الإمام الشاطبي

أ/ آلياتها النظرية (التعليل والمصلحة)

ب/أنواعها(الضرورية ، و الحاجية ، والتحسينية)

سادسا:الدلالة العامة والخاصة لدى الإمام الشاطبي ومنهجهُ الأصولي

1/سياق الخطاب وآلياته

أ-الآلية الحسية

ب-الآلية العقلية

ج-الآلية اللُّغوية و مقصدية الخطاب

د-العُرف القولي

2/منهجهُ الأصولي

أولا /مفهوم اللّغة(وسيلة تعبير وتواصل):

لقد عُرِفَتْ اللّغة في أقدم صُوَرِهَا أنّها بمثابة ظاهرة تُمَيِّزُ الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى واختص بها ، لذا، أصبح للُّغة والحضارة والمجتمع كيان مُوحَد ونسقٌ قائم بذاته ، كما تُعَدُ نظاما طبيعيا لا مثيل له ،وباعتبار اللّغة"langage " أداة التواصل ومادة البحث اللّغوي فإنه ومما لاشك فيه أنّ التواصل "communication" ،الذي تشعبت مفاهيمه و تصوراته ما هو إلاّ عملية لُغوية تبتدئُ من الفكرة وصولا إلى الإبلاغ.

هاته اللّغة تتجلى أهميتها ودورها خاصة في حياتنا اليومية، فهي تُقَرِبُ مداركنا، و تحرك مشاعرنا و حواسنا فلا تعدو أن تكون إشاراتٍ وأصواتاً،أو ملامح و رموزاً يُفهم معناها. والحقيقة أن اختلاف اللّغة التي جاءت على مفاهيم وأهداف واحدة هو مظهر طبيعي في ظل تعدد المدارس التي ينتمي إليها أصحابُ هذه الآراء ، لذلك، تعددت و تفرّعت تعريفات هذا المصطلح لدى القدامى والمحدثين ، كما ركزت كل مجموعة على جملة من النواحي المهمة من وجهة نظرها وأظهرتها من خلال التعريف .

ومن أهم هاته التعريفات عند القدامى، نجدُ ابن جني (392ﻫ) الّذي عرف اللُّغة بعبارته « **حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم** »[1].

وبالتالي، يتضمن هذا التعريف العناصر الأساسية لتعريف اللّغة ، أولها إيضاح الطبيعة الصوتية للّغة ويؤكد أنّ اللّغة أصوات.

و لديها وظيفة اجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدمُ في مجتمع فلكل قومٍ لُغتهم، وهو بهذا الشكل يستبعد الخطأ الشائع الّذي يتوهم بأنّ اللّغة في جوهرها شكل لساني مُدرك و ثانيُها تبيان وظيفتها الأساسية، ألا وهي: التبليغ والتواصل.

---

(1)- أبو الفتح عثمان إبن جني : الخصائص ، تح: محمد علي النجار ،ج 1،دار الكتب المصرية ،المكتبة العلمية ، دط ، دب، 1371ﻫ-1925ﻡ،ص33.

أمّا ثالثها، فللّغة خاصية اجتماعية ترتبط بالمجتمع (قوم) فقط، أي:علاقة اللُّغة بالمجتمع. « واللُّغة أداة من أدوات التفكير، إذْ إن الإنسان يفكِرُ باللُّغة، ويتمثلُ ذلك في نِتَاجْ ذلك التفكير والّذي يكون على صورة تراكيب ملفُوظة، أو مكتوبة، وبدونها يعسر على المرء أن يُعبِّر عن الأفكار أو عما يشاهدهُ أو يُحِسُ به، ويعسُرُ عليه حتى التعبير عن الحاجات العادية. واللُّغة وسيلة يستطيعُ المرءُ بواسطتها أن يُعبِّر عن عواطفهِ من فرح وحُزن وإعجاب وغضب وغير ذلك ، كما يستطيعُ أن يجدَ في الآثار الأدبية التي تُعالج العواطف الإنسانية ما يُنَفِسُ به عن مشاعره ، إن لم يكُن قادرًا على تصويرها أو نقلها بطريقة مؤثرة ، و إنّ أظهر الوظائف الّتي تؤديها اللُّغة في حياة الفرد والجماعة هي: الوظيفة الاجتماعية ،وتتمثل في الفهم والإفهام –التفاهم– وأبرز مظاهرها نذكر :

–التعبير عن الآراء المختلفة: السياسية، الاجتماعية، الدينية...الخ

–التعبير عن الأحاسيس والمشاعر تُجَاهَ الآخرين .

–المجاملات الاجتماعية في المواقف المختلفة .

–التعبير عن الحاجات التي يحتاجها الإنسان في حياته الاجتماعية .

–التأثير في عواطف وعقول الجماهير ، في المواقف والأغراض المختلفة .»[1]

إذ يوحي لنا تعريف ابن جني للُّغة أنّه عبارة عن تعريف شامل و مختصر، صحيح أنهُ عرفها علماء كثيرون على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم بتعريفات عدّة ولكن يجمعها ابن جني في تعريف واحد و معنى محدد، فالأصوات تمثل اللّبنة الّتي يتكون منها اللفظ، ومن اللفظ تتكون اللّغة، ولا تكون اللغة إلا داخل مجتمع فهي ظاهرة اجتماعية تنمو داخل هذا المجتمع نتيجة وجود اتصال بين أفراده بعضهم ببعض، وبحسب تنوُع البيئة اللُّغوية من مُجتمع إنساني لآخر .

---

(1)– محمد عبد الشّافي القُوصِي : عبقرية اللّغة العربية ، دط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسيسكو–، 1437هـ–2016م، ص167–168.

إن الفحص الدقيق لبعض النصوص القديمة يعطينا تصوراً حول مفهوم اللغة عند بعض الذين عنوا بها من حيث فلسفتها وطبيعتها وتكويناتها وهدفها. فابن خلدون (ت 808هـ) يعرفها بقوله: "**اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابّد أن تصير ملكة متقررّة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم** "[1].

و مّما يُلاحظ على النص السابق، أن إحداث فعل التواصل هو الأساس الوظيفي للغة من ناحية المضمون، وأن الطابع اللساني الصوتي هو المكوّن الأساسيّ له من ناحية البنية، فيصبح خطابًا وليس مجرد نص.

إنّ التركيز على البُعد التواصلي للغة، ودراستها ضمن مستوياتها المعروفة: الصوتي، والتركيبي، والصرفي والدلالي والمعجمي، والبلاغي يجعل اللغة مقصودة لذاتها، وبِنيةٌ مغلقة مُكَتفِيَة بذاتها.

صحيح أن وظيفة التواصل من أهم وظائف اللُّغة وواقعها الرمزي، وبفضلها تكوّنت الجماعات الإنسانية. فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود اللغة. إلا أنّه، ثمّة، فارقاً بين اللغة والتواصل، فعلى الرغم من أهمية وظيفة التواصل وحيويته وضرورته، إلا أنهُ لا يمنحُ اللُّغة خصوصية ، إذ إنها متحققة بين الكائنات الأخرى بالقدر الذي تحتاجه، فالضابط أنّ التواصل لا يأخذ دوره الفعلي والجوهري لدى الإنسان إلا إذا تعالقَ مع الفكر، ليُشَكِلاَ وظيفةً واضحةً قادرة على تحقيق الانسجام بين جمهور المتخاطبين.

و بالنسبة لمفهوم اللّغة لدى المحدثين، نجد أن هناك تداخلا و تشعبا في المفهوم على اختلاف توجهاته ومضامينه، فاللّغة في نظرهم هي محل اهتمام علم اللّغة الحديث على تنوع مدارسه، وتعريفهم يلتقي مع تعريف ابن جني، نظرا لما يحتويه من حقائق هامة أضحت تمثل ثمرة تطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

---

(1)– مجدي بن عيسى: اللسان وعلومه (في مقدمة ابن خلدون)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت–لبنان، 1436–2015، ص 10.

وسنتطرقُ إلى تعريف كل من :

1/ **فرديناند دي سوسير** "**Ferdinand de Saussure**" (1857-1913) :

« **إن اللغة عبارة عن نظام من العلامات**(*) »(1) ، ومن هنا، نرى بأن سُوسير يعتبرُ اللّغة نظامًا لِسانيًا تامًا ، أي نسق أو"بنية" ، كما أكدّ على أن طبيعة اللّغة أصوات منطوقة ووظيفتها التواصل والتبليغ وسماها بدائرة التخاطب (مرسل +مرسل إليه + سياق ..)، لذا يعد تعريفه للّغة بأنّها نظام أهم ابتكار جاء به وأكبر ثورة لسانية، فاللّغة من حيث كونها نظام هي (شكل لا جوهر)، ويتأسّس هذا الشكل (النظام) بالعلاقات الرابطة بين عناصره، وهي العلامات،وتتضّح وظيفتها حسب هذا التعريف فتتحدد بكونها أداة اتصال (تعبر عن أفكار).

وهكذا، نرى بأنّ اتساق اللّغة وانسجامها قائم على جملة من العلاقات المعنوية داخل النص،و هذا مرتبط« **بتصور الباحثين للّغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد /مستويات :الدلالة (المعاني) والنحو-المعجم(الأشكال) ، والصوت والكتاب (التعبير) يعني هذا التصور أن المعاني تتحقق بالأشكال والأشكال تتحقق بالتعابير وبتعبير أبسط :تنقلُ المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة** »(2)

(*)- La langue est un système de signes ""

(1)-Ferdinand de Saussure : cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert séchehaye, Grande Bibliothèque Payot, page, Paris, 1997, P6.

(2)- محمد خطابي : لسانيّات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت -لبنان ، 1991،ص15.

فباستطاعتنا القول أنّ خلاصة تعريف سوسير للّغة هي بمثابة " تنظيم (*) من الإشارات (**) المغايرة (***) أو المفارقة للمعنى(****) ".

" فمن جهة ، بالإمكان حصول اتصال مباشر بين البشر، بواسطة وسائل غير لغوية مُتجهة نحو ردود فعل عفوية، ولنأخذ على سبيل المثال احمرار الوجه فهو دلالة على الخجل أو العبوس تعبيرا عن الغضب ، وباقي الإيحاءات الأخرى كأحد أجزاء الجسم أو الوجه والوسائل المتنوعة الأخرى مثل الرسومات و النقود ، ومن جهة أخرى فالاتصال لا يقتصر فقط على الإنسان وإنما يشمل الحيوانات أيضا ،حينما تستخدم وسائل اتصالية لدينا ولكنها مفهومة لديها ، ومن جهة ثالثة نرى بأن الاتصال ليس هو الوظيفة الوحيدة للّغة البشرية ، فبالإضافة إلى أنها وسيلة للاتصال بين أفراد البشر في المجتمع الناطق بها، فهي تقوم بعدة وظائف، حيث أنّ اللّغة الواحدة المستخدمة في مجتمع معين تمنح للفرد شعورا رائعا بالانتماء إلى ذلك المجتمع....ومن استخدامات اللّغة أيضا التعبير عن العواطف الإنسانية في الأدب عامة و الشعر خاصة وهي تستخدم أيضا للتأثير في النّاس تأثيرًا سيئًا أو حسنًا ، وهي على نمطها المكتوب أو المحفوظ بطرق أخرى خاصة في وقتنا الحاضر، فهي تصون حضارة المجتمعات المختلفة للجيل القادم . وبالمقابل ، فإن تعدُد الوظائف الّتي تؤديها اللُّغة تبقى وظيفتها الأساسية هي الاتصال بين أبناء المجتمع الناطق بها ، أهم تلك الوظائف جميعا ، ولو قمنا بدراسة كُلٍ من تلك الوظائف لوجدنا في كُلٍ منها، اتصالاً بالمجتمع البشري لا غير "[1]

(*)–أي إن اللّغة هي كل منظم من العناصر لا يمكن دراسته إلاّ من حيث كونه يعمل كمجموعة.

(**)–بمعنى عنصر التنظيم اللغوي المكون من دال +مدلول، إذ تستمد الإشارة قيمتها الدلالية من التنظيم الذي يجمع بينها.

(***)–مفهوم التغاير وهو مفهوم عملي يقترن بأسلوب البحث اللّغوي، إذ على أساسه يمكننا فصل الوحدة اللّغوية من خلال السياق الكلامي، وهو ما يُسميه القدماء "بالفرُوق اللُّغوية " .

(****)–مفهوم المفارقة: فمعناها أن اللّفظ مُفَارِقٌ لمعناه ، أي لا يحملُ المعنى بذاتهِ.

(1)– نايف خرما : أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، العدد9 ، سبتمبر 1978، ص 27.26 .

ومن خلال ما تقدم ذكره ، بإمكاننا الوقوف على أهم الملامح المميّزة والمعتبرة للّغة المتمثلة في :

(الجانب الصوتي الطبيعي للّغة ،الجانب الاجتماعي للّغة ،اللّغة متغيرة ،اللّغة نسق من العلامات ، اللّغة مكتسبة،اللّغة وصفية وتعبيرية ،اللّغة أساس اللسان البشري ودعامته اللّغة وسيلة لتواصل الأفكار.)

2/ **دان سبيربر وديردري ولسون** : "**Dan Sperber and Deirdre Wilson** "

في الغالب ما يُنظر إلى اللُّغة والتواصل بوصفهما كوجهي العملة الواحدة، ومن هذا المنطلق يكون الوجه الأساسي للُّغة هو كونها تستخدم لغرض التواصل. والوجه الأساسي للتواصل هو كونه يتضمّن استخدام لغة شكلية (بنائية)، وهذا ما يُوحي بوجود علاقة ضرورية قائمة بين اللُّغة والتواصل مثل العلاقة بين القلب والدورة الدموية،أي ليس بالإمكان وصف أحدهما دون الآخر...ومنه فالمعنى العام الأوسع للغة يكمن في كونها مجموعة الصِيَّغْ الصحيحة التركيب ، أو بمعنى آخر، هي مجموعة من التراكيب المسموح لها أن تضُمّ مفردات وتراكيب مُعجمية ويُولّدها نحوٌ معيَّن (قواعد نحوية) grammaire،أما بمعناها الأضيق، فإن اللُّغة مجموعة من الصِيّغ الصحيحة التركيب ومُفسّرة (مُؤولة) دلالياً ، ومستعملة لغرض التواصل ...إذاً فاللّغة نظام تمثيلي محكوم بالقواعد النحوية.[1]

وفي هذا التعريف نصٌ صريح على الاتصال ، بوصفهِ الهدف الّذي يتوخاهُ المرء من استخدام اللُّغة ، فاللُّغة عند سبيربر وولسون خاصية إنسانية خالصة ، وليست غريزية تستهدِفُ توصيل المشاعر والرغبات ، من خلال نظام من الرموز يختارهُ المجتمع وتبقى اللُّغة نظامًا مُمَيِّزًا وضرُورِيًا للجهاز التواصلي اللِّساني .

(1)– دان سبيربر / ديردري ولسون: نظريّة الصِّلة أو المناسبة في التواصل و الإدراك ، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، بيروت –لبنان ، دس، ص 296.295

ثانيًا/ مفهوم الخطاب والنص(الدلالة اللّغوية والاصطلاحية للخطاب): (Discours)

2-1/**الخطاب في اللّغة:** إنّ مصطلح "خطاب" اسم مشتق من مادة (خ.ط.ب) بمعنى الكلاّم ، والحجاج،والمحاورة ، والخطاب لغة مصدر بمعنى صيغة الفعل (خطَبَ) ، واسم الفاعل (مُخاطِب) ،واسم المفعول (المخاطَب) وهو أحد مصدري فعل خاطَب يخاطبُ خطابًا ومخاطبَةً ، ويدور معناه حول توجيه الكلام للمتلقي أي انتقل من الحدث المجرد زمانيا إلى دلالة الاسمية ، وقد ورد في معاجمنا العربيّة حول إيضاح دلاّلة هذا المعنى مرورًا ب :

***لسان العرب لابن منظور** (ت711ﻫ):

«خطبَ، الخطبُ: الشّأنُ أو الأمر، صغُرَ أو عظمَ؛ وقيل: هو سبب الأمر.يُقال: ما خطبُك؟ أي ما أمرك ؟ وتقول : هذَا خَطبٌ جليلٌ ، وخطبٌ يسيرٌ ، والخطبُ : الأمر الّذي تقعُ فيه المخاطبَة ،والشّأنُ والحالُ ؛ ومنه قولهم : جلَّ الخطبُ ، أي عظُمَ الأمر والشأن وفي حديث عُمر، وقد أفطرُوا في يوم غيمٍ من رمضان فقال: الخطبُ يسيرٌ »[1].

إذن، فجملة المعاني التي دارت حولها المادة اللّغوية [خطَب ،الخطْبُ، وخطبًا،وخُطّاب] ممّا سبق ذكره آنفاً، وليس بالإمكان الخروج عنها في مادة كل معجم هي كالآتي : (الكلاّم الطلب والدعوة ، الأمر ، الحوار و الجدال) .

فكل هاته المصطلحات والمعاني الدّالة على الموروث اللّغوي للفظة "خطاب" تشترط في تحققها الفعلي وجود طرفين اثنين هما : المرسل والمرسل إليه، مع وجود رسالة يحملها هذا الخطاب، لكي يُصبح تجسد الخطاب وتحققه رهينًا بتلك العناصر، باعتبارهِ شكلا من أشكال التواصُل باللُّغة، والّتي بإمكاننا تمثيلها بواسطة المخطط التالي :

---

(1)- ابن منظور: لسان العرب ، تح : هاشم محمد الشاذلي وآخرون ، دار المعارف ، ط1، النيل –القاهرة ،1411ﻫ-1981م، 2/ص 1194.مادة (خطب)

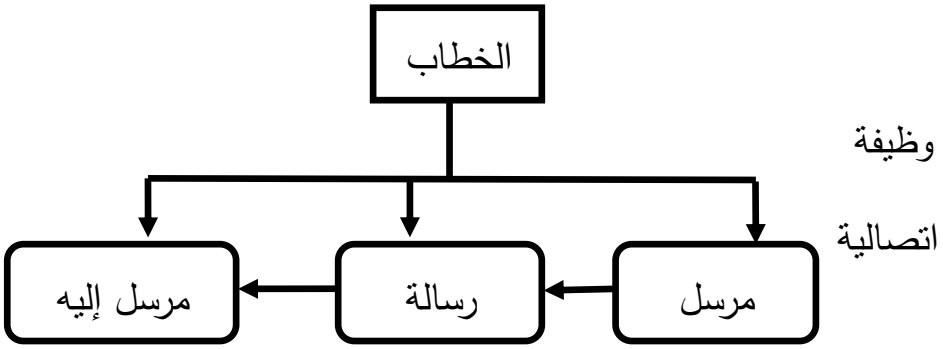

2-2/الخطاب في الاصطلاح:

تؤكد جميع الدراسات اليوم أنّ مفهوم الخطاب ،عند المحدثين –غير متفق عليه– نظرا لتعدد الموضوعات التي يطرحها وتشعُّب مفاهيمه، لذلك، فلقيمتهِ النظرية ، وفعاليته الإجرائية نقطة تلاّقي تحليل سنن وقواعد النصوص وكذا الإجراءات التطبيقية و العملية التي تتطلبها عمليات للتحليل ومرجعياته.

فإننّا تناولنا هذا التحليل من زاويتين، قد يتفق مع أحدهما سواء ما ورد في القديم لدى العرب وما وردَ حديثًا لدى الغرب، ليكتسي بعد ذلك ثوبا جديدا يتسّمُ بالجِدّة والموضوعية خاصة على مستوى الدرس اللّغوي الحديث وسنعرض فيما يلي أهم التعريفات الّتي تناولت مفهوم الخطاب مرورا ب :

1)–محمد عابد الجابري :«عندما نتحدث عن الفكر العربي أو أي فكر، ونحن نعني مُنتجات هذا الفكر فإننا نقصد أساسا مجموعة من النصوص ،والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنّما يتم عبر النص ، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنّما يتم عبر الكلاّم ،أي عبر الإشارات الصوتية وكما يسهم السامع ،مساهمة ضرورية في تحقيق "الاتصال الكتابي" عبر النص...وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له، هناك إذاً جانبان يكوّنان الخطاب: ما يقولهُ الكاتب وما يقرأه القارئ »[1]

(1)– محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر "دراسة تحليلية نقدية " ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ط5، بيروت–لبنان ، مارس 1994م،ص10.

من خلاّل هذا التعريف الّذي وضعه الجابري، نرى أنّ النص عبارة عن رسالة موجهة من المؤلف إلى قارئه وتكون على شكل خطاب؛ وذلك لوجود علاقة اتصالية قائمة بينهما. وعموما، بإمكاننا القول إنّ للخطاب جانبين : أحدهما المتكلم أو الكاتب يريد تقديم فكرة أو يبلغ وُجهة نظر معينة وهو بذلك يُنشئ "خطابا"، والمستمع أو القارئ يتلقى فكرة المتكلم أو الكاتب بطريقته الخاصة فينجز تأويلا لكلام الباث و تأويله خطاب أيضا، وبالتالي فقد ركزت الدراسات اللسانية الحديثة على دور القارئ في تأسيس الخطاب من خلال فهمه وتأويله بصفة كُلية.

2)-**ميشيل فوكو :(Mishil Fuku)** [1926-1948]

«أفترض أنّ إنتاج الخطاب في كل مجتمع ، هو في نفس الوقت إنتاج مُراقب ،ومُنتقى ومُنظم ومُعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات الّتي يكون دورها هو الحد من سُلطاته ومخاطره ، والتحكم في حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة ....أشير فقط إلى أن المناطق الّتي أُحْكِمَ السّياج حولها، وتتضاعف حولها الخانات السوداء في أيامنا هذه هي مناطق الجنس والسياسة :وكأن الخطاب بدل أن يكون هذا العنصر الشفاف أو المحايد الّذي يجرد فيه الجنس من سلاحه وتكتسب فيه السياسة طابعا سليما هو أحد المواقع الّتي يُمارس هذه المناطق بعض سلطتها الرهيبة بشكل أفضل »[1]

نرى بأن فوكو قد ربط معنى الخطاب وتحليله بالسلطة والمعرفة،واعتبره بمثابة مؤسسة تتشكل من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية وينسجها الإنسان على منواله، وهي الّتي تبرز فيها الكفاية اللّغوية وينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر، وبهذا الشكل خرج مُصطلح "الخطاب" من فضائه اللّغوي ومجال النقد الأدبي ليشمل مجالات معرفية أخرى، كالخطاب الأدبي والديني، والفلسفي...وأصبح من المفاهيم الإجرائية المستقلة، حيث تبلور مفهومه بصفة حداثية خاصة لدى الباحثين في مجال الفلسفة والنقد الأدبي عن طريق الغوص في عوامل نشأته وآلياته الإجرائية وكذا هيمنته؛ وذلك بفضل

---

(1)- ميشيل فوكو: نظام الخطاب ، تر: محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع ، ط3، بيروت-لبنان، 2012،ص9.8.

طبيعة المجتمع الغربي المعقدة ، ومستواه الحضاري بالإضافة إلى تطور الوعي السياسي و الفكري لدى الغرب الذي عرف توظيف مُصطلح "الخطاب" ، وأسهم في تطويره وبنائهِ ، وأضحى للخطاب مجال معرفي مُستقِلْ بذاتهِ.

3)-معجم لاروس (Larousse): «الخطاب هو وِحدة مساوية أو أكبر من الجملة يتألف من سلسلة من الرسائل له بداية وحدُود»[1].

وهاهنا أصبحت كلمة "Discours" في معجم لاروس الفرنسي ، تدل على ظاهرة فعلية أو قولية ، أو كتابية في معناها العام ، لتحديد "Idéologie"[*] إيديولوجيا معينة أو لتحديد حالة عقلية في ظرف مهم بالنسبة لمجال معين، بمعنى أن الخطاب يمثل مجموعة من التطورات الخطابية الّتي تحاول الإقناع والتأثير في المتلقي ؛بل هو معنى لساني حديث يحددُ لنا كل الصفات المميّزة في الجملة ، ويطرح رأيًا مُسَاوِيًا للعبارات الواردة فيه ، ومن هنا نرى أن الخطاب ما هو إلا عبارة عن"مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة ،أي إنهُ تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق "[2]

---

(1)- /Jean Dubois :"outré" ,Larousse :Grand Dictionnaire "Linguistique :seiences du langage" ,E'ditions :larousse 2007 pour la présente édition , la premiére édition ,Paris ,1994,P150.

-«Le discours est une unité égale ou supérieure à la phrase ;il est constitué par une suite formant un message ayant un commencement et une clôture »[1]

(*)-الإيديولوجيا:هنا الفكرة (idée) و بمعناها العام هي منظومة الأفكار العامة السائدة في المجتمع.

(2)- روبرت دي بوجراند : النّص و الخطاب والإجراء : تر: د.تمّام حسان ، عالم الكتب ، ط1، القاهرة – مصر 1998م-1418هـ،ص6.

* وعلى هذا الأساس يرى رائد جميل عكاشة أن " الناظر في سيرورة مفهوم الخطاب في التفكير الغربي يلمح التطورات التي حدثت في تعريف الخطاب، تبعاً للمؤثرات التي عملت على صوغه؛ إذ نجد تصوّراً لمفهوم الخطاب منطلقاً من التواصلية اللغوية المباشرة ومنتهياً بالتأويلية والممارسة وما وراء اللفظ أو اللغة.

فالخطاب الغربي هو كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً، غير أن الاستعمال تجاوز ذلك إلى مفهوم أكثر تحديدا، يتصل بما لاحظه الفيلسوف "هـ. ب "غرايس عام 1975م من أن للكلام دلالات غير ملفوظة، يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة... وقد اتجه البحث فيما يعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم مثل هذه الاستدلالات أو التوقعات الدلالية."[1]

بمعنى أن الخطاب هو ذلك الفعل القصدي، الذي يرمي من خلاله المنشئ إلى التأثير في المتلقي ؛ لإيصال رسالة ما، ضمن جُملة من النصوص المختلفة.

*جُملةً، نستطيع وضع مخطط عام يُوضح لنا المعنى الإجمالي لمصطلح الخطاب على النحو التالي:

(1)- رائد جميل عكاشة : المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ،بحث بعنوان : اللغة في الخطاب الثقافي،ص3 من الهامش.

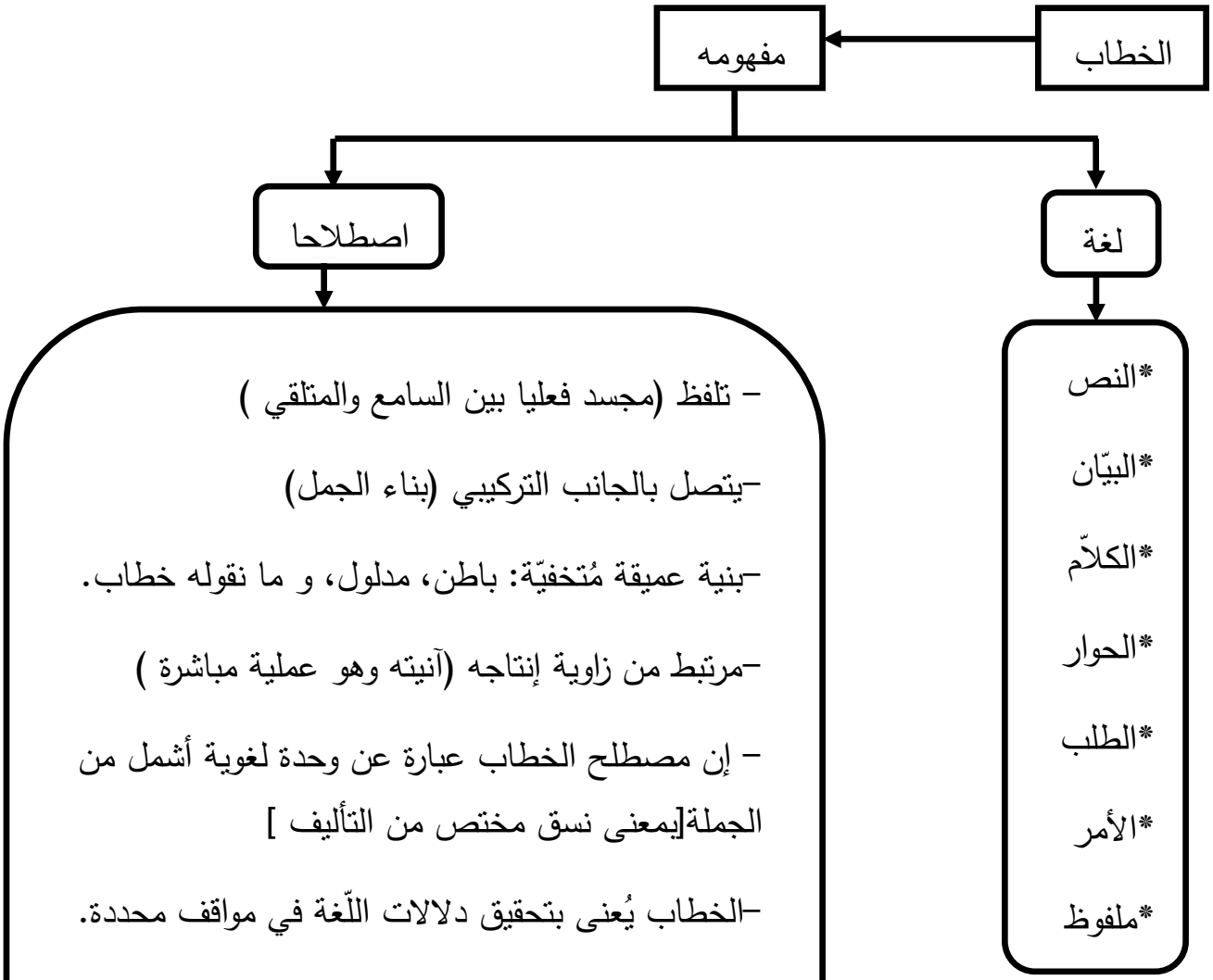
الخطاب
مفهومه
لغة
اصطلاحا
*النص
*البيّان
*الكلاّم
*الحوار
*الطلب
*الأمر
*ملفوظ
– تلفظ (مجسد فعليا بين السامع والمتلقي)
–يتصل بالجانب التركيبي (بناء الجمل)
–بنية عميقة مُتخفيّة: باطن، مدلول، و ما نقوله خطاب.
–مرتبط من زاوية إنتاجه (آنيته وهو عملية مباشرة)
– إن مصطلح الخطاب عبارة عن وحدة لغوية أشمل من الجملة[بمعنى نسق مختص من التأليف]
–الخطاب يُعنى بتحقيق دلالات اللّغة في مواقف محددة.
–إنه نظام من الملفوظات وحدث تواصلي معين .
–مصدره فردي وهدفه الإفهام والتأثير.
–الخطاب هو نص كلاّمي يحمل معلومات ورسائل يُريد المتكلم (المرسل) أن يُوصلها إلى المستمع (المتلقي)، فهو من أهم وسائل الاتصال.
–إن متلقي الخطاب لابد له من أن يستنبط المقصد الّذي ينطوي عليه، وأن يتمثل الرسالة الدلاليّة الّتي تكمنُ فيه كي تكتمل دائرة الاتصال.

ثالثا/ مفهوم البِدعَة في اللُّغة والاصطلاح :(Albudàa)

أ/ **في اللغة:** يعود أصل الاشتقاق لكلمة " البِدعَة " في اللّغة العربيّة إلى الجذر اللّغوي « **بدَعَ"، بمعنى: الاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله الله تعالى :﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ البقرة آ117 أي مُخترِعُها من غير مثال سابق متقدم ، و قوله –عز وجل– ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الأحقاف آ9،أي ما كنت أول من جاءَ بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل ، ويقال :ابْتدَعَ فُلانٌ بِدعَةً ، يعني : ابتدَأَ طريقة لم يسبقه إليها سابق ....ومن هذا المعنى سُميت البدعةُ بِدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتُها هي البدعة، وقد يسمى العلم المعمول على ذلك الوجه بدعة: فمن هذا المعنى سُمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بِدعة »**[1].

*وقد ورد في معاجمنا العربيّة في بيّان دلالة هذا المعنى اللّغوي مُرورا ب:

1/ **أساس البلاغة للزّمخشريّ** (ت538ﻫ):« **بدَعَ : أبدعَ الشيءَ وابتدعَهُ : اخترَعَهُ ، و ابتدعَ فُلانٌ هذهِ الرّكِيّةَ ، وسِقَاءٌ بَدِيعٌ : جَدِيدٌ و يُقال: أبدعَتِ الرّكابُ إذا كلّتْ و حقيقتهُ أنّها جاءتْ بأمرٍ حادِثٍ بديع ، و أُبْدِعَ بالرَّاكِبِ إذا كلَّتْ رَاحِلتهُ ، كما يُقال : انْقُطِعَ به وانْكُسِرَ إذا انكسرَتْ سفينتُه، ومن المجاز :أبدعَتْ حجّتُكَ إذا ضَعُفَت ، و أبدَعَ بِي فُلانٌ : إذا لم يكن عند ظنّك به في أمرٍ وثِقْتَ به في كِفَايَتِهِ و إصْلاَحِهِ »**[2].

2/ **لسان العرب لابن منظور** (ت 711ﻫ):« **بدَعَ: الشّيءَ يَبدَعهُ بَدْعًا وابتدَعَهُ:أنشأَهُ وبدأَهُ ، وبدعَ الرّكيَّة: استنبطَهَا و أحدَثَهَا، ورَكِيٌّ بَدِيعٌ: حَديثَةُ الحفرِ، و البَدِيعُ و البِدْعُ: الشَّيءُ الّذي يَكونُ أوّلاً... و البِدعَةُ: الحدَثُ وما ابْتُدِعَ من الدّين بعد الإكمالِ... و بدّعَهُ: نسبَهُ إلى البِدعَة ، و استَبدعَهُ :عدَّهُ بَدِيعًا والبَدِيعُ : المحدَثُ العَجِيبُ »**[3].

---

(1)– الإمام أبي إسحاق بن محمّد اللّخمي الشاطبي : الاعتصام ، ض و تص : أحمد عبد الشافي ، ج1، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان،1408ﻫ–1988م،ص27.مادة (بدَعَ)

(2)– أبي القاسم جَارَ الله بن أحمد الزّمخشري: أساس البلاّغة ، تح:محمّد باسل عُيون السُّود ، ج1،دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان 1419ﻫ–1998م،ص 50 .مادة (بدَعَ)

(3)– ابن منظور : لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف ، ط 1، كورنيش النيل –القاهرة 1411ﻫ–1981م،ص229،230.مادة (بدَعَ)

والأكيدُ أنّ جملة المعاني التي دارت حولها المادة اللّغوية[بدَعَ ، أبْدعَ ، ابْتدَعَ، بَدِيعْ البِدعُ البِدعَةُ ، استبْدَعَهُ] مما سبق ذكره و ليس بإمكاننا الخروج ، عنها في مادة كل معجم هي كالآتي :(الاختراع، الحدث، الابتداء و الإنشاء، الشيء الأول، الحُجة والخلق الاستنباط والجديد) .

والناتج أنّ هذه الإطلاقات جميعا ترجع لمعنى واحد : وهو ابتداءُ الشيء وصنعه لا عن مثالٍ .

نخلصُ إلى أن البدعة تعني الحدث في الدّين بعد الإكمال أو ما استُحدِث بعد النبي (ص)، من الأهواء والأعمال.

ب/**في الاصطلاح:**

ب-1) **عند أئمة الحديث و التفسير و الأصول:**

إنّه وممّا لاشك فيه أن للبِدعة في الدّين لشرًّا كبيرًا مُنتظرًا يصيبُ المجتمع بأصوله وفرُوعِهِ ، ممّا جعل ذلك جمهرة الأئمة والعلماء يسلطون عليهما الضوء الّذي يكشفُ جوانبهما حيث تُصيبُ البدعة القلوب فيُبعدها عن إتباع طريق الله –عز وجل–.

ولقد صنف العلماء الأئمة على مر العصور مُصنفات جليلة في التحذير من الابتداع والأمر بالإتباع ومنه فقد اختلفت تعريفات بعض الأئمة والعلماء للبِدعة بسبب اختلافهم في فهم معناها في الشرع نذكر منها مايلي :

1)-**العلامة الشّريف الجرجاني** (ت740ھ)

«البدعة هي الفِعلَةُ المخالفةُ للسنّة، سُميّت البدعة، لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام»[1]

نلحظ من خلال تعريف الجرجاني توجيه دعوة أو تنبيه على البدع في شتى فروع الدّين وأن معرفة البدع أمر لابد منه ، وهي الشر الذي يجب معرفته لا لإتيانه بل لاجتنابه .

---

(1)- العلاّمة علي بن محمّد الشّريف الجرجاني: كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، طبعة جديدة ، بيروت –لبنان ، 1985ھ،ص24.

2)-**الإمام الشاطبي** (790هـ)

«فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مُخترعة تُضاهي الشرعية ، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعَبُد لله سبحانه »[1]

فتعريفه هذا على رأي من يخصُ معنى البدعة بالعبادات، ولا يدخلُ فيها الأعمال العادية إلا على الطريقة الشرعية.

3)-**القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين :**

«هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة و التابعون: ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي »[2]

4)-**المعجم المفصل في الأدب :**

«هي ما أُخذ على أنّه من الدين و ليس منه كالذكر بألفاظٍ معينة، وحركاتٍ محددة، وخروج المواكب بشارات ورايات ، و كالطواف حول قبول الصالحين، وكلُّ ما أُحدِث بعد النبي (ص) وفيه كتبٌ عديدة»[3]

ونخلص إلى أنّنا نلمسُ من التعريفين 3و4، أن المدلول العام لمصطلح البدعة سواء أكان ذلك لدى كلٍ من علماء اللّغة والدين أو أئمة الحديث و التفسير والأصول يكمن في المعاني الآتية:

1/البدعة في الدين تعني الحدث بعد الإكمال، أو ما أُستُحدِثَ بعد النبي (ص) من الأهواء والأعمال وفي ذلك يقول عليه الصلاة و السلام "**كل مُحدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالّة ،وكلُ ضلالّة في النّار** " فهي قاعدة عامة محكمة شاملة لكُل محدثة قصد بها القربة وحصر البدعة بكل أوصافها .

---

(1)- الإمام أبي إسحاق اللّخمي الشاطبي الغرناطي :الاعتصام : ض و تص : أحمد عبد الشافي ، ج 1، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان ، 1408هـ-1988م،ص28.

(2)- محمود حامد عثمان : القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليّن ، محمود حامد عثمان : دار الزّاحِم للنشر و التوزيع ، ط 1، الرياض – السعودية ، 1423هـ-2002م،ص85.

(3)- محمد التونجي: المعجَم المفصّل في الأدب ، ج1، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت-لبنان ،1419هـ-1999م،ص173.

2/ البدعة تُعنى بكل ما أُبتدع من الدين، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها (أي خالقها و مُبدعها)

3/البدعة تكون بالفعل و الترك، و البدعة تكون في العبادات و المعاملات، والبدعة تكون في العقائد و الأقوال و الأعمال.

4/المراد بالأصل في البدعة "كتاب الله ، وسنة رسوله والإجماع".

وعليه يظهر أنّ البدعة:" تُضاهي الطريقة الشرعية، أي: تُشابهُها، من غير أن تكون في الحقيقة كذلك.*وأن يُقصد بالسلوك على البدعة المبالغة في التعبُد لله تعالى، وهذا هو تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها.*كما تكون باقتراف غير المشروع، تكون أيضًا بترك ما هو مشروع إذا كان القصدُ من هذا الترك التعبُد لله تعالى بذلك. فللبدعة إذا علاقة وثيقة بالمقصدية*و أن المقتضي للبدعة لو كان موجودا في زمانه (ص)، ولم يشرع لها حكما زائدا عُلِم أن السكوت دليل على أن قصده الوقوف عند هذا الحد، و أن يدخل في البدعة الضلالة: كل ما خالف قواعد الدين و أصوله، و القرآن والسنة و إجماع سلف هذه الأمة"[1]

(1)- الإمام الشاطبي : الاعتصام :ض و تص: أحمد عبد الشافي ،ج1، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت-لبنان ، 1408هـ-1988م،ص30،29.

و جلُ ما توصلت إليه مما سبق أن البدعة تُعبر عن كل جديد مُستحدث لا أصل له في العقائد و العبادات.

وفيما يلي عرض إجمالي لتعريفات بعض الأئمة – رحمهم الله –للبدعة وهم كالآتي : " 1)–**تعريف الإمام الغزالي في الإحياء** (ت505ﻫ): «**فليس كل ما أبدع منهيا عنه، بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة، أو ترفع أمرا من الشرع مع بقاء علتهِ**» أي أنه ليس من الواجب أن يكون كلُ ما أُبدعَ منهيًا عنه، يقوم باحتمال البدع الشرعية (النهي) والبدع الدُنيوية (الإباحة) ؛ وذلك بحسب إتباع قواعد وتعاليم الدّين والسُنة النبويّة الشريفة 2)– **تعريف ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث** (ت637ﻫ):«**البدعةُ بدعتان: بدعة هُدى وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله (ص) فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح...**» وعلى هذا الأساس تنقسم البدعة إلى بدعة هُدى وضلال وفي ذلك خلاف علماء الشرع .3)–**تعريف عز الدين بن عبد السلام في قواعد الأحكام** (ت660ﻫ):«**البدعة: : فعل ما لم يُعهد في عصر رسول الله (ص) وهي مُنقسمة إلى بدعة واجبة ،وبدعة محرمة وبدعة مندوبة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مُباحة** » بمعنى أن الطريق لمعرفة البدعة مرتبطة بفهم قواعد الشريعة فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة وإن كانت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت أيضا ضمن قواعد المندوب فهي مندوبة ، وإذا دخلت في قواعد المباح فهي مباحة خاصة أثناء عهده صلى الله عليه وسلم .4)–**تعريف محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي** (ت1304ﻫ):« **هو الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثات بعد الصحابة ،بغير إذن الشارع لا قولا ،و لا فعلا ولا صريحا، ولا إشارة، فلا يتناول العادات أصلا بل يقتصرُ على بعض الاعتقادات وبعض صُور العبادات...**» و على وجه الخصوص نرى بأنّ محمد بن عبد الحي تحدث عن مفهوم البدعة بمعناها الشرعي الخاص دون أي زيادة ونُقصان، أو تحريفٍ يُذكر ففي المسألة خلاف كبير بين أهل العلم." [1]

---

(1)– سعيد بن ناصر الغامدي : حقيقةُ البدعة و أحكامها ،ج1، مكتبة الرُشد للنشر و التوزيع ، ط3، الرياض –السعودية ، 1419ﻫ–1999م،ص 352–363.

رابعًا/<u>مفهوم القصد و المقصدية</u>: لقد قام الإمام الشاطبي –رحمه الله – باستقراء الخطاب الديني قصد استجلاء مقاصدهِ ، لأن الحرص على استقصاء المقاصد أمر يصلُ حد الضرورة فالأصلُ أن ترتبط الأسباب بمُسبباتها ، والمقدمات بنتائجها ، وبهذا تصبحُ المقصدية وفق ما يراها الشاطبي وحدها ، المرجعية المركزية لكُلِ التأويلات والأفهام، وهي بمثابة مُسلمة لا تقبلُ التشكيك ، ولا يرتابُ في ثبوتها أحد ممن ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع ، كما قام بالبرهنة على ذلك فضلاً عن مناقشة المخالفين لها ، مُعتمدًا على آليات منطقية ومعرفية .

أ/ **<u>تعريف المقاصد</u>: 1/لغة: القصْدُ: استقامةُ الطّريق, وقصد يقصِدُ قصداً فهو قاصِدٌ. والقصْد: ألا تسرف ولا تقتر، وفي الحديث "ما عال مقتصدٌ ولا يعيل"** [1].

2/اصطلاحاً: "الحكم التي أرادها الله من أوامره ونواهيه لتحقيق عبوديته وإصلاح العباد في المعاش والمعاد"[2]**. وهذا تعريف مقاصد الشريعة.**

و المتدبرُ لمفهوم المقصد، كما صاغهُ الشاطبي في مدونة الاعتصام، يلقاهُ مشحونًا بالمضمون الإرادي و القيمي، كما أنهُ امتزاج بين التجربة الوُجدانية الإنسانية والغاية السلوكية فيما اصطلحَ عليه بمقاصد الشارع ومقاصد المكلف؛ ذلك أن « **الإحداث في الشريعة إنما يقعُ : إما من جهة الجهل ، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل ، و إما من جهة إتباع الهوى في طلب الحق ، وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة وقد مر في ذلك ما يؤخذُ منهُ شواهد المسألة ، إلا أن الجهات الثلاث قد تنفردُ وقد تجتمعُ فإذا اجتمعت فتارة تجتمعُ منها اثنتان وتارة تجتمعُ الثلاث ، فأما جهة الجهل فتارة تتعلقُ بالأدوات الّتي بها تفهمُ المقاصد ، وتارة تتعلقُ بالمقاصد ، وأما جهة تحسين الظن فتارة يشرك في التشريع مع الشرع ، وتارة يقدمُ عليه وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد أما جهة إتباع الهوى فمن شأنهِ أن يغلب الفهم حتّى يغلب صاحبهُ الأدلة أو يستنِدَ إلى**

---

(1) – الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ترتيب د. عبد الحميد هنداوي, (بيروت: دار الكتب العلمية ط1, 2003م), 3/393–394, مادة ق–ص–د .

(2)– يوسف أحمد محمد البدوي: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، دار النفائس للنشر والتوزيع, الأردن, ط1, 2000م),

غير دليل، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد، فالجميعُ أربعة أنواع هي: 1-الجهلُ بأدوات الفهم. 2- والجهلُ بالمقاصد .3-وتحسين الظن بالعقل .4-و إتباع الهوى»[1]

وبواسطة هذا الترابُط الضروري بين الشرع و العقل، الّذي أقرهُ أبو إسحاق الشاطبي إقرارًا تتجلى إلى حدٍ ما أسباب اختيار المقصد الشرعي بوصفهِ علّة ، ذلك أنهُ يمكنُ من بيان الجانب الأخلاقي الّذي تحدِثهُ الشريعة في السلوك ، كما يُمكّن من الكشف عن غايات هذه الشريعة في كل حالات الممارسة الإنسانية وما تؤولُ إليه.

خامسا / المقصدية لدى الإمام الشاطبي:

5-أ/ **آلياتها النظرية(التعليل والمصلحة)**: وتنقسمُ إلى:

***آلية التعليل**: اعتمدَ فيها الشاطبي على إظهار مقاصد الشرع، لأن أمر العمل بالمقاصد لا يستقيمُ إلا بالاقتناع به والمشي على أوزانهِ، فهو أساس فكرة المقاصد ، ففكرة التعليل تعدُ وسيلة لفقه استنباط مقاصد الشارع ولا خلاف فيها ، وقد أوردَ الشاطبي نصوصًا كثيرة تثبتُ مقاصد الشريعة ، منها ما يتعلقُ بأصول العبادات أو العادات والمعاملات ، لتكون ظاهرة وخاضعة لأوامر الله ونواهيه ، كقوله تعالى في « **البعث ﴿ ولقد نعلمُ أنهم يقولون إنّما يعلمه بشرٌ لسانُ الّذي يُلحدونَ إليه أعجمي وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين﴾ [النحل : 103] وقال أيضا في موضع آخر :﴿ ولو جعلناهُ قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياتهُ﴾ [فصلت : 44] ، فجرى الخطاب به على معتادهم في لسانهم ، فليس فيه شيء من الألفاظ و المعاني إلاّ وهو جارٍ على ما اعتادوه ، ولم يداخلهُ شيء ؛ بل نفى عنه أن يكون فيه شيء أعجمي ، وقوله في أصل الخلق :﴿ وما من دابةٍ في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلمُ مستقرها ومستودعها ﴾[هود: 6] ، فهذا من العام الظاهر الّذي لا خصوص فيه فإن كل شيء من سماء و أرض وذي روح وشجر وغير ذلك فالله خالقهُ ، وكل دابة على الله رزقها»**[2] .

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص408.409.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص408.409.(مصدر سبق ذكرهُ)

*آلية المصلحة: تعدُ المصلحة أساس التشريع وليست أحد مصادرهِ فقط، فجلبُ المصلحة ودرء المفسدة هما أساس لنظام كوني تشريعي ووُجودي " نظام الكون ونظام البشر" وهو أقرب ما يكون إلى القانون الكلي الشامل الّذي ينظمُ الحياة كلها ، أما الإمام الشاطبي فهو يرجعُ دور هذه الآلية إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشهِ ، ونيلهِ ما تقتضيهِ أوصافهُ الشهوانية والعقلية على الإطلاق ، وحتّى يكون منعما بها « **ومثالُ ما حكى الغزالي عن بعض أكابر العلماء ،أنه دخل على بعض السلاطين فسألهُ عن الوقاع في نهار رمضان فقال : "عليك صيام شهرين متتابعين" ، فلما خرج راجعه بعض الفقهاء وقالوا له : القادر على إعتاق الرقبة كيف يعدلُ به إلى الصوم ،والصوم وظيفة المعسرين وهذا الملك يملكُ عبيدًا غير محصورين ؟ فقال لهم: لو قلت له عليك إعتاق رقبة ، لاستحقرَ ذلك وأعتق عبيدًا مرارًا ، فلا يزجره إعتاق الرقبة ويزجره صوم شهرين متتابعين ، فهذا المعنى مناسب لأن الكفارة مقصود الشرع منها الزجر ، والملك لا يزجرهُ الإعتاق ويزجرهُ الصيام ، وهذه الفتيا باطلة ،لأن العلماء بين قائلين : قائل بالتخيير ، وقائل بالترتيب، فبقدمُ العتق على الصيام ، فتقديمُ الصيام بالنسبة إلى الغني لا قائل به ،على أنه قد جاء عن مالك شيء يشبهُ هذا لكنه على صريح الفقه»**[1] .

إذن، فالمصلحة مقترنة بجلب المنفعة أو دفع المضرة، وهذه المنفعة هي كل لذة و متعة سواء كانت جسمية أو نفسية أو عقلية أو روحية ، بحيثُ لا تتعارضُ مع العقل نظرًا للوحدة بين المصلحة والعقل و الشرع ، فالمصلحة أساس التشريع ، والشريعة جاءت لحفظ المقاصد الكبرى الّتي منها العقل.

5-ب/أنواعها (الضرورية، والحاجية، والتحسينية): لقد أشار الشاطبي في مسألة المقاصد إلى أن تكاليف الشريعة ترجعُ إلى حفظ مقاصدها في الخلق،وهذه المقاصد لا تعدُو ثلاثة أقسام:«**كون الشارع قاصدًا للمحافظة على القواعد الثلاث :الضرورية، والحاجية ، والتحسينية**»[2]، وسنتناول كيفية ورود هاتهِ الأقسام الثلاث في مدونة الاعتصام كالآتي :

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام،ج1-2، ص309.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أحمد الريسوني : نظرية المقاصد،-مرجع سبق ذكره-، ص 310.

*الضرورية:كما جاء في :« **قوله تعالى :﴿ يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين وكلُوا ممّا رزقكم حلالاً طيبا واتقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾[المائدة : 88.87] ، وهذا المعنى في تحريم ما أحل الله من الطيبات تديُنًا أو شبه التدين والله نهى عن ذلك وجعلهُ اعتداء ، واللهُ لا يحبُ المعتدين ، ثم قررَ الإباحة تقريرًا زائدة على ما تقرر بقولهِ :﴿ وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيبًا﴾[المائدة :88] ، ثم أمرهم بالتقوى ، وذلك مشعر بأن تحريم ما أحل الله خارج عن درجة التقوى**»[1] ،*الحاجّية وتكون مرتبطة بضروريات نظام الحياة كالعبادات، والمعاملات، و العقوبات والإجازات ، كالذي جاء في:« **حكى المسعودي وغيره من ذلك أشياء فطالعها من هنالك ، وقد وقع القتل في العرب الجاهلية ولكن على غير هذه الجهة وهو قتلُ الأولاد لشيئين : أحدهما خوف الإملاق والآخر : دفع العار الّذي كان لاحقا لهم بولادة الإناث ، حتّى أنزل الله تعالى في ذلك :﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحن نرزقكم و إياكم﴾[الإسراء :31] وقوله أيضا: ﴿ و إذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: 9.8]**»[2] .*التحسينية: تتعلقُ بأحكام حفظ الدين والنفس كما جاء في:« **حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –أنهُ عليه الصلاة والسلام قال: " بادِرُوا بالأعمال فِتنًا كَقِطَعِ اللّيل المظلم ، يصبحُ الرجلُ مؤمنا ويُمسي كافراً فيبيعُ دينهُ بعرض الدنيا "، وفسر ذلك الحسن قال : يصبح محرما لدم أخيه وعرضهِ ومالهِ ، ويمسي مستحلاً له ، كأنهُ تأولهُ على الحديث الآخر:" لا ترجعُوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" ، والله أعلم**»[3] .

وفي موضع آخر« **وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله(ص) :" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشُو الزنا ويشرب الخمر ، وتكثر النساءُ ، ويقل الرجال ، حتّى يكون للخمسين امرأة قَيِّمٌ واحدٌ**»[4]. وهكذا، فمراتبُ المقاصد لدى الإمام الشاطبي خادمة لبعضها البعض، ويخصُ بعضها البعض، فإذا كان كذلك فلابُد من اعتبار الكل في مواردها وبحسب أحوالها، وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلُ على مقتضيات وبوادر الفكر المقاصدي و الإحالي لدى الإمام الشاطبي لا غير.

---

(1)-(2)-(3)-(4)- أبي إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج1-2، ص263.212.211.(مصدر سبق ذكرهُ)

من خلال هذا التحليل يتبين لنا أن دلالة نظرية المقاصد يصعب حصرها في بعد واحد لاحتوائها على قابلية عجيبة للفهم المتعدد، لهذا خَلُصَ في الأخير إلى القول "و على الجملة فان الفعل "قصد" قد يكون بمعنى "حصل فائدة" أو "حصل نية " أو بمعنى "حصل الغرض" فيشمل "علم المقاصد" إذ ذاك على ثلاث نظريات أصولية متمايزة فيما بينها، أولها نظرية المقصودات، وهي تبحث في المضامين الدلالية للخطاب الشرعي والثانية، نظرية القصود وهي تبحث في مضامين الشعورية أو الإرادية، والثالثة نظرية المقاصد، وهي تبحث في المفاهيم القيمية للخطاب الشرعي .

بهذا المعنى يتضح أن الفهم الصحيح للمقاصد يقوم على هذه الشمولية التي تفرضها النظرية نفسها، لذا تقتضي منا الضرورة أن لا نتقيد بالتعريف الذي وضعه الطاهر ابن عاشور.

من جهة أخرى فإن هذه القابلية للفهم المتعدد لم تمنع الشاطبي من إرساء نظام قيمي دقيق نظم في داخله ما يحمله ذلك المصطلح من الدلالة، إذ ذهب إلى التركيز على تحديد مفهوم المصلحة تحديدا يعبر عن تلك الدقة، حيث يقسمها إلي نوعين:

فالأول يعتبر من جهة قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً، ومن جهة قصده في وضعها للأفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده دخول المكلف تحت حكمها.

أما النوع الثاني فيتمثل في مقاصد المكلِّف التي بيَّنَهَا في "أن الأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات، من العبادات والعادات" و "قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع".

هذه المقولات تتفرّع منها قضايا فرعية أخرى لا يتسع الأمر لذكرها، لكن تبقى محتواة في الأولى. وهذا الاعتبار هو الذي منح نوعاً من الانسجام بين مقاصد الشارع ومقاصد المكلَّف.

إضافة إلى هذا التقسيم المنهجي، عمد الشاطبي إلى بيان أن المقاصد في حد ذاتها تنقسم إلى ضرورية و حاجية وتحسينية، وهذا بطبيعة الحال يعكس النظام القيمي الّذي على أساسه

تتوزع وتترتب عملية تحقق المقاصد في أبعادها الشرعية والاجتماعية. ولذلك وضع خمس قواعد أساسية؛ هي:

*القاعدة الأولى: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي.

* القاعدة الثانية: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقين بإطلاق.

* القاعدة الثالثة: أنه لا يلزم من اختلال الباقين اختلال الضروري.

*القاعدة الرابعة. أنه قد يلزم لاختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي اختلال الضروري بوجه ما.

*القاعدة الخامسة: أنه ينبغي المحافظة على الحاجي والتحسيني للضروري.

وإجمالا،نصل إلى خلاصة واضحة وهي أن الشاطبي له مبرّراته الموضوعية التي دفعته إلى عدم وضع تعريف جامع مانع لمفهوم المقاصد، بل عمد إلى إيراد إيضاحات إجرائية متعلقة بالجانب التطبيقي لهذا المفهوم.

والقصد بالجمع بين الكليات والجزئيات..الجمع بين الأدلة الدالة للقطع والمستقرأة من جزئيات أفادت الكلي به القطع؛ والمسمى الكليات الثلاث: وهو الضروري والحاجي والتحسيني"، مثل "الضرورات تبيح المحظورات" "وتقدر بقدرها" "والمشقة تجلب التيسير"... وهناك الكليات النصية العامة كقوله تعالى: "إن الله يَأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأمانَاتِ إلَى أهْلِهَا وَإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْل..." [النساء-58] "وَأوْفُوا بِالعُقُود" [المائدة-1] "وَأوْفُوا بِالعَهْد" [الإسراء-34] "ألاَّ تَزِرُوا وَازِرَةٌ وِزْرُ أخْرَى" [النجم-38]، وفي الحديث: "لا ضرر ولا ضرار"، "إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"، "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"، "إنما الأعمال بالنيات". فيجب الجمع بين هذه الكليات، وبين تلك الأجزاء؛ التي بجمعها ولمِّ شتاتها أعطت الكلي منه صورة قطعية ثابتة الحكم.

فمعرفة حقيقة الجزئي ومفاده العلمي لا يرى إلا من خلال الأدلة الكلية، وكذلك الكلي بدون الجزئي لا حقيقة لوجوده إلا في الأذهان والعقول لا في الخارج الواقعي، ومفاد القول الجمعي بينهما؛ أنه لا يجوز الاستغناء في استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية بِوَحد، دون

الرجوع إلى القواعد الأصولية المقصودة للشارع، وكذلك لا يجوز الركون على القواعد بدون عرضها على التفصيليات، فثمرة الاجتهاد التكاملي موقوفة على معية عملية المتلازمين المذكورين، وهذا نوع من ضروب الاجتهاد المقاصدي" [1].

تحصيلا، بإمكاننا القول أن نظرية المقاصد عند الشاطبي تُعَدُ منهجية تستطيع أن تُنقذ الاجتهاد الأصولي وتطبيقاته في المجتمع الإسلامي المعاصر.

(1)- أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقديم، طه جابر العلواني، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط4، 1995م)، ص369-372.

سادسا/ الدلالة العامة و الخاصة لدى الإمام الشاطبي:

لقد نبّه الإمام الشاطبي على « هذا المسلك الاجتهادي المنسق بين كلّيات الشريعة و جزئياتها ...و أن هذه الكليات تقضي على كل جُزئي تحتها ...إذ ليس فوق هذه الكلّيات كُلِي تنتهي إليه؛ بل هي أصول الشريعة...ثم قال :" وإن كان كذلك ، وكانت الجزئيات وهي أصول الشريعة فما تحتها –مستمدة من تلك الأصول الكليّة – شأن الجزئيات مع كلياتها في كل نوع من أنواع الموجودات ، فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكلّيات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسُّنة و الإجماع و القياس ؛ إذ مُحَال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها ، "فمن أخذ بنص –مثلاً– في جزئي، مُعرضًا عن كِلّيهِ، فقد أخطأ ...فكذلك من أخذ بالكلي مُعرضًا عن جُزئيه" ، فلابد من اعتبارهما معًا في كل مسألة»[1]

إذًا، فلُغة الشاطبي المتخصصة لا تتكامل بعضها مع البعض إلاّ إذا اتصلت بمجموعة من الآليات التي تقوم باتساقها و انسجامها ضمن سيّاقها النصي المتفاعل مع نصوص أخرى، وذلك حسب جمهور العلماء و المفسرين ونخص بالذكر الأصوليين منهم وهي كالآتي:

1/ **سياق الخطاب وآلياته:** وتُعنى هذه الميكانيزمات بجُملة القرائن و الدلائل المتخصصة بدلالة النص غير المعمّمة على المعنى ككل ، ومنه فهذه الأدلة قد تتصل بالنص في حدِّ ذاته وقد تكون منفصلة عنه تمامًا، وهي بمثابة أدلة خارجية، لذلك تنبهَ علماء الأصول إلى أهمية تلك العلاقات، حيث يدل على هذا الاهتمام الشروط التي وُضعت فيمن يتصدّى لتفسير القرآن وتأويله...وتدخل هذه الشروط ضمن آليات التخصيص و ترتبط بنظرية السياق و المراحل التي تسيرُ وُفقَ العملية التأويلية ومن بين هذه الآليات نذكر:[الحس ، العقل ،الآلة اللُّغوية ، والعُرف القولي]

---

(1)– أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، تق: طه جابر العلواني ، ط4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن، فيرجينيا– و.م.أ ، 1415هـ–1995م، ص 371.370.(مرجع سبق ذكرهُ)

«أ/**الآلية الحسية**:وتتعلق هذه الأخيرة بآلية الخطاب عندما ترتبطُ دلالته بالواقع المحسوس وبالإمكان تطابُق ما يُسمى بالبيئة الطبيعية المتعلقة بالمظاهر الطبيعية الكونية ، كما تعتمدُ على الحواس الخمس وإدراكها مع عدم استقامة قواعد الأصول الشرعية والعقلية فإذا اعتبرنا نصًا ما أنه عام دالٌ على حسِ المشاهدة مع عدم الموافقة لإرادة الشارع ، فهذا الواقع يُعد من أحد آليات التخصيص، ومنه قوله تعالى ﴿ مَا تَذَرُ مِن شيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ الذاريات /آ42 ،بمعنى آتت كلّها على مشارب الأرض والجبال ولم تتخذها رمِيمًا بدلالة الحس، فهذا هو الدال على أن ما خرج من عموم اللفظ لم يكن مُرادًا للمتكلم فكان مُخصصًا .

ب/**الآلية العقلية** :(فعن أي عقلٍ نتحدث)،إذا تعاملَ مُتلقي الخطاب بعقلهِ وليس بإمكانه إلغاء أو نُكران مثل هذا الأمر؛فإنهُ يُعد الواسطة الّتي من خلالها يستطيعُ الإنسان اعتبار بُنى التلقي و الفهم وصِيّغ التحليل ، فاللّغة في حد ذاتها قائمة على هذا الأساس ، ونذكر في هذا المقام الإمام الغزالي (ت 505هـ) لهذه القرينة بقوله " دليل العقل و به خصص قوله تعالى ﴿.. وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...﴾آل عمران /آ 97 بمعنى خرج منه الصبي والمجنون ، كون العقل يدل على استحالة تكليف من لا يفهم ، ومنه فقد يكون المخصص ضمن هاتهِ الآية نقليًا كقوله (ص) " رُفع القلم عن ثلاثة : الصبي حتى يحتلم و المجنون حتى يعقل و النائم حتى يصحُو " .وهذا يعتبر بمثابة دليل نقلي بإمكانه تخصيص النص الساق ، قال الشاطبي :" إن الأدلة المنفصلة لا تُخصص و إن سلم أنها تخصص فليس معنى تخصيصها أنّها تتصرفُ في اللفظ المقصود به ظاهرهُ بل هي مبنية أن الظاهر غير مقصود في الخطاب ، بأدلة شرعية دلت على ذلك ، فالعقل مثلها فقوله: "والله على كل شيء قدير " خصصه العقل بمعنى لم يرد في العموم ذات الباري و صِفاته لأن ذلك مُحال ؛ بل المراد جميع ماعدا ذلك ..."

ج/**الآلية اللُّغوية و مقصدية الخطاب** : حيثُ تستندُ هذه الآلية على إشارة و علامة مُتصلة بالنص ، تقوم بتحريك فكر المتأمل ولفت انتباهه و دورها تبيان ما التبسَ على المخاطب و توضيح الشيء المخفي منه مع إضافة معنًى زائد لكلمة يراها و يتيقنُها صاحب الخطاب كقوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ..﴾ آل عمران آ173 ،إذ قال فيها الزركشي :" وعمومه يقتضي دخول جميع النّاس في اللفظين

جميعًا والمراد بعضهم؛لأن القائلين غير المقول لهم والمراد بالأول : نعيم بن سعيد الثقفي والثاني: أبو سفيان و أصحابه .. ومنه فإنّ مبدأ (العبرة بعموم اللفظ لا بخصُوص السبب) يتعارضُ والقاعدة التي ذاع صِيتُها لدى جمهور علماء الأصول وهي قولهم : "ما من عامٍ إلاّ خصص" :" وهذا يُورثُ شبهة في شمول العام لكل أفراده ، فتكون دلالته عليها ظنية ولهذا يجب على المجتهد –إذا عرض له لفظ عام – أن يُطيل البحث و التحري، حتى لا يفُوته التخصيص مع وجود المخصص"..وهكذا يتضحُ لنا مما سبق ذكره أن الاستدلال يُعتبر كآلية من آليات التخصيص على مستوى النص، فلا يكفي أثناء تحقيق مقصدية الخِطاب الوصول إلى درجةٍ من الاتفاق عليها؛ بل لابد من الانضمام إلى عدة اعتبارات أهمها مراعاة قصد الشارع الحكيم ، والدليل هو أن النص قد يردُ مخصُوصا من ناحية دلالة اللفظ ثم يُعمم، كون الخطاب ذكر اللفظ على سبيل المثال ويُقاس عليه كل معنًى يُؤدي إلى القصد نفسه.

د/**العُرف القولي** : ومما يرتبط بآليات السياق المخصص العُرفي، فهو إما يكون عُرفًا قوليًا يتعلقُ بدلالة الألفاظ ويتم نقله من معناه لأصلي على مستوى معنًى جديد ،أو عُرفا عمليا وهذا ما تعارف عليه النّاس و جرت عليه العادة لديهم ، وهكذا فالأول مرتبط بالدّلالة اللّغوية و الثاني مرتبط بالقرائن الاجتماعية " وسواء أكان العُرف قوليا أم عمليا ، لابد أن يكون موجودًا عند صدور العام الذي يُرادُ حملهُ عليه و بيانهُ به، بمكان معرفة معهودات العرب في أساليب كلامهم في بيئتهم التي كانت مهبط الوحي ومنزل الشريعة ، ومن أمثلة العرف القولي الذي غيّر معنى اللفظ إلى معنى خاص مُغاير في معناه اللّغوي :" كقولهم في الحالف :والله لا أضعُ قدمي في دار فلان وفي النذر على المشي إلى بيت الله ، فإنّهم أرادوا بالأول الدخول لا حقيقة وضع القدم وبالثاني المسجد الحرام لا كل مسجد مع أن المساجد كلها بيوت الله "..و أما العُرف العملي لا يعملُ به على إطلاقه؛ بل ما كان منه مُعارِض لأحكام الشريعة فهو مُلغة شرعًا كتعارُف العامة على الحلف بالأولياء بدلاً من الحلف بالله فهو عُرفٌ فاسد لا يلتفتُ إليه و خروج النساء بشكلٍ يثير الفتنة وغير ذلك مما ابتدعهُ النّاس تقليدًا للأجنبي أو قصدًا إلى عرض غير شريف »[1]

(1)– عرابي أحمد: أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ط1، دد، مصر، 2010، ص175/166.

2/**منهجهُ الأصولي**: تفردَ الإمام الشاطبي – رحمه الله – بنظرةٍ خاصةٍ لم يعتبرها كثيرٌ من الأصوليين و الفقهاء، وتمثلَ ذلك باعتبار عدة أمور:

*من جهة النصوص : وذلك بإثبات الكلية و الجزئية ، واثبات الاستقراء كدليل لإثبات الحكم بمجموع الصور لا بعضها ، وربط أطراف المسائل النقلية بقرينتها العقلية ، واستنباط الأحكام منها .

*من جهة المعاني:فأخذ بالمصالح و ضبطها بضوابط سليمة، ثم قسمها، ثم نظر إلى علاقتها بالتعليل.

*من جهة المصادر و ضوابط الاستدلال: والّتي تحتوي على عدة أمور مهمة ، مما نلمسُ فيه الكثير من المسائل الّتي تُؤثر في علم أصول الفقه .

– ومن هنا سوف نتطرقُ لجملة هاته الأمور بالشرح و التحليل على النحو الآتي :

إن إشكال«القطع و الظن في أدلة الفقه الإجمالية تمثلُ جانبًا آخر من مقومات الفكر الأصولي عندهُ...فلم ينكر أبو إسحاق إمكان تطرق الظن إلى بعض آحاد الأدلة و الفروع الفقهية، لأنّها قابلة لتفاوُت الأنظار وتطرق الاحتمالات، لكنهُ عمِلَ على إخراجها من حيّز الظنية، ونظمها في سلك الأصول الكلية، وما تصديرهُ لأول مقدمة في موافقاتهِ للاستدلال على قطعية أصول الفقه إلا شعور منهُ بما يفرضهُ هذا الإشكال في الأبحاث الأصولية»[1]

(1)– عبد الحميد العلمي: منهجُ الدرس الدّلالي عند الإمام الشاطبي (ت790هـ)، تح : د.عبد الكبير العلوي المدغري ،د ط ،المملكة المغربية ،–مراكش ، 1422هـ–2001م ، ص 78.71.

وهكذا، فكلُ دليل شرعي «إما أن يكون قطعِيًا(*) أو ظنِيًا ، فإذا كان قطعِيًا ؛ فلا إشكال في اعتبارهِ كأدلة وجوب الطهارة من الحدث ، و الصلاة ، والزكاة ، و الصيام و الحج، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و اجتماع الكلمة ، والعدل ، وأشباه ذلك ، و إن كان ظنِيًا فإما أن يرجع إلى أصلٍ قطعِي أو لا ، فإن رجع إلى قطعي ؛ فهو معتبر أيضًا ، و إن لم يرجع وجبَ التثبُت فيه ، ولم يصح إطلاق القول بقبولهِ ، و لهُ قسمان : قسم يضاد أصلاً [قطعيًا] ، وقسم لا يضادهُ ولا يوافقهُ ، فالجميعُ أربعةُ أقسام : فأما الأول : فلا يفتقرُ إلى بيان ، وأما الثاني : وهو الظني الراجعُ إلى أصل قطعي ، فإعمالهُ أيضا ظاهر ، وعليه عامة ، أخبار الآحاد ؛ فإنّها بيان للكتاب لقوله تعالى :﴿و أنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما أنزل إليهم﴾ النحل :44...وكذلك ما جاء من الأحاديث في النهي عن البيوع و الربا وغيره من حيثُ هي راجعة إلى قوله تعالى :﴿وأحلّ الله البيع و حرم الرّبا﴾ البقرة : 275، وقوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ البقرة :188...ومنه أيضا قوله (ص) : " لا ضررَ و لا ضِرَار " ، فإنهُ داخل تحت أصل قطعي في هذا المعنى ، فإن الضرر و الضرار مثبوت منعهُ في الشريعة كلها ، في وقائع جزئيات ، و قواعد كليات ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوهنَّ ضِرَارًا لِتعتَدُوا ﴾البقرة : 231...ومنه النهي عن التعدي على النفوس و الأموال والأعراض ... وأما الثالث: وهو الظني المعارض لأصل قطعي ولا يشهدُ له أصل قطعي، أي ظاهِرهُ ولو شهد لهُ أصل ظني، لأنهُ الّذي لا يتأتى فرضهُ مع فرض أنهُ معارض لقطعي...و أما الرابع: وهو الظني الّذي لا يشهدُ له أصلٌ قطعِي ولا يُعارِضُ أصلاً قطعِيًا؛ فهو في محلِ النظر...وكلُ من خالف أصلاً قطعِيًا مردود؛ فهذا مردود»[1]

(*)-[ص 184 ، نقلا عن هامش كتاب الموافقات للشاطبي ، المجلد الثالث] أي : يكون قطعي الدلالة، سواء أكان قطعي السند بأن كان لفظهُ متواترًا أم كان متواترا تواتُرًا معنويًا بحيثُ تعاضدت عليه الروايات وموارد الشريعة حتّى صار مما لاشك فيه ، ولا يكفي في ذلك مجرد تواتر اللفظ إذا كان ظني الدلالة ، والظني ما يقابل ذلك ، وهذا في الكتاب و السنة ظاهر، و الإجماع أيضا منه ظني و قطعي ، أما القياس فكلهُ : ظني ، ولا يتأتى فيه القطع مع احتمال الاعتراضات الخمسة والعشرين ، فقوله :" كل دليل " ، ليس على عمُومهِ ، لأنهُ لا يجِيءُ هذا التقسيم في القياس كما عرفت .

(1)- أبي إسحاق بن محمد الشاطبي : الموافقات ، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد ، ض و تق و تع و تخ : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، المجلد الثالث ، ط1، دار ابن عفان للنشر و التوزيع ، الخُبَرْ، العقربية –السعودية ، 1417هـ-1997م، ص 206.186.185.184.

وبالتالي، فلم ترتبط إشكالية القطع و الظن بعلم أصول الفقه فحسب؛ بل تجاوزتهُ لترتبط بأحكام الشرع و أدلتهِ بصفة عامة : ففي نصوص الشرع ما هو ظني الثبوت ، ظني الدلالة معًا ، ومنها ما هو ظني الثبوت قطعي الدلالة ، ومنها ، ما هو قطعي الثبوت ، ظني الدلالة ، ومنها : ما هو قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة معًا ، فالأصول الّتي يبحثُ لها الشاطبي عن القطع ، هي ذات صورتين : إما أن تكون أدلة نصية ، كالكتاب والسنة من حيث أنهما قوانين كلية ، أي معاني مُستقرأة ومن نصوص الشريعة ، و آحادها الظنية الدلالة أو الثبوت أو هما معًا ، استقراء يؤدي إلى القطع بثبوت ذلك المعنى و شمولية الحكمة في الشرع و هذا هو معنى القطع المعتمد لديه بالقصد الأول « والمستنَدُ إليه في ذلك ؛ إما أن يكون دلِيلاً ظنِّيًا أو قطعِيًّا ، وكونهُ ظنِّيًا باطل ، مع أنهُ أصل من أصول الشريعة ؛ بل هو أصل أصولها ، و أصول الشريعة قطعية حسبما تبيَّنَ في موضعهِ فأصول أصولها أولى أن تكون قطعية ، ولو جاز إثباتُها بالظن ؛ لكانت الشريعة مظنونة أصلاً و فرعًا ، و هذا باطل ؛ فلابد أن تكون قطعية ، فأدلتها قطعية بلا بُدَّ فالعقلي لا موقع له هنا ؛ لأن ذلك راجِعٌ إلى تحكيم العقول في الأحكام الشرعية ، وهو غير صحيح فلابُد أن يكون نقليًا ، والأدلة النقلية ؛ إما أن تكون نصُوصًا جاءت متواترة السند لا تحتملُ منها التأويل على حال أو لا ، فإن لم تكن نصُوصًا ، أو كانت ولم ينقلها أهل التواتُر ، فلا يصِحُ استناد مثل هذا إليها ؛ لأن ما هذه صفتهُ لا يفيدُ القطع ، و إفادةُ القطع هو المطلوب و إن كانت نصوصًا لا تحتملُ التأويل ومتواترة السند ؛ فهذا مُفيد للقطع ، إلا أنهُ متنازع في وجوده بين العلماء»[1]

مما سبق ذكرهُ آنفًا، نرى أن الإمام الشاطبي قد قررَ في كتاب الموافقات ،على أن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية ، و الدليل على ذلك أنّها راجعة إلى كليات الشريعة وما كان ذلك فهو قطعي ، ويستدل الشاطبي على قوله بمايلي من الحجج وسنذكر منها الآتي :

1/الاستقراء الكلي لأدلة الشريعة، فهذا الاستقراء أفاد أن أصول الفقه قطعية لا ظنية.

2/ أنها ترجعُ إلى أصول عقلية وهي قطعية، و المؤلف قطعي، وذلك أصول الفقه.

---

(1)- أبي إسحاق بن محمد الشاطبي : الموافقات، المجلد الثاني – مصدر سبق ذكره–، ص79.

3/أن أصول الفقه لو كانت ظنية لم تكن راجعة إلى أمرٍ عقلي، إذ الظن لا يقبل في العقليات، ولا في كلي شرعي، لأن الظن إنّما يتعلقُ بالجزئيات ، إذْ لو جاز تعلُّقْ الظن بكُلِيات الشريعة لجازَ تعلقهُ بأصول الشريعة ، لأنهُ الكلي الأول ، وذلك غير جائز عادةً.

4/ أنهُ لو جازَ جعلُ الظني أصلاً من أصول الفقه لجازَ جعلهُ أصلاً في أصول الدين وليس كذلك باتفاق، لأن نسبة أصول الفقه من أصل الشريعة كنسبة أصول الدين و إن تفاوتت في المرتبة، فقد استوت في كونها كليات معتبرة في كُلِ ملة و هي داخلة في حفظ الدين من الضرورات .

5/أن الأصل لابُد أن يكون مقطُوعًا به،لأنه إن كان مظنُونًا تطرقَ إليه احتمال الاختلاف.

*وهذا ما يؤدي بنا إلى معرفة الفوارق الجوهرية بين أخبار اللّغة و الأحاديث، كونها كلّها أخبار آحاد فهي ظَنِّيَة ، فعلى أي أساس تم الاستنادُ إليها ، وقد وردَ الحديثُ عن هذا الأمر في كتاب المزهر للسيوطي ، حيث قال :« قال الإمام فخر الدين الرّازي في المحصول و أتباعه : الطريقُ إلى معرفة اللّغة إما النقلُ المحضُ كأكثرِ اللّغة ، أو استنباطُ العقل من النقل ، كما إذا نُقِلَ إلينا أنّ الجمع المُعرَّف يدخلهُ الاستثناء ، و نُقِلَ إلينا أن الاستثناء إخراجُ ما يتناولهُ اللفظ ؛ فحِينئذٍ يُسْتدَلُ بهذين النَّقْلين على أن صِيغَ الجمع للعموم و أما العقل الصّرف فلا مجالَ لهُ في ذلك. قال : والنقلُ المحضُ إما تواترٌ أو آحاد .. و هو ما لا يقبَل التشكيك كالسماء و الأرض والحر والبرد و نحوِها، و إما آحادًا كالقُرْءِ و نحوهِ من الألفاظ العربية»[1] ، ومنه، فالشاطبي من علماء الأمة الكِبار لكنهُ –رحمه الله– كغيرهِ بشرٌ يصيبُ ويخطئ ولذا فقد ظهرت منه بعض الأخطاء الأصولية ،الّتي خالف فيها ما عليه أهلُ السنة و الجماعة وبالتأمل في مؤلفاته، واستقراء مقالاتهِ يتبينُ لنا أنهُ –رحمه الله– يميلُ إلى قول الأشاعرة [*]

---

(1)– عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، شر و ض و تص وعن وتع: محمد أبو الفضل إبراهيم و آخرون ، ج 1، د ط ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، 1986، ص57.

(*)–نسبة لأبو الحسن الأشعري :وهي مدرسة إسلامية سنية ، اتبع منهاجها في العقيدة عدد من فقهاء أهل السنة والحديث وتعتبر منهجًا وسطًا بين دعاة العقل المطلق و بين الجامدين عند حدود النص و ظاهره .

في بعض المسائل : فيرى أن خبر الواحد لا يفيدُ العلم اليقيني ، و إنما يفيدُ الظن فقط وهذا مستفاد من تقسيماتهِ لخبرِ الواحد إلى الثلاثة و كلها ظنيّة ، و لم يحكم لأي نوعٍ منها على أنهُ قطعِي ؛ بل و يتضحُ هذا المعنى في أنهُ يرى أن خبر الواحد لا يقطعُ به و لو صحَ سندهُ ، إلا إذا استندَ إلى آية قرآنية قطعية ، إلاّ أنهُ –رحمه الله– يرى أن العقيدة تثبتُ بخبر الواحد إذا شهِدَ لهُ أصلٌ قطعِي كآية قرآنية أو سنة متواترة ، فيكون خبر الواحد حينئذٍ جُزئِي تحت معنى قرآني كُلِّي .

و الّذي قام به الشاطبي هو نقد علم الأصول ، من أجل إعادة تأسيسيهِ ، و طلب اليقين و القطع في مسائلهِ و قضاياه ، فقد عَمِلَ على وضع المنهج الأصولي في صورة متكاملة من جميع جوانبها .

الفصل الأول

الفصل الأول: لُغة الخطاب الدّيني "الأسس و المنطلقات و المفاهيم"

توطئة:

لقد أثار موضوع الخطاب الديني ومنحاه جدلاً كبيرًا ، وإشكالات كثيرة ، لعل أبرزها تقديم مفاهيم دقيقة له ؛ نتيجة الخلط بين الدّين والخطاب الديني ؛ وعليه- رأيتُ أنهُ من الأهمية بمكان- أن أعرض لمُختلف تعريفاتهِ ، وأسُسِهِ ، ومُنطلقاتهِ ، لأكشف عن الفرق الموجود بين الدّين والخطاب الديني .

وبما أن موضوع البحث هو الخطاب الديني ، أو الخطاب الدَعَوِي تحديدًا ، فإننا سنحاولُ توضيح بعض معالمهِ خدمة لمصلحة البحث ؛ فهو إذن خطاب يتضمن محتويات دينية عقيدية، أو يهدفُ إليها، وهو ثابت الأصول والأسس، ومُتغيِّر في المنهج والطريقة واللُّغة، كما أنهُ يُخَاطِبُ العواطف أحيانًا، ويتوجهُ إلى العقول أحيانًا أخرى، ويعتمِدُ أُسْلُوبَيْ الترغيب والترهيب كوسيلة للتأثير .

والخطاب الدينيّ يحتلُ في مجتمعنا الإسلامي موقعا هاما وجِدُ فعَال، وبالمقابل، فإن هذا الموقع يعتبر خطيرا نظرا للتأثيرات السلبية التي لا يضاهيه فيها أي خطاب آخر باعتباره يصوغ العقل ويوجه السلوك العام؛ وذلك لارتباط مجتمعاتنا بأصول الدين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فإننا نجد الخطاب الديني قد أصبح مِرآة عاكسة لصورة الحضارة والثقافة أمام الأمم والشعوب الأخرى ، إذْ من خلاله يتشكل الفكر الواعي لأمتنا و ديننا وثقافتنا.

إنّ الخطاب الدّيني يجب أن يكون خطاباً وحدويًا، يقوم على بلورة المفاهيم وصقلها، ليكونوا أُمَةً واحدة تربطهم عقيدة الإسلام، كما يعدُّ من أهم الخطابات في المُجتمع الإسلامي؛ لأنهُ يقومُ بدورٍ حاسم في بلورة رُؤية العالم عند الإنسان المسلم ، وصُنع آرائهِ ومواقفهِ ، وتشكيل وعيِّهِ وعقليتهِ، وسُلَمِ القِيم الّتي يعِيشُ ويتعايَشُ بها.

وعلى أساس ما تقدمَ جاء اهتمامي بدراسة الخطاب الدينيّ في كتاب الاعتصام، وُفْقَ الدرس اللساني التداولي، في محاولة للكشف عن أبعادهِ التواصُلية والتداولية، هادفة -من ورائهِ الكشف عن طرائقهِ ووسائل إقناعهِ لتدعيم فكرة الاعتصام وما يتعلقُ بها، وهي مُحاولة لم يسبق لأحد -على حسب اطلاعي-، دراسة هذا الكتاب القَيِّم دراسة أكاديميّة ، فيكونُ التناولُ له الدراسة الأولى ، لأننا نرى أن جوهر المدونة يُكْشَفُ وفق التحليل لخِطابها ، في ضوء الإجراءات اللسانية التداولية ، فالإمام الشاطبي في خطابهِ الدينيّ وظّف مصطلح البدعة الّتي لها تأثير عميق في فهم الخطاب الدينيّ ونصُوصهِ ، كما وظف أيضا

المشهورات العقَدِيَة ، والأخلاقية للرد على الكثير من الأقوال الباطلة ، فهذه المشهُورات تُعَدُ أسبابًا ضامنة للقول بنجاعتهِ ، وللبراهين بصِدْقِيَتِهَا ، ممّا يدل على خبرتهم في الحجاج والقرآن والحديث ، والمأثور عن الصحابة والتابعين وكذا العلماء .

أولاً:وظائف جاكبسون الست ودورها في فهم طبيعة الخطاب عامة والخطاب الدّيني خاصة:

بما أنّ التواصل أداء تفاعلي وسيرورة دائرية تتكاثر بفعل الانتقال من دورٍ إلى آخر، ومن وضعية الفعل إلى وضعية رد الفعل ؛ ذلك أن كل سلوك تواصلي للمُرسِل الباث (المتكلم) سيعمل باعتباره مُثيرا للمُرسَل إليه المتلقي (المستمع) الّذي يتقلّد بدوره دور المخاطَب ، فالخطاب –عموما– يعدّ مجموعة من المفاهيم والأفكار والتصورات الموجهة إلى الرأي العام، بُغيّة توجيهه والتأثير فيه قصد قيادته نحو وضعية أفضل ، وإنّ الحديث عن الخطاب الديني بصفة خاصة دون ربطه بالبُنى الثقافية والحضارية الّتي ساهمت في تطوره كانت السِمة الأبرز لدى المنظرين لهذا الخطاب ، ما انعكس –و بشكل سلبي– على الأحكام والنتائج المستنبطة ، وعلى هذا الأساس يجب علينا، أولا، التطرّق إلى معرفة وظيفة اللّغة بكل تشكلاتها في دائرة التواصل مع تحديد علاقة الوظائف اللسانية بالملفوظات وهذا ما تطرق إليه العالم اللساني ياكبسون (R.J–1982–1896)في كتابه المعنون ب" مقال في اللسانيات العامة " على النحو الآتي:

***اللّغة بين"الوظيفة و التبليغ و الشعرية** ":« ولعلّ هذه النظريات اللسانية التي سبقت جاكبسون وعاصرته، هي التي أوحت إليه وجوب دراسة اللغة بمراعاة كل تشكُّلاتها وتنّوعاتها ، أي وفق وظائفها "يجب أن تكون اللغة مدروسة في كل تشكّلات وظائفها ... المرسِل يرسل مرسلَة صوب مرسَل إليه، ولتكون المرسلة عملية، فإنها تتطلب قبل كل شيء سياقاً Un contexte يحال إليه (وهو ما نسميه أيضا في مصطلح غامض قليلاً المرجع le référent) ، سياقاً قابلاً لأن يكون مفهوماً من المرسل إليه، والذي يكون إمَّا لفظيًا verbal، وإما قابلاً لأن يكون كذلك. ثم إن الرسالة

(cutre léucodeur et le décodeur) تتطلّب رمز اتصال مشتركًا (un code) كليًا أو أقلّهُ جزئيًا بين المرسل و المرسل إليه (أو بعبارةٍ أخرى بين المرَمَّز décodeur و فاكّ الرموز للمرسلة) وتستدعي الرسالة أخيراً اتصالاً ، وقناة فيزيائية وارتباطًا نفسيًا بين المرسل و المرسل إليه و يسمح الاتصال بإقامة ودوام التبليغ " ذاهبا إلى أن كل عامل من هذه العوامل الستة الأساس في أية عملية تبليغ ، ينجم عنها ميلاد وظيفة لسانية مختلفة ، لأنه

يصعبُ على جُملة من الرسالات أن تؤدي فقط وظيفة واحدة وأما تنوُّع المراسلات ، مُرتبطة بتبايناتها الدَّرجِيَّة فيما بينها مبرزًا إن البنية اللفظية للمرسلة تخضع قبل أي شيء إلى ما أسماه الوظيفة الغالبة أو المهيمنة ، بل على الرغم من أن الوظائف الثلاث المسمّاة (تعيينية Dénotative) و(ندائية cognitive) ومرجعية ، تشكل المسعى الغالب لمرسلات كثيرة فإن المشاركة الثانوية لوظائف أخرى في مرسلات ما يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار من قبل أي لساني نبيه ، لا يَعُدّ كل ما هو خارج عن هذه الوظائف الثلاث فضلات وظيفية.»[1]

---

* **Le langage se situe entre "fonction, reportage et poésie " :**

«Ce sont peut-être ces théories linguistiques qui ont précédé et contemporain Jacobson qui l'ont inspiré à étudier la langue en tenant compte de toutes ses formations et variations, c'est-à-dire selon ses fonctions. «La langue doit être étudiée dans toutes ses formations et ses fonctions ... l'expéditeur envoie un émetteur vers un destinataire, et pour que l'expéditeur soit un processus. Cela nécessite avant tout un contexte auquel il se réfère (que nous appelons aussi dans un terme un peu ambigu le référent), un contexte susceptible d'être compris par le destinataire, ce qui est verbal ou susceptible de l'être. Puis le message (cutre léucodeur et le décodeur) Un code de communication commun (totalement ou au moins partiellement un code) entre l'expéditeur et le destinataire (ou autrement dit entre le décodeur et le code de l'expéditeur) et le message appelle enfin une communication, un canal physique et un lien psychologique entre l'expéditeur et le destinataire, et la communication permet l'établissement et la perpétuation de la notification. Il a poursuivi en faisant valoir que chacun de ces six facteurs de base dans tout processus de communication aboutit à la naissance d'une fonction linguistique différente, car il est difficile pour un groupe de messages pour n'effectuer qu'une seule fonction, et quant à la diversité des correspondances, elle est liée à son degré de différences entre eux, soulignant que la structure verbale de l'expéditeur est soumise avant tout Quelque chose à ce qu'il a appelé la position dominante ou dominante Au contraire, bien que les trois fonctions dites (assignat ive) et (cognitive) et référentielle constituent l'effort prédominant de nombreux émetteurs, la participation secondaire d'autres fonctions à quels émetteurs doit être prise en considération par tout linguiste. Nabih, tout ce qui est en dehors de ces trois fonctions n'est pas considéré comme un déchet fonctionnel. » [1]

(1)-Roman Jakobson, Essais de linguistique générale(1960), dans Bougnoux, D., Sciences de l'Information et de la Communication. Larousse, Paris, 1993 , p.3

***علاقة الوظائف اللسانية بالملفوظات الخطابية :**

« وما يهمنا هنا في عملنا أكثر فأكثر هذه الوظائف و علاقتها بالملفوظات ، فالوظيفة المسماة تعبيرية (و المثيرة للعواطف)، مركَّزة على المرسل (émotionnelle)، و لرّبما سميت (émotive) أو انفعالية (expressive)على المرسِل أو المتكلم ، لأنها تصوّب تعبيرها مباشرة حول الموقف للفاعل بخصوص ما يتحدّث عنه ، وتنزع إلى إعطاء الانطباع بإبداء عواطف مثيرة حقيقةً أو تصنّعًا ، وغنّي عن البيان أن الناحية الانفعالية في اللّغة ممثلة بأدوات ندائية ، وتعجبيّة ونحوهما، لأن هذه الأساليب تبتعد عن أنساق اللغة المرجعية في الآن ذاته من خلال صورها الصوتية المتميّزة ، ومن خلال الدور السانتكسي، وليس معنى هذا أن نداء أو تعجباً عنصر من عناصر الجملة ولكنه بمثل ما قد يكون مساوياً جملة كاملة بصوت نداء أو ندبة أو توجع.....فإن وجود عنصر من هذا النوع يحدّد المسلك الذي يسلكه الملفوظ .»[1]

وهكذا،« كان لنظرية التواصل تأثير كبير في العلوم الإنسانية ، حين ارتبطت باللّغة على يد العالم اللّغوي جاكبسون الّذي طبّقها ضمن مفاهيم عناصر الخطاب، عندما عرض بعض قضايا الشعرية ، وقال: "ما الذي يجعل من رسالة لغوية عملا فنيا"، ويتعلق هذا بأنّ الباث يُرسل رسالة إلى المتلقي، والرسالة تتطلبُ سياقا تحيل إليه، ويستطيع المتلقي إدراكه، وهو

«Ce qui nous intéresse ici dans notre travail de plus en plus, ce sont ces fonctions et leur rapport à l'archive. La fonction dite est expressive (et émotionnellement stimulante), centrée sur l'émetteur (émotionnelle), et on peut l'appeler (émotive) ou expressif sur l'expéditeur ou le locuteur, car il corrige directement son expression. De la position de l'acteur par rapport à ce dont il parle, et il a tendance à donner l'impression d'exprimer des émotions vraiment provocantes ou artificielles, et cela va sans disant que l'aspect émotionnel de la langue est représenté par des outils vocaux et exclamatoires et autres, parce que ces méthodes divergent des modèles de la langue de référence en même temps à travers son phonème distinct Et à travers les santas, et cela ne signifie pas qu'un un appel ou une exclamation est un élément de la phrase, mais il peut plutôt être équivalent à une phrase entière avec le son d'un appel ou une cicatrice ou une douleur ..... la présence d'un élément de ce type détermine le cours que le prises prononcées». [1]

(1)- المرجع السابق- Roman Jakobson, Essais de linguistique générale ,p3.

سياق لُغوي أو يقرُب منه ، و الرسالة تستند إلى شفرة مشتركة بين الباث والمتلقي ، فيصبح المرسل مُركّب شفرة ، والمتلقي مُفكّكها ، لذا لابد أن يكون بين الباث والمتلقي قناة ترابُط مادي أو نفسي تُمكنهما من إقامة التواصل »[1].

1-1/: دور وظائف جاكبسون في فهم طبيعة الخطاب :

وعلى هذا الأساس، نرى بأن العالم اللّغوي واللّساني الروسي جاكسون (Jacobson) قد درس اللّغة من خلاّل تنوع وظائفها، وانطلق من مسلّمة جوهرية مفادها أنّ التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، كما أثبت، ذلك في "كتابه اللسانيات و الشعرية" سنة 1963م ، حيث انطلق هذا اللّساني من شكل جهاز التخاطُب في نظرية الإخبار فدّقق في عناصره الستة وهي: "المرسِل و المرسَل إليه و الرسالة وهي محتوى الإرسال وتستند إلى سيّاق وتقوم على سُنن (قواعد) code ، يشترك فيها طرفَا الجهاز وتربط المرسِل بالمرسَل إليه قناة هي :أداة الاتصال، بحيث يكون شكل الجهاز أو مخطط عوامل التواصل اللفظي كالآتي:

(1)- صالح بلعيد : دروس في اللّسانيات التطبيقيّة ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،ط5،الجزائر- بوزريعة 2009،ص43-44.

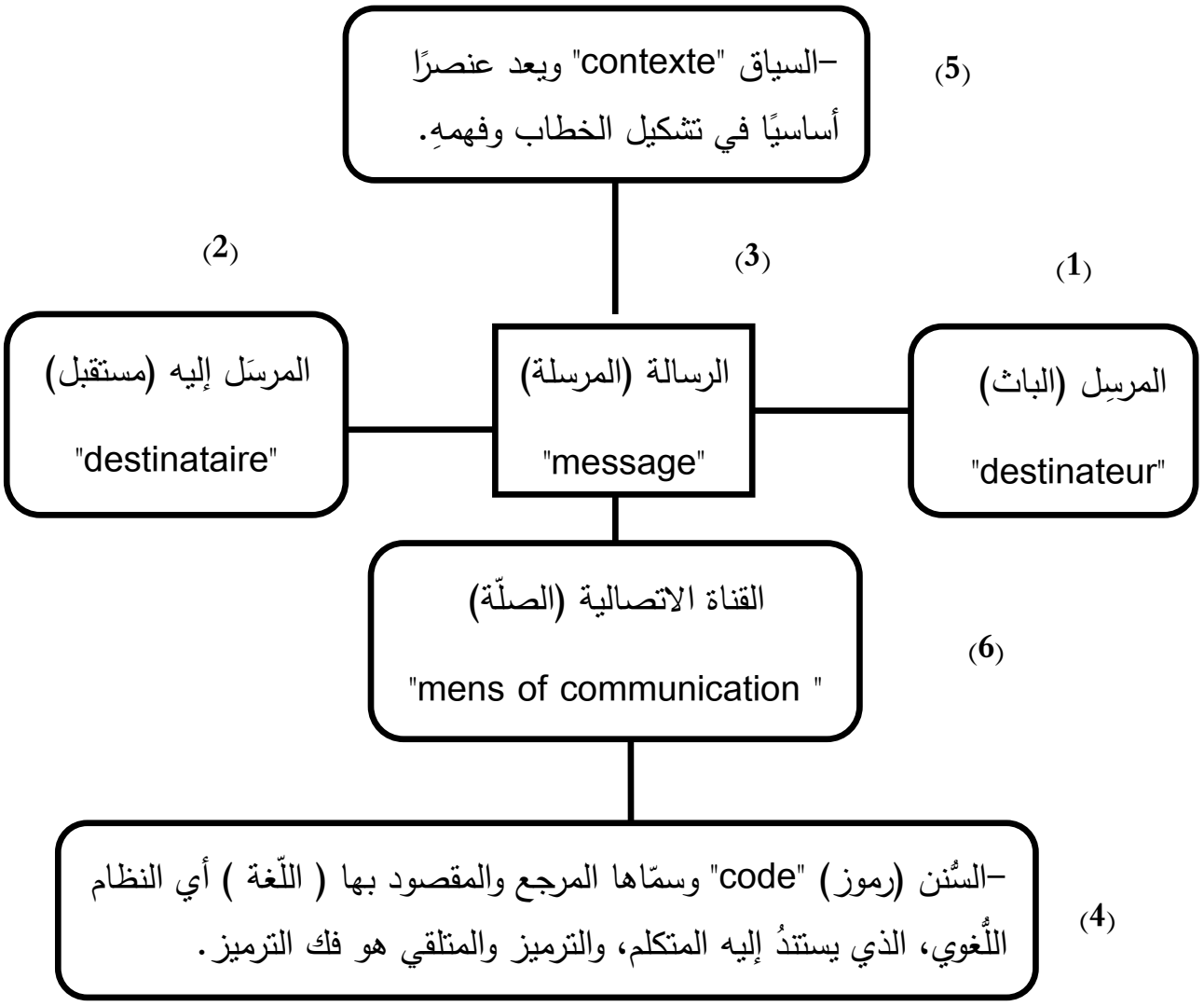

ثمّ صاغ جاكبسون نظريته الشهيرة في "وظائف الكلام"[*] ، فاكتشف أن كُل عنصر من العناصر الستة يُولّد وظيفة في الخطاب، تتميز نوعيا عن وظائف العناصر الأخرى وتكون عملية التخاطُب اللساني تأليفا لجملة هذه الوظائف مع برُوز إحداها ، فتكون بِنية الكلاّم مُصطبغة بسّمات وظيفة لُغوية أخرى .

(*)–تعني وظائف اللّغة ،أي الوظائف اللّغوية الاتصالية التي وضعها جاكبسون.

و«بناءا على هذا المخطّط المستمد من نظرية الاتصال يُحدد ياكبسون ست وظائف لُغوية مختلفة بحيث يكون لكل عامل من عوامل الاتصال وظيفة خاصة به، ومن الصعب أن تقتصر مُرسلة واحدة على وظيفة واحدة فتتنوع المرسلات في استئثار وظيفة واحدة دون سائر الوظائف ، وإنّما يكون باختلاف التراتُبية بينها وإذا كانت الوظيفة اللُّغوية ، أي الوظيفة الموجهة نحو السّياق ،أو اللّغة هي الغالبة في مُرسلات كثيرة فالألسُني الحذر ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار سائر الوظائف في مثل هذه المرسلات »[1].

ونرى من خلال هذا التعريف، أن جملة الوظائف اللّغوية التي طرحها جاكبسون لفهم طبيعة الخطاب وعناصره بوجه عام مُرتبطة باللُّغة أساسا وهي « **ذات بُعد لساني وظيفي ولها ستة عناصر، وست وظائف: المرسل ووظيفته تعبيرية أو انفعالية (la fonction expressive) ، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية أو انتباهية ندائية (la fonction cognitive) ، والرسالة ووظيفتها جمالية أو شعرية (poétique) فهي تُدخل دينامية في حياة اللّغة، والمرجع ووظيفته مرجعية (référentielle)، والقناة ووظيفتها تواصُلية (phatique)، والسُنن ووظيفته واصفة أو ميتا لُغوية (méta linuistique) .. وارتأى أن للُّغة ستة عناصر أساسية ، ولكل عنصر وظيفة ما** »[2]

ومنه فإننا نلاحظ أن رومان جاكبسون يُكمل مخطط التواصل اللّغوي بمُخطَّطٍ ثان لوظائف الرسالة اللُّغوية المقابلة لها تماما ؛ وذلك حسب اقترانها بالعنصر الخاص بها في عملية التواصل ، ويكون على الشكل التالي :

---

(1)- هيام كريدية : أضواء على الألسنية ، مكتبة نرجس ، ط1،بيروت-لبنان ، 2008م-1429هـ،ص108.

(2)- جميل حمداوي :التواصل اللساني و السيميائي و التربوي ، شبكة الألوكة ، ط1، دب،2015،ص42.

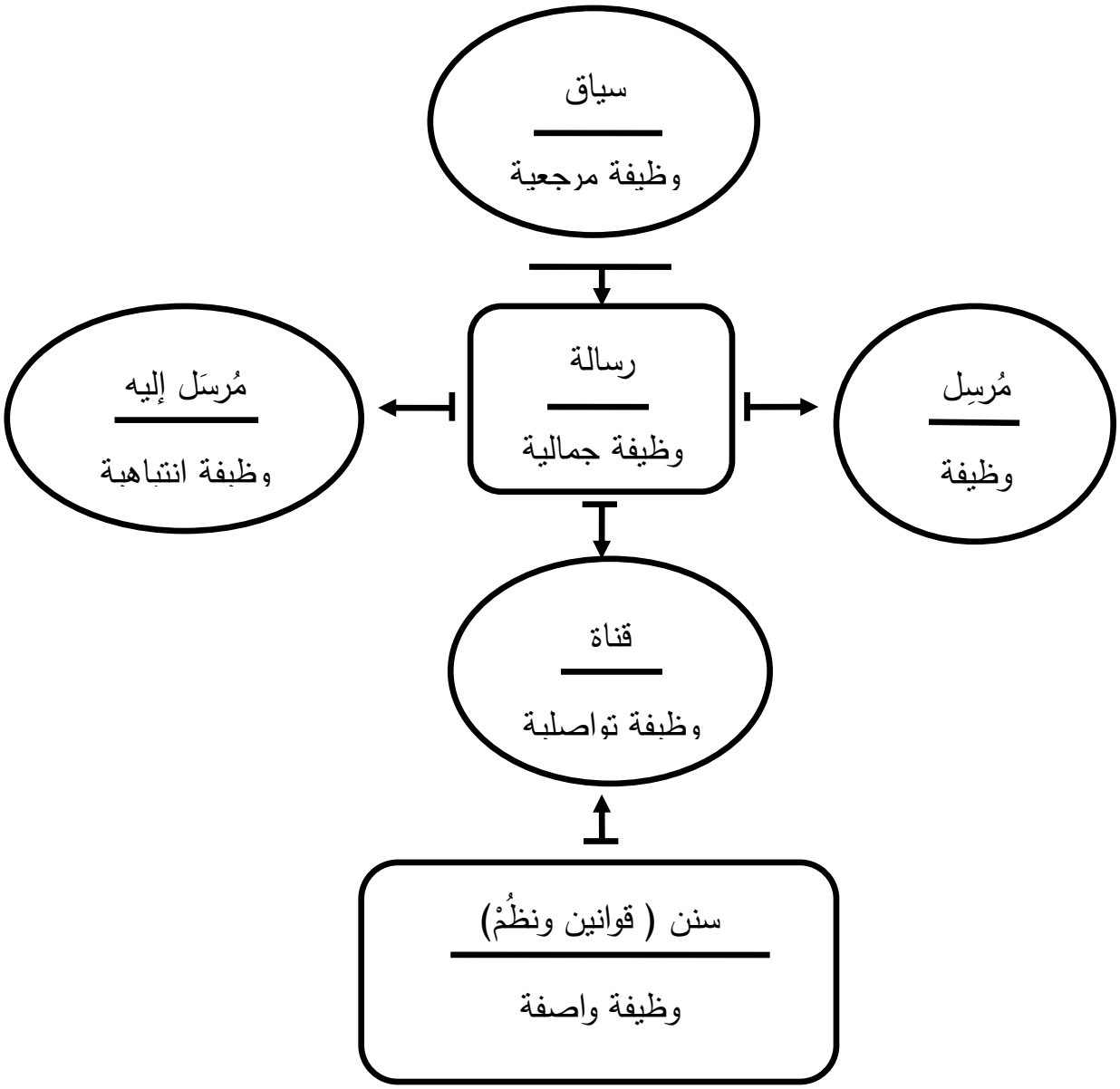

***الوظائف اللّغوية في علاقتها بالعوامل التواصلية ***

نخلص إلى، أنّ هذه الوظائف السابقة الذكر تتكاملُ فيما بينها ، وعندما نقوم بمُعاينتها ولو بنسب قليلة داخل رسالة واحدة ، تصبح الوظيفة الواحدة منها غالبة على جلّ الوظائف اللُّغوية الأخرى ؛ وذلك بحسب نمط الاتصال اللُّغوي .

إذا، بإمكاننا وضع جدول عام و شامل يوضح لنا طبيعة الخطاب التواصُلي على النحو الآتي : [1]

ش(1)

أرقام العناصر والوظائف	عناصر التواصل	مصدر التواصل	الوظيفة
1	المرسِل	الرسالة	انفعالية
2	الرسالة	الرسالة	شعرية
3	المرسَل إليه	الرسالة	تأثيرية
4	القناة	الرسالة	تواصُليّة
5	المرجع	الرسالة	مرجعية
6	السنن	الرسالة	ميتا لغوية

"وعليه إذا كان باستطاعتنا –مثلا – دراسة عنوان نص أو خطاب ما في ظل تواصُلية جاكبسون ، فالعنوان كما هو –معلوم – عبارة عن وسيط أو مُرسلة إخبارية يتقاسمُها كل من المرسِل والمرسَل إليه ، فيساهمان في نظرية التواصل المعرفي و الجمالي، وهذه المرسلة مُسننة برموز لُغوية ، يقوم بتفكيكها المرسَل إليه ،ويُؤولهُا بلغته الشارحة وهاته المرسلة ذات الوظيفة الجمالية تُرسل عبر قناة ، وظيفتها للحفاظ على بنية الاتصال اللّغوي، وبالمقابل فإنّه بالإمكان الاستفادة من وظائف اللّغة كما وضعها رومان جاكبسون (R ,Jackobson)...ومن باب التنبيه، فنحن هنا نحتكمُ إلى" القيمة المهيمنة" [2] [La Valeur dominante] كما طرحها جاكبسون، كون العنوان المتواجد في نصٍ ما قد تؤثر عليه وظيفة معينة على غرار الأخرى فجُلّ الوظائف التي حُدِدَت –سلفًا– مُتمازجة، فقد تتمُ معاينتها بصفة مُختلطة وبنسبٍ مُتفاوتة في رسالة واحدة ، وبالتالي تكون الوظيفة الواحدة منها مُسيطرة على باقي الوظائف الأخرى ؛ وذلك بحسب نمط الاتصال اللّغوي"

---

(1)– جميل حمداوي : التواصل اللساني والسيميائي والتربوي ، ص 43،65،66. (المرجع السابق)

(2)– تعني هيمنة إحدى الوظائف الست عليه وهي الوظيفة الشعرية، أي إن هذه الوظيفة تُهيمن على الفعل اللُّغوي المُثار.

" ومما تقدم ذكرهُ، يظهر لنا دور وظائف جاكبسون الست في فهم الخطاب على أنهُ خِطابٌ لُغوّيٌ تواصُلي حسب رؤية جاكبسون ، فقد تُهيمنُ فيه إحدى الوظائف الست كالوظيفة الشعرية ومن دون غياب للوظيفة الإبلاغيّة الأساسية للّغة وهاته الهيمنة لا تعني مُطلقًا إهمالا لباقي الوظائف الأخرى ، أثناء الدرس و التحليل ، ولنأخذ –على سبيل المثال لا الحصر– هيمنة الوظيفة المرجعيّة فهي لا تُلغي بدورها الإحالة التامة ، وإنّما تجعلها لصيقة وراء الوظيفة المهيمنة، فقد يُؤدي ذلك كله إلى غموض يصدر من مفارقة الدّوال ، وعن طريق انسجام عناصر اللّغة العُضوي الّذي تبتعدُ بمُوجبه الألفاظ و العبارات عن الدّلالة الوضعية الأولى (الدّلالة التصريحية)[1] ؛ لتتصل بالدّلالة الثانية (الدّلالة الإيحائية)[2] حيث يختفي الخطاب حسب فهم جان كوهن (Jean cohen)–[1919–1994] ... ومنه يُبيّن لنا كوهن،من جهة ثانية ارتباط الوظيفة الاتصالية بالخطاب الشّعري فيقول:« لا يمكن الحديث عن الخطاب مالم يكن هناك تواصل ،ولكي يكون الشعر شعرا ينبغي له أن يكون مفهوما من طرف ذلك الّذي يُوجه إليه. » "[3]

1–2/ طبيعة الخطاب الديني في ضوء وظائف الخطاب لدى جاكبسون :

إنّ نظرية التواصل اللّغوي الجاكبسوني ، تتبني من تصوُر خاص ناتج من تأمُلهِ الشخصي في الخطابات اللفظية ، أو مُستندًا إلى جُهد أسلافهِ ، فالتواصل أساس الوجُود الإنساني فبِدُونهِ لا يستطيع قضاء أغراضهِ ، وربط صِلاتْ مع غيرهِ ، كما أنهُ لا سبيل للتنمية الشاملة في غياب التواصل الإيجابي ، بين مُكونات المجتمع ومع العالم الخارجي ، فالتواصل يحققُ الرُقي والازدهار والتقدُم للبشرية، وللتواصل أنماط مُتعددة، قد يتمُ عبر الكلمة وعبر الصورة وعبر الحركة... الخ ، ويتفاوتُ التأثير بين هذه الأنماط تِبَعًا للوضعية التواصُلِيَة ، ويبقى

---

(1)–توحي لنا بدلالة النص الظاهرة .

(2)– وهذه الدلالة تتعلق بكلمات لها القدرة على الإيحاء بدلالة أخرى، وهي تتعلق بالكلمات المجازية و المؤسسة على المجاز .

(3)– رضوان القضماني و أسامة العكش : نظريّة التّواصل (المفهوم و المصطلح)،مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، المجلد (29)، العدد 1، 2007/6/12،ص 146.

للكلمة تأثيرُها الفعَّال ، حيثُ –وبِمَعِيَّة الأنماط الأخرى– يكونُ الأثرُ أبلغ في المتلقين ، فكيف تحقق الكلمة (اللُّغة) التواصُل ؟ وللإجابة على ذلك، سنأخذ –على سبيل المثال لا الحصر– نمط الخطاب الدينيّ المُرتبط بِلَدُنْ الحياة الاجتماعية و متغيراتها وتحولاتها ، وهذا كفِيلٌ بالقضاء على وطن جميل يستشرف مُستقبله فلاّ تجد سوى صيحات بالتكفير والمنع والخطر والعزل، ومنه يتّضح أنّ:«الخطاب الدّيني و شكل من أشكال الاتصال مع النّاس في ظلّ مجتمعات عربيّة وإسلامية تعتبر في غالبيتها مُتدينة ، وليس غريبا أن يكون الحديث عن خطاب ديني، ذا أهميّة فائقة في وقتنا الراهن ، وخاصّة أنّه يقوم أيضا بصقل ثقافة النّاس الدينيّة، وبالتالي القيم والمبادئ والسلوكيات الاجتماعية ،أمّا الدعوات لتجديد الخطاب الديني وإصلاحه فهي ليست أمرا جديدا بل قديم، ولكنّه صار مطلبا داخليا وخارجيا نتيجة الأحداث العالمية والتحوُّلات الحضارية التي يشهدها عالمنا المعاصر»[1].

يتراءى لنا من خلال هذه المُداخلة ، بنية الخطاب الدينيّ تحتوي على صِبغة تواصُلِية لسانية ، إذا اهتم جاكبسون كثيرًا بالوظيفة الإبلاغية ، وبالظرُوف والشروط الموضوعية الّتي تكتنِفُ ميلاد خطاب لفظي ، مع صدارة المرسل في عملية التواصُل ومُراعاة المرسل إليه والاهتمام به اهتمامهُ بالمرسل ، كما، لم يُغفِل بنية الرسالة اللفظية ، إلى ذلك فقد قدّم بعض العوامل المُحِيطَة الّتي تكونُ خارج النص ، وتؤثر كالفضاء الزمكاني والبيئة اللُّغوية والمرجع. وأوضح أن البيئة اللُّغوية تفرِضُ على المتخاطبين نِظامها الصارم، مُعتمدة على مُسنَنَات لُغوِيَّة.

وتختلفُ الوظيفة باختلاف العامل الّذي يُركز عليه مُنتج الخطاب، فتَصْدُرُ لنا وظيفة معينة أو أكثر مع حضُور ضئيل للوظائف الأخرى، وهذا تُحَتِمُهَا علينا طبيعة الدّين ووظيفتهِ إذ أنه خاتم الأديان ، وما يفرضهُ علينا الواقع المتغيِّر والمتطور ، ومن بعض الأسباب الّتي تجعله ضرورة لازمة وضرورة حياتية، تتعلقُ بضبط العلاّقة بين أحكام الدين وسُلوكيات الحياة نذكر الآتي:

---

(1)–رازق سرياني : الخطاب الديني وتحديات العصر ،محاضرة ألقيت بتاريخ 2009/3/2، مكتبة الإسكندرية المؤتمر 6 للإصلاح العربي ،ص1

1/ دراسة وتحليل بعض معالم الدين ومناهجه.

2 / اختلال مراتب الأعمال الشرعية.

3 / الأحداث المستجدة.

ثانيًا: دلالة مصطلحي الخطاب الدينيّ/النص الديني:

لقد ذاع في وقتنا الحاضر مصطلح الخطاب الدينيّ/أو النص الدّيني ، وظهرت الحاجة إليهما نظرًا لمقتضيات العصر المتغيّرة ومُتطلباته المتجددة ، فهي تمس بوجه أخص الطابع الدّيني مع إحياء لبُنى الشريعة الإسلامية من جديد ؛ وذلك بأن نحُطّ رحالنا من خلال دلالة هذين المصطلحين لمعرفة منهجهما ودلالتهما، لذا كان من الواجب وجود مفهوم أو أداء جديد للدعوة الدينيّة. وسنعرض أهم التعريفات، التي استخدمت معاني هذين المصطلحين عن طريق ضوابط ومعايير ومنهج محدد ابتداء من:

1-2) مفهوم الخطاب الديني : (Discours Religieux)

1-الخطاب الدينيّ ما هو إلاّ «عبارة عن توجيه الكلام المتعلق بأمور الدّين نحو الغير لإفهامه واستمالته وإقناعه، سواء كان هذا الغير فردا أو جماعة »[1]

من خلاّل المفهوم الّذي طرحهُ علي عبد السميع، نرى بأنّ الخطاب الدينيّ هو وسيلة اتصالية تطبيقية مُوجهة بين الخطيب وجمهور المستمعين؛ وذلك بالتأثير في عواطفهم وفكرهم ، لاستيعاب مدارك الخطاب ومفاهيمهِ، مع استجابتهم للموضوع الّذي تتحدثُ عنه هاته "الخطبة الدينيّة "[2]، بالإضافة إلى أن بنية هذا الخطاب متنوعة في الأداء ومُختصرة في اللفظ والمعنى، باختلاف صُوّرهِ و مضامينه، فإنّنا نجده تارة يُلقى إما على مستوى

---

(1)- عماد علي عبد السميع حسين: تجديد الخطاب الديني (بما يتناسب مع رُوح العصر ، ضرورة دعوية في ضوء المستجدات و المتغيّرات المعاصرة)، دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت -لبنان ، 1425هـ-2004م،ص21.

(2)-هي صورة من صُور الخطاب الديني وفن من فنون القول الكلاّمي، وأكثرها فائدة و تأثيرا؛ و ذلك لما لها من مكانة عالية في القلوب، ولما يشعر نحوها الناس من قُدسيّة والتزام.

المنابر، وتارة أخرى يُلقى على شكل محاضرات و دروس وكتب، أو مسجل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، في مقال أو قصة أو مسرحية... وغيره من الأشكال و الصوّر التي يتخذها الخطاب الديني في إيصال المعنى المنشود وأصبح له صدًى ، وانتشر بصورة ملحوظة في شريعتنا الإسلامية السمحة .

2-الخطاب الدّيني هو« كلام الله تعالى للنّاس أجمعين، متمثلا في الدعوة الّتي حملها كتابه الكريم، لتكون هذه الدعوة منهج حياة لكل من آمن بها»[1]

وهنا المُشكلة ! إذْ إنّ للخطاب الدينيّ تأثيرًا بالغاً في توجيه وتشكيل فكر النّاس ووُجدانهم وسلوكهم في مُجتمعاتنا العربيّة، وخصُوصًا تلك الّتي يُشَكِّلُ الدينُ فيها مُكَوِّنًا بارزًا من مُكوِّنات الهوية الفردية والجماعية.

وليس غريبًا أن يكون الحديث عن الخطاب الدينيّ ذا أهمية فائقة في وقتنا الراهن وخاصةً أنهُ يقومُ أيضًا بصقلِ ثقافة النّاس الدينيّة، وبالتالي القيم والمبادئ والسلوكيات الاجتماعية، وعليه، صار الخطاب الدينيّ الكلام الموجه من عند الله –عز وجل– للنّاس كافة ؛ وذلك عن طريق الأخذ بالدعوة الربانيّة المبعوثة من طرفه.

وهاهنا، الخطاب الديني «بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد ذاع في العصر الحديث و أول من أطلقه الغربيون ، ولم يُعرَف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد و الخلاّفة و الدّيار و الخراج ... و إنّما هو مصطلح اصطلح عليه أهل هذا الزمان.»[2]

وبالمقابل، فإنّنا نجد "يوسف القرضاوي" ، قد قدم لنا مفهوما عاما وحقيقة شاملة لمعنى

---

(1)– ماهر أحمد راتب السوسي : مفهوم الخطاب الديني و سماته ، محاضرة ألقيت في قرية الفنون و الحِرف ، جمعية القدس للبحوث و الدراسات الإسلامية ، مايو 2010، ص1.

(2)–عزيز عبد الواحد : نحو خطاب ديني معاصر ، (مقالة) ، مالمو –السويد،1431هـ–2010م،ص2، HTTP//: www.Tawasol.SE

الخطاب الديني على وجه الخصوص إذ قال : « في رأيي إن المراد بخطابنا الديني الإسلامي : البيّان الذي يُوجَه باسم الإسلام إلى النّاس مسلمين أو غير مسلمين،لدعوتهم إلى الإسلام ، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه عقيدة أو شريعة عبادة أو معاملة ،فكرا أو سلوكا، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة و الإنسان و العالم : فردية أو اجتماعية ،روحية أو ماديّة ، نظريّة أو عمليّة ، وهذا الخطاب يتميّز بالسّعة والشمول، بقدر سّعة الإسلام وشموله... »[1]

والناتج،أنّ الخطاب الدينيّ يُعنى بالنصُوص الّتي كتبها المُختصون في الشريعة الإسلامية حول بعض القضايا الّتي تُثِيرُ إشكاليات ، سواء ما كان منها في مُستوى الطرح ، أم في مُستوى المفاهيم ، ولهذا فلابُد من التفريق بين النص الدينيّ والخطاب الدينيّ ، فالنص الدينيّ نصٌ مُجَدِدْ في مساحتهِ ، حيثُ يوجدُ له بداية ونهاية وموضوع ، أما الخطاب، فيُعَبِرُ عن اتجاهٍ كُلِي ، لأنهُ يتعاملُ مع مجموعة من النصوص تتبِعُ مدرسة واحدة ، أو يتعاملُ مع نصوص مُمتدة ذات صِبغة زمنية ، ومن حيثُ المنهجية، فإن تحليل النصوص يعني تفكيكهُ وإعادة بنائهِ للتعرُف على بنيَتهِ وخصائصهِ اللُّغوية ، والوقوف على علاقتهِ بِمُنْتِجِهِ ، وعلاقة مُنْتِجِهِ بمصادرهِ .

لكن تحليل الخطاب يعني المسح الكُلِي لسِمَاتِهِ، و اتجاهاتهِ العامة، وسياقاتهِ وطبيعة الإحالة فيه، وبنية المعلومات المُتعلقة به، وتقَاطُعِهِ مع خِطابات أخرى.

وإن كان الخطاب الدينيّ في الإسلام يمتازُ عن الخطابات الأخرى بمرجعيتهِ الّتي تمثِلُ وحيًا إلهياً خالِصًا ، فإنهُ من حيثُ كونهِ جُهُودًا بشرية ، يُعانِي ما تُعانِيه الخطابات الأخرى خاصة استيعابهُ للتغيُرات المُتسَارِعة ، ومُوَازنتهِ بين مُعطيات العصر والمرجعية الإسلامية فهذا الخطابُ ينضجُ شيئًا فشيئًا ، وإن كان كما يرى المُستعجلون بحركة بطيئة ؛ لكن بناء المُجتمعات ، وإقامة النهضات تحتاجُ زمنًا ، وتحوُلات ، وتجارِب مُمتدة .

---

(1)- يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ، ط1، القاهرة –مدينة نصر ، 1424هـ-2004م،ص15.

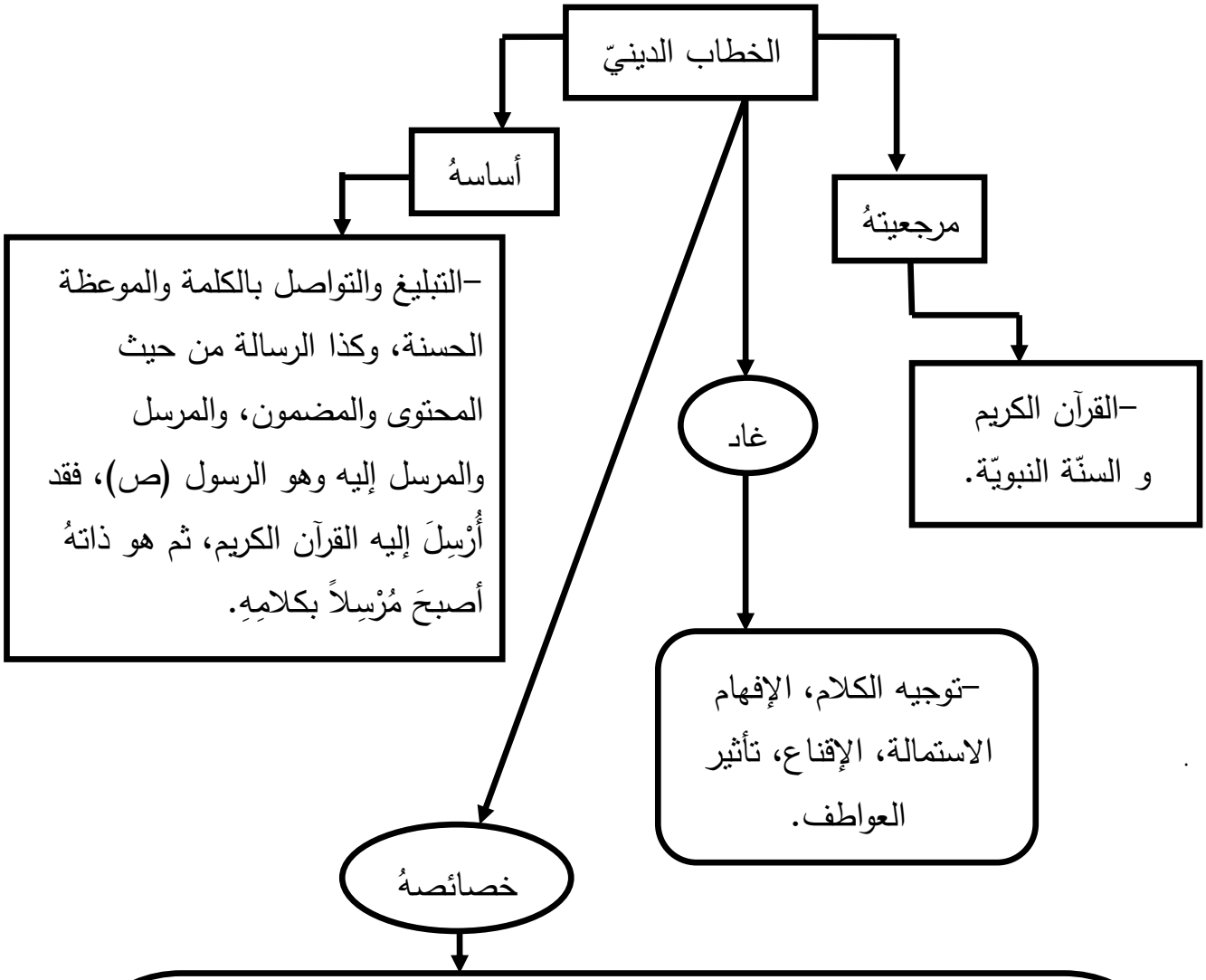

1-خطاب عالمي لمُخاطبة البشرية جمعاء، بِغَضِ النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم.

2-جاء للنّاسِ كافة .

3-شامل لجميع مناحي الحياة المُتعلِقَة بتنظيم العلاقات بين النّاس .

4-يحققُ الطمأنينة والسعادة والاستقرار والأمن في الحياة الإنسانية .

5-يهتمُ بنهضة الإنسان ويُميِّزُهُ عن غيرِهِ من المخلوقات .

6-الخطاب الديني مُؤثر ، لأنهُ يخاطِبُ عقل الإنسان وفطرتِهِ السليمة ، ويحرِكُ مشاعر الإنسان وعواطفهُ ، ويملأُ العقل استِنَارَةً .

2-2) مفهوم النص الديني: (Texte Religieux)

2-1/مفهوم النص :(texte)

أ) **لغة:** إن أصل اشتقاق كلمة(النص) في اللّغة العربية يعود إلى الجذر اللّغوي (ن،ص، ص) وهي كلمة تدل على عدّة معانٍ ، وتحصر معاجمنا العربيّة الجذر الدلالي لهاته الكلمة في خمسة حقول دلالية، وبتكاملها يتضح معناها الاصطلاحي ، و النص مصدر وأصله أقصى الشيء الدّال على غايته أو الرفع و الظهور وهو (ج.نصوص) ، وقد جاء في مُعجم العين للفراهيدي (ت175ﻫ): معنى « نصَصَ : نصَصْتُ الحديثَ إلى فُلانٍ نصًّا أي رفَعتُهُ قال:ونصَّ الحديثَ إلى أهله *فإن الوثيقةَ في نصّهِ...، ونصَصتُ الرجل: استقصَيتُ مسألتَهُ عن الشيء يُقال: نصَّ ما عنْدَهُ أي استقصاه ونصَّ كلّ شيءٍ: مُنتهَاه »[1]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711ﻫ): معنى «نصَص : النَّصُ : رَفعُكَ الشَّيءَ ، نصَّ الحدِيثَ يَنصُّهُ نَصًّا: رفَعَهُ.وكلُ ما أُظْهِرَ ، فقَد نُصَّ .وقال: عَمرُو بنُ دِينار: ما رَأيتُ رَجُلاً أنصَّ للحَديثِ من الزُّهرِي، أي أرفَع لَهُ وأسنَدَ.يُقالُ : نصَّ الحدِيثَ إلَى فُلاَنٍ ، أي رفعَهُ وكذَلِك نصَصتهُ إليهِ ... و أصْلُ النّصِ أقصَى الشيءِ وغايَتهُ »[2]

أما مادة (نَصَ) في المعجم الإنجليزي، فقد وردَ لفظ (Text)، وهو بالفرنسية، (Texte) وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Têtus)، والّتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبطُ ب (Textile)، والّتي ترتبِطُ بآلات و أدوات النسج وقد وردَ في معنى لفظ " نص"، (Text) ما ترجمتهُ:

"–الجمل والكلمات نفسها المكتوبة (أو المطبوعة أو المنقُوشة) أصلاً، الكتاب أو

---

(1)– الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، تروتح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان 2003م–1424ﻫ،4/ص288،مادة (نصَصَ).

(2)– ابن منظور : لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف ، ط1، النيل –القاهرة ، 1411ﻫ–1981م،6/ص44.42،مادة (نصَصَ).

المخطوطة أو النسخة الّتي تضمُ هذا.

-البنية الّتي تشكلها الكلمات وفقَ ترتيبها.

-مضمون البحث (حول موضوع ما)، الجزء الشكلي (أو الرسمي) المُعتمد.

-عملية أو فن النسج [الحبك]، إنتاج نسيج محبُوك، أي بِنيَة طبيعية لها المظهر أو التكوين النسجي ، مثلاً نسيج العنكبوت .

-تركيب أو بنية مادة أي شيء مع مُراعاة عناصرهِ التشكيلية المُكونَة أو الخصائص الفيزيائية ... للأشياء غير المادية ، التكوين أو الطبيعة أو الخاصية الناجمة عن التركيب الفكري ، كنسجِ خواص متنوعة .

-في الفنُون الجميلة : تمثيل البِنية وتحرير دقيق للسطح " [1] .

ومن هنا تعددت الدلالات عند الجانبين ولكننا لا نصِلُ إلى تحديد قاطع بِمُجرَد إيراد الدلالة اللُّغوية لكلمة (نص) ، ولا يجُوز الاكتفاء بالتحديدات اللُّغوية المباشرة في التعريف لأنها تقتَصِرُ على مراعاة مُستوى واحد للخطاب ، هو السطح اللُّغوي ، وظاهِرهُ الدلالي دون الدخول إلى جوهرهِ الباطنِي ، فلابُد من تحليل ما وردَ في الدلالة اللُّغوية ، ورصد تطوُر اللفظ في الدلالة .

و من الملاحظ أنّ جُملة المعاني التي دارت حولها المادة اللُّغوية [نصَصَ ، النَّصُ نصَّصتُ ، يَنُصُّهُ، نَصًا] في كل ما سبق ذكره ، وليس بالإمكان الخروج عنها في مادة كل معجم تدور حول محاور هي : الرفع ، الإظهار ، ضم الشيء ، التحريك التقصي ، الوقف ، أقصى الشيء ومُنتهاه .

ويمكنُ القول، أنّ الدلالة المركزية الأساسية للدال "نص" ، هي الظهور و الاكتمال في الغاية ، وهي تؤكد جزءًا من المفهوم الّذي أصبحَ مُتعَارَفًا عليه في النص ، ولا تزالُ هذه

---

(1)-Webster's Third New Intemational Dictionary of the English Language unbraided –Merriam-Webster INC. Publishers Spring field Massachusetts USA .P2365-2366.

الدلالة بارزة في الاستخدام اللُغوي المعاصر.

ب)**اصطلاحا:** لقد وردت عدّة مفاهيم للنص "texte"وتعدّدت بتعدُّد الوُجهات المعرفية والمنطلقات النظرية والمنهجية المختلفة، ويظهر هذا الاختلاف جليًّا في ماهية النص وتصَوُرِه، والغاية من دراسته، فحدود النص و نظرياته، ومفاهيمه تتجسد على إثر تلك الوُجهات و المنطلقات العديدة. و هي على كثرتها تصنّف في شكلين اثنين هما: أحدهما في اصطلاح العلماء العرب وثانيها: النص في اصطلاح الدرس اللساني اللّغوي الحديث.

وتختلفُ مدارس البحث النصّي حول تعريف النص، وتحديد المفهوم اختلافًا شديدًا وهذا التبايُن يبدُو من خلال تعريفاتهم وآرائهم حول النص، وعند الحديث عن النص لا نقصِدُ به الجملة الّتي تعدُ أساس البحث في النحو التقليدي أو النحو العربي القديم، غير أن النحو النصّي لا يُعالِجُ الجملة فحسب ؛ بل يأخذُ هذا النوع من خلال الوحدة الكاملة في المعالجات ألا وهي بنية النص ، فما هو النص ؟ « لِنُسَمِ نصًا كل خطاب تبَنَتْهُ الكتابةُ ، تِبَعًا لهذا التعريف يكون التثبيت بالكتابة مُؤسَساً للنص نفسه ، لكن ما الّذي ثُبِّتَ على هذا النحو بالكتابة ؟ سبق أن قُلنا: كل خطاب. هل يعني هذا أن على كل خطاب أن يُنْطقَ في البداية مادِيًا أو ذهنيًا ؟ أن كل كتابة كانت في البداية، ولو على وجهِ الاحتمال. كلامًا ؟ وباختصار، ماذا عن علاقة النص بالكلام ؟ سنحاول قبل كل شيء أن نقول بأن كل كتابة تُنْضَافُ إلى شيءٍ ما من كلامٍ سابق .

وفي الواقع ،إذا كنا نعني بالكلام ، مع فردينان دوسوسير ، تَحَقُّقَ اللُّغة في حدث خطاب ما ، إنتاج خطاب فريد من طرف مُتكلم مفرد ، فإن كل نصٍ إذن هو بالنسبة للُّغة في نفس موقع إنجاز الكلام ، وتعتبرُ الكتابةُ عِلاَوَةً على ذلك ، بصِفَتِهَا مُؤسسَة تالية للكلام الّذي يبدُو أنّها منذُورة لتثبيت كل تلَفُظَاتِهِ الّتي لاحتْ شفوِيًا ، بشكلٍ خطي مُوجز ...لنعُد إلى تعريفنا بأن: النص خطابٌ أثْبَتَتْهُ الكتابة. ما أثبت بالكتابة إذن خطاب كان بإمكاننا أن نقولهُ ، بالتأكيد لكننا نكتبهُ بالضبط ، لأننا لا نقولهُ ، التثبيت بالكتابة يحلُ محل الكلام أي حيثما كان بإمكان الكلام أن يولد ، يمكنُ لنا إذن أن نتساءل ، إن لم يكُن النصُ نصًا حقًا عندما لا ينحصِرُ في تسجيل كلامٍ سابق ؛ بل عندما يدونُ مباشرة بالحرُوف ما يريدُ

الخطاب قولهُ .»[1]

هذا وقد يستخدم النص أحياناً في معان اصطلاحية، كالنص في علم الحديث وهو التوقيف والتعيين، والنص في الكتابات الأصولية والفقهية هو القرآن الكريم، أو هو مجموعة من القواعد المستمدة من القرآن والسنة حيث تعتمد القاعدة الفقهية على: أن لا اجتهاد مع وجود النص، وهناك النص والرأي أو النقل والعقل.

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لتعريف النص على ما ورد في المعاجم القديمة، فلقد تطور تعريف النص، وأصبحت المعاجم الحديثة تميل إلي تعريفه بشكل أشمل وأكثر إجرائية كما في معجم المصطلحات اللغوية للدكتور خليل أحمد خليل الذي يعرف النص ((Text) بأنه:

" يعني في العربية الرفع البالغ ومنه منصة العروس.

* النص كلام مفهوم المعنى فهو مورد و منهل ومرجع.

* التنصيص المبالغة في النص وصولاً إلى النص والنصيصة .

* النص (Textus) هو النسيج، أي الكتابة الأصلية الصحيحة، المنسوجة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes) والشروحات والتعليقات (Commentaires).

* النص: المدونة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصه، أي في أصله الموضوع.

* النص كل مدونة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النص المشترك (Co– Texte) .

* " سياق النص، مساقه، أجزاء من نص تسبق استشهاداً، (Citation)، أو تليه، فتمده بمعناه الصحيح .

يقال: ضع الحدث في سياقه التاريخي. أي: في مكانه الصحيح.

---

(1)– بول ريكور : من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل) ، تر: محمد برادة وحسان بورقية ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2001، ص 105–106.

* التساوق (Contexture) هو التوالف بين أجزاء الكل: تناسق القصيدة، تساوق الكلام ."[1]

يتبين من الاستقراء لما سبق وجود فرق كبير في مفهوم النص بين التراث والمعاصرة، وإذا كان مفهوم النص في السابق يشير إلى الدلالة المركزية للفظ (النص)، وما به من ظهور واكتمال، وإلى تركبه من أجزاء مترابطة ومتحركة وقابلة للتفكيك عبر استقصاء مسألة الفرد لاستنطاق نصه، إلا أنه لا يؤدي إلى التعريف التام الذي تثبته الدراسات الحداثية، وما بعد الحداثية في التعامل مع النص كمصطلح دلالي وإجرائي وبالأخص الدلالة الفقهية للنص والذي قصرته المعاجم على ما دل ظاهر اللفظ عليه من أحكام للنص. حيث مالت الدراسات الحداثية إلى الأخذ بالمفهوم الغربي للنص ولذلك تشابه تعريف د.خليل أحمد خليل مع المعاجم الغربية .

لقد تطورت دلالة النص، ولا يضير العربية عدم وجود تعريف محدد بدقة للنص. فلقد " أدرك عدد من المفكرين الغربيين أهمية هذا الأمر بعد سقوط البلاغة عندهم. ولذا، نرى أن (رولان بارت) مثلاً يرفض تعريف (تودورف) للنص وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللامناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني– تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون "[2]

إن غياب التعريف بالنص لا تعني عدم معرفة العرب به أو عدم وجود جذور له في العربية، فلقد تناول العرب النص ومارسوه وإن اختلف المنهج المتبع. فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة. " وفي البلاغة العربية برزت النظرة الشمولية إلى النص لدى غير واحد من البلاغيين. فعندما يتاح لنا النظر – مثلاً – في كتاب " إعجاز القرآن " للباقلاني – أبي

---

(1)–خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص136–137.

(2)–منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية– دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1990،1، ص208. عن رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي. عدد(3) بيروت، 1988.

أبي بكر المتوفى نحو(403 هـ)، نجده يفرط إفراطاً كبيراً في التأكيد على النظرة الشمولية للقرآن الكريم، مستبعداً جل ما رجح به البلاغيون _ قبله_ من ظنون في إشكالية الإعجاز، مؤكداً أن خصائص الرشاقة والأسلوب، التي تتكرر في القرآن الكريم كله، حيثما أمعنّا النظر هي سبب الإعجاز ومصدره، وليس الإعلام بغيب....

أما عبد القاهر الجرجاني توفي (471 هـ) ....، فقد دعا إلى النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي. فهو – في نظره – لا يستطيع أن يحكم على المزية فيه من قراءة البيت أو الأبيات الأولى، وإنما يقتضيه هذا النظر والانتظار حتى يقرأ بقية الأبيات وقد لا يستطيع أن يقف على أسرار النص ما لم يستفرغ جهده في تأمل القطعة الأدبية كاملة، وبعد ذلك يستطيع أن يتبين المزايا التي تجعله يقف على ما فيها من براعة النقش وجودة التصوير والتعبير....

أما ضياء الدين ابن الأثير توفي (637 هـ) فقد أنكر في كتابه " المثل السائر" ما كان ذهب إليه الجمهور، من أهل النظر البلاغي، من حيث أن البيت الشعري يجب أن يكون مستقلاً الاستقلال الكلي عن غيره من أبيات، وأنه لا يجوز أن يكتمل معناه في أول البيت الثاني – مثلاً – وأنكر ما عابه النقاد على الشعراء مما سموه " التضمين "، وهو ألا يكتمل المعنى بقافية البيت، بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه. وذهب _ ابن الأثير _ إلى القول بأن علاقة البيت بالبيت كعلاقة الفقرة بالفقرة من النثر، فكما أنه يجوز أن يصل الفقرة بالفقرة دون أن يعد ذلك عيباً في نثره. فكذلك الشعر يستطيع الشاعر أن يعلق معنى البيت بالذي يليه، ولو صح هذا ... لكانت القصيدة كالسبيكة الواحدة، لا يستطيع كائن من كان أن يرى تفككها، وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها العضوية، وحدتها الحية التي ينشدها المبدع وتعين القارئ على التفاعل مع النص، تفاعلاً يجعله يقف على مزاياه المتمثلة في انضباطه وتنظيمه الداخلي.

وينفرد حازم القرطاجني (توفي 684 هـ) ... بنظرة أكثر شمولية للنص، تميزه عن غيره من أهل النظر في علوم البديع والبيان .... فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " زعم أن لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه

بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي، عن القصيدة "[1]

لقد عرف العرب القدماء النص وأدركوا دوره، وفي الأدب العربي إشارات عديدة ترشدنا إلى ما يؤكد أن النص غير متناه في الإنتاج والحركة، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية، ولقد أشارت كتب الأدب العربي إلى ممارسات نصية عديدة بخصائص ومميزات تختلف بين العصور الأدبية. ولكن " لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية كما عرفوها مع القرآن. ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة ... تكمن في الوقوف على (النص في ذاتيته النصية) بتعبير رولان بارت. فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف "[2]

ويرى بعض النقاد أن النص القرآني يتسم بكل صفات النص، مما جعل البعض يقصر لفظ نص على نص القرآن الكريم يقول (أدونيس) في مميزات النص القرآني: "إن النص القرآني يتجاوز الشخص: الله هو الذي أوحاه، ونقله إلى النبي ملاك. وبلّغه النبي إلى الناس ودونه كتاب الوحي، إنه عمل إلهي – إنساني عمل كوني، وهو بوصفه كذلك محيط بلا نهاية للمتخيل الجمعي. وربما كان أعقد ما فيه بوصفه كتابة، خلافاً لما يبدو ظاهرياً هو أنه متابعة لما قبله وتكملة: إنه خاتمة النبوات وخاتمة الكتابة، إنه بمعنى ما أنهى الكتابة. ذلك أنه لم يكتب الأثر الذي يولده الشيء، وفقاً لتعبير مالا رميه، وإنما كتب الشيء ذاته. لهذا لا يطرح النص القرآني مسألة ما الشعر، أو ما النثر وإنما يطرح السؤال ما الكتابة، وما الكتاب ؟

هكذا يقرأ النص القرآني بوصفه نصاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعاً. " كأنه أعاد الأبجدية إلى فطرتها، قبل الكتابة وفيما وراء الأنواع الكتابية" و" لغته ليست مجرد مفردات وتراكيب وإنما تحمل رؤيا معينة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومآلاً " [3]

---

(1)– إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص – دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1997، ص55–56.

(2)–منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية،–مرجع سبق ذكره– ص 202.

(3)– أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة ، ص34، 20.

النص القرآني " نص مكتوب (نص / كتابة)، يطرح إشكالية التصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليست له بؤرة مركزية (بل يتضمن بؤراً لا نهاية لها)، وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها (حظي بهذا وسيبقى يحظى بتأويلات لا نهاية لها)، ذوات طاقة رمزية مطلقة، الإحالة المرجعية في النص القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد " [1]

كما أن الدين واللغة في النص القرآني، " شكل روحي واحد أو بنية روحية واحدة لهذا يتكون من الغامض الذي لا يمكن أن يعرفه الإنسان ومن الواضح الذي يعرف مباشرة من ظاهر اللفظ، فهو أفق مفتوح، لكن على الغيب " [2]

ولقد توصل الأدب العربي إلى ذلك فقد رأى الجرجاني أن " للكتابة القرآنية خصائص لم تعرف قبل نزول القرآن، ويرى أنها لا تكمن في الكلمات المفردة – في جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات، ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز فمن هذه يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان "[3]

كما عبر الباقلاني عن أن القرآن نظام لغوي يقوم على غير مثال، حيث يقوم:"على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد"[4]

---

(1)– شكري عزيز ماضي، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 1997، ص 174.

(2)– أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة، ص34

(3)–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص 300.

(4)– أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971، ص 35.

" نشأ مع النص القرآني على الصعيد الإنساني، إنسان جديد، ونشأ معه على الصعيد الأدبي الخالص قارئ جديد ... إنه نموذج من الكتابة تتداخل فيه مختلف أنواع المعرفة – فلسفة وأخلاقاً، سياسية وتشريعاً، اجتماعاً واقتصاداً، وتتداخل فيه مختلف أنواع الكتابة ... وفي هذا ما يتيح للكاتب أن يعيد النظر في رؤياه للإنسان والعالم والكتابة، ولن تكون هذه الرؤيا إلا كونية وإنسانية. لن تكون إلا مزيداً من الاتجاه نحو الإنسان بوصفه إنساناً فيما وراء كل عرف ولون، وفيما وراء كل انتماء، ولن يكون فيها فرق بين الإنسان والإنسان إلا في عمق التعبير عن هذه الرؤيا وفي غناه وفرادته. إنه نص – دعوة إلى كتابة جديدة برؤيا جديدة " [1]

ف" القرآن نص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، وهو لأنه كذلك، فإن التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به، لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه. وبناء على هذا، يمكننا أن نقول: إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين:

– لأن المتلقي (موضوع الخطاب) يعتبر جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه إن سلباً وإن إيجاباً من جهة أخرى. وهو لأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتعين العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلوله.

–لأن الله في التصور الإسلامي، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء و" ليس كمثله شيء".

– وما دمنا ننظر إلى القرآن بهذا المنظور، فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدال يدل. من جهة أولى، على متلقيه ويتعدد به. والمتلقي من جهة ثانية، يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحول "[2]

---

(1)– أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، ص 35–36 .

(2)– منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 231–232 .

القرآن " مفتاح لفهم العالم الإسلامي، ولن يفهم أحد المسلمين وتاريخهم ... إلا بدءاً من استيعاب هذا النص والإحاطة بمستوى العلاقة القائمة بينه وبين المسلم، دون ذلك سيظل المسلم غريباً، قطعاً عن الآخر ... والإنسان خصوصاً. في هذا العصر الكوني، لن يكون ذاته إلا بقدر الآخر. فأن يكون الإنسان مواطناً حياً وحقيقياً في بلده هو أن يكون مواطناً كونياً... فـ" الكتاب أساس العالم وخلاصته منذ حوالي أربعة عشر قرناً وخاتم للكلام.. "[1]

وهو" نص لا يسمى، أو لا تسمح معايير الأنواع الأدبية بتسميته. إنه نص لا يأخذ معياره من خارج، من قواعد ومبادئ محددة، وإنما معياره داخلي فيه... وإنه مطلق: لا يدرك معناه، ولا يبدأ ولا ينتهي، وهو بوصفه مطلقاً يتجلى في زمان ومكان، متحرك الدلالة، مفتوح بلا نهاية. إنه الأبدية المتزمنة. إنه ما وراء التاريخ الذي نستشفه ونقرأه عبر التاريخ ... الكتاب بهذا الشكل شبكة تتداخل خيوطها وتتحبك في علاقات متعددة ومتنوعة، مفتوحة كالفضاء. إنه فن آخر من القول، وفن آخر للقول. فن في الكتابة، وفن في تكوين النص ... إنه الكتابة المطلقة لكتابة المطلق" [2]

وقد كتب العديد من الكتاب والمثقفين في (النص القرآني)، وأبدعوا أيمّا إبداع ومارسوا في دراستهم له كل ما توصلوا إليه من نظريات حديثة علمية وأدبية لاستنطاق النص، ومحاولة الاستفادة منه في كل زمان ومكان. وكانت كل قراءة له تعد محاولة تأتي اللاحقة بها لتنفيها أو تبني عليها، ثم ترتقي بها خطوة أخرى للأمام منسجمة ومتوافقة مع العالم المحيط .

ولم تكن الإشكالية في دراسة (النص القرآني)، في أي من مستوياته، ولكن الإشكالية بدأت تظهر مع ظهور المنهج النصّاني، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقفين والنقاد وإخضاعه لشروط النظرية النصية والادعاء بأن القرآن (نص) بالمفهوم الحديث والمعاصر للنص وأنه يشتمل على وظائف الاتصال التي عددها جاكبسون ومعايير النصانية التي حددها دوبوجراند.

---

(1)- أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، ص 36-37.

(2)- السابق، ص29-30.

لكن النظرية النصية نظرية إنسانية، وليس من الضروري أن تنطبق كل نظرية يتم التوصل إليها بالعقل البشري على القرآن الكريم، فالقرآن لم يكن في يوم من الأيام كتاب فلك، أو علوم، أو بلاغة، أو أدب إنه " الكتاب " كما أسماه رب العالمين .

ويطبق الكثير من المثقفين(مثل أدونيس ونصر حامد أبو زيد، وعلي حرب وغيرهم.) معايير النصية على القرآن الكريم، ويؤكدون أنه (نص) وهم بذلك يتناسون أن النصانية تقوم بشكل رئيس على التناص، فهي محكومة به. والتناص الذي يضفي الكثير من الجمال على الدراسات النصانية في الأدب، يُخرج النص القرآني في المصحف الشريف من الإلهي إلى البشري. وإن اعتبار القرآن كغيره من النصوص يؤكد ما يسعى إليه بعض المستشرقين والمستعربين من أن ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نصاً من الله هو جزء محدد من الكتاب، وأما البقية الباقية منه وبالأخص القصص فلقد جاءت من التناص مع الأديان السابقة على القرآن الكريم، وما استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام كما يدعون أخذه عن الأحبار والرهبان، وتلك فرية كبيرة على القرآن الكريم النص الإلهي المطلق المنزه.

إن التراث البلاغي والنقدي العربي يسوّغ لنا أن نتتبع فكرة النص عند المحدثين العرب والنص في الوقت الحالي ما إن يذكر حتى يذكر محايثاً له د.عبد الله الغذامي، ود.محمد مفتاح، ود.صلاح فضل، ود.باسل حاتم ود. رقيه حسن، وغيرهم ممن عرّف النص وقام بالتنظير له، يقول د.محمد مفتاح: "النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة.

- مدونة كلامية : يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل .
- حدث: إن كان نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.
- تواصلي : يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي .
- تفاعلي: على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف
- أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

- مغلق : ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية هو: توالدي : إن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له "[1]

ويرى الغذامي أن : " النص الأدبي هو بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية. ولذلك فإن القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التعبير. إن القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النور أو كهطول المطر وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة وكأنها مد لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنها لكذلك لأنها نص يأتي ليتداخل مع سياق سبقه في الوجود. وكذلك فالنص مفتوح وهو بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص ثم إلى النصوص الأخرى ليكون بعد ذلك:(الكتاب امتداداً كاملاً للحرف " [2]

وتأكيداً على إجرائية النص وسعياً به إلى أقصاه أوضح الغذامي أن النص " كلي في حركة مرحلية لأنه نص بنيوي، والبنية شمولية / ومتحولة / وذات تحكم ذاتي والنص يتحرك داخلياً بحركة مفعمة بالحياة كي يكون بنية الوجودية، ليكون له هوية تميزه. فإذا ما تميز فإنه يتحرك كاسراً لحواجز النصوص ليدخل مع سواه في سياق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجراتها "[3]

ولكن هل ينظر كل هؤلاء النقاد للوصول إلى تعريف تام للنص ؟ يقول د. منذر عياشي : " إن وضع تعريف للنص يعتبر تحديداً يلغي الصيرورة فيه، ويثبت إنتاجيته على هيئة نمطية لا يكون فيها زماناً للمتغيرات الأسلوبية والقرائية أثر، ويلغي قابليته التوليدية زماناً ومكاناً، ويعطل في النهاية فاعليته النصية "[4]

---

(1)- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 120.

(2)- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1985، ص 90.

(3)- (المرجع نفسه)-عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص 90.

(4)- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 207.

و" يذكر (دوبوجراند) في بداية تأريخه لعلم النص رأياً لـ(فان دايك) يقول فيه: لا يخضع علم النص لنظرية محددة أو طريقة مميزة وإنما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللغة التي تتخذ من النص مجالاً لبحثها واستقصائها"، ويعني ذلك ألا نتوقع في دراستنا لتاريخ علم النص أن تبرز نظرية واحدة أو اتجاها محدداً وإنما يجب أن نتجه نحو سائر الأعمال التي أسهمت في إبراز هذا المجال الحيوي في دراسة اللُّغة"[1]

لذلك فإن كل ما يحدث هو عبارة عن محاولة للمقاربة بين التفسير المعجمي السابق للفظ (نص) في العربية، ولفظ (TEXT) في الإنجليزية، ثم المقاربة بين محاولة كل من العرب والغرب في تحويل مصطلح النص من المفهوم إلى الإجراء للاستفادة منه في دراسة بلاغية حداثية تساعد على إحياء علم البلاغة من جديد واستنطاق النصوص شمولياً وتأويلها بما يثري الأدب والعلم على حد سواء .

إن ثقافتنا ثقافة شفاهية تعتمد على السماع، ولم تعرف الكتابة بشكل رسمي إلا مع تدوين القرآن الكريم، ولذلك لم يرتبط مفهوم النص في معاجمنا بالكلام المكتوب كما هو الحال في المعاجم الأجنبية التي ركزت على أن النص مدونة، وأنه إنجاز فعلي أو كتاب أو جزء من كتاب مخطوط باليد أو منقوش أو مطبوع . ولكنهم يتفقون معنا في إطلاق لفظ (نص) على النص المأخوذ من القرآن أو النص الكامل للقرآن أو الكتاب المقدس، بل إن التعريفات تشير إلى أن النص بداية كان يطلق على مخطوطة الكتاب المقدس كما يطلقه البعض من نقادنا على نص القرآن الكريم .

و لقد ربط العرب بين نسج الثوب ونسج الشعر وبين الشعر والنسج والتصوير، فكلها تحتاج إلى تناسق وتداخل وتفرد ويكون الهدف منه الإبداع والوصول إلى غاية الصناعة. قال الجاحظ: " إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[2] ويرى ابن طباطبا أن " الشاعر الحذق كالنساج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق

---

(1)– يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 1997، ص 67.

(2)– الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1–2،وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ،دط، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ، 1971، ص 131.

ويسديه، وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه. وكالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه. ويشيع كل صيغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان "[1]

كل تلك الفنون تولد من خلال التداخل والتركيب والترابط ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض، حتى تصير قطعة واحدة..."، " فكما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف شعراً من غير أن يحدث فيها النظم" ...و" كما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، كما الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه..."[2]

وقد آثر الدكتور عبد الملك مرتاض أن يكون المقابل العربي لـ(Text) هو (النسيج) لما في دلالته اللغوية من معنى الترابط، ولعدم توافر هذا المعنى في مادة (نصص)، ورأى أن العرب عرفوا أن النص مفهوماً وشكلاً وممارسة ولكن هذه المعرفة لا تعني وجود نظرية النص عند العرب"[3]

و **جوليا كريستيفا** "Julia Kristiva" بدورها تقول : «نُحدد النص كجهاز عبر لساني يُعيد توزيع نظام اللّسان بواسطة الربط بين كلام تواصُلِي ، يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه »[4]

---

(1)- ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص19.

(2)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1982، بدون طبعة، ص 316، 373، 312.

(3)- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون طبعة، 1998، ص 73.

(4)- جوليا كريستيفا : علم النص ، تر: فريد الزاهي ،ومر: ع.الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، ط2، الدار البيضاء – المغرب ، 1997،ص21.

وعلى هذا الأساس يقول صلاح فضل :«إنّ تعريف جوليا كريستيفا "J.Kristiva" على تداخله قد ظفر باهتمام خاص ، كونه يُمعن النظر إلى السطح اللّغوي ويُظهر ما في النص من تداخُلات متعالقة. فهي ترى بأنّ النص عبارة عن أكثر من خطاب مُجرّد أو قول ؛ لأنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يُؤخذ بها على أساس كونها ظاهرة عبر لُغويّة ؛ بمعنى أنّها تتكون بفضل اللّغة ، إلاّ أنّها لا تقبل الانحصار في مقولاتها ، ومن هنا فإن النص : جهاز عبر لغوي ، يعيد توزيع نظام اللّغة ، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ، مُشيرا إلى بيانات مباشرة ، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة و المتزامنة معها والنص نتيجة لذلك إنّما هو(Productivité)، أي إن النص هو عملية إنتاجية ،وهذا يعني تصنيف أمرين هما :

1)علاقة النص باللغة التي يتمحور فيها لكي يصبح من قبيل إعادة التوزيع [عن طريق التفكيك وإعادة البناء] لمقولات منطقية.

2)النص عبارة عن عملية استبدالية من نصوص أخرى ؛أي عملية تناص

"Inter Textualité" ، لأن فضاء النص يتقاطع مع عدة أقوال ، تؤخذ من نصوص أخرى وهذا المفهوم مرتبط عند كريستيفا بفكرة النص يُعتبر وحدة أيديولوجية "Ideologeme"»[1]

نستنتج، بأن معنى كلمة النص "Texte" قد عرف تطورا دِلاليا في اللّغة وحقولها المعرفية فمعنى النص قد يصنف على أساس بنيته الدِلاليّة؛ وذلك بالانتقال من الجانب الحسي إلى الجانب المعنوي ، أو بالغوص في تحديد مصطلحه الشبيه بفعل القراءة و القراءة متعلقة بفعل الكتابة ، أي كلام وجبّ تنفيذه .

ومن خلال التعريفات السابقة الذكر حول تحديد معنى "النص" سواء على مستوى اللّغة وعلى مستوى الاصطلاح، بإمكاننا وضع مخطط يلخص لنا ذلك على النحو الآتي :

---

(1)- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، إشراف : أحمد مشاري العدواني ، سلسلة عالم المعرفة ، دط، الكويت ،1992 ص212.211.

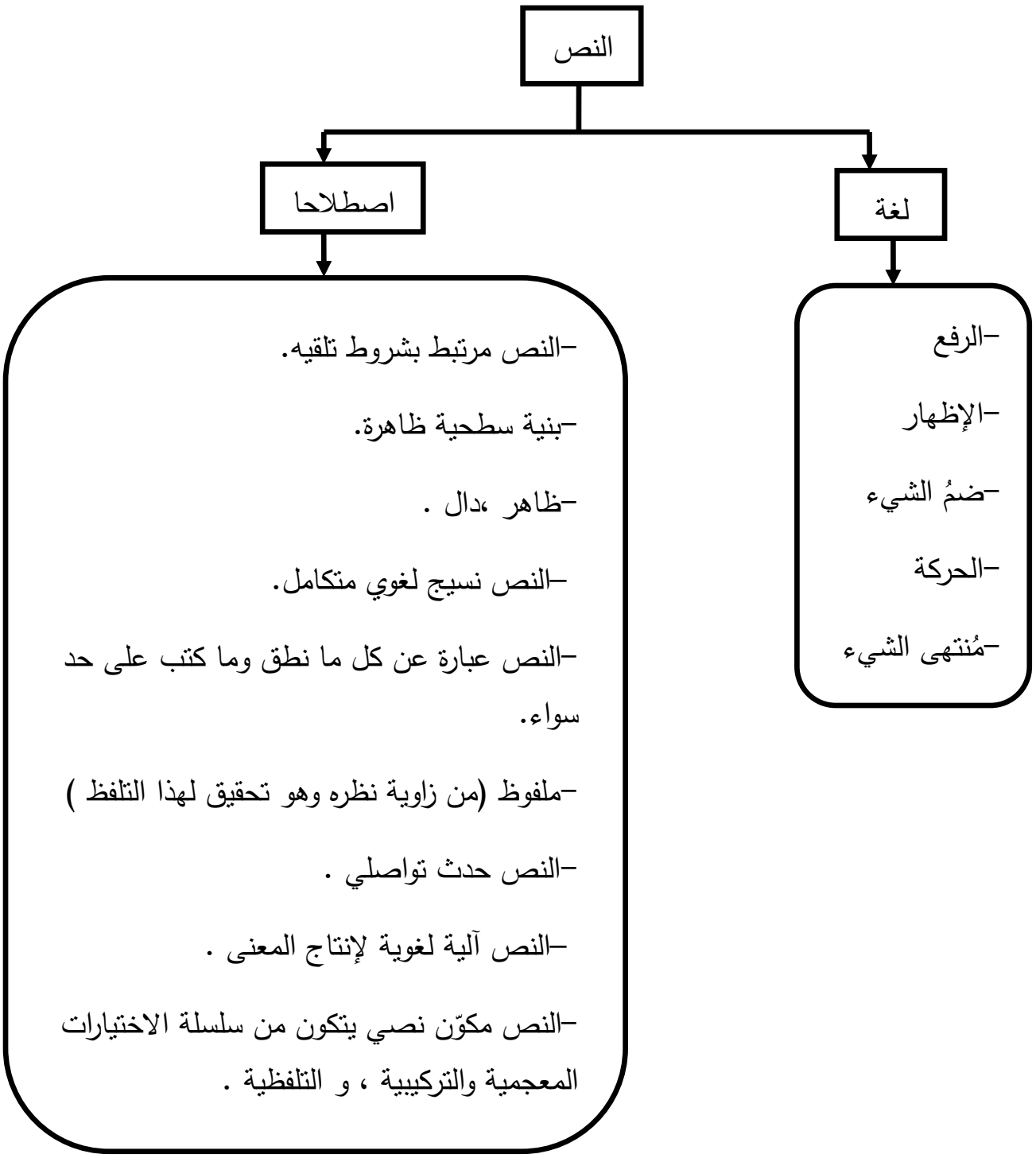
النص
لغة
اصطلاحا
-الرفع
-الإظهار
-ضمُ الشيء
-الحركة
-مُنتهى الشيء
-النص مرتبط بشروط تلقيه.
-بنية سطحية ظاهرة.
-ظاهر ،دال .
-النص نسيج لغوي متكامل.
-النص عبارة عن كل ما نطق وما كتب على حد سواء.
-ملفوظ (من زاوية نظره وهو تحقيق لهذا التلفظ)
-النص حدث تواصلي .
-النص آلية لغوية لإنتاج المعنى .
-النص مكوّن نصي يتكون من سلسلة الاختيارات المعجمية والتركيبية ، و التلفظية .

2 -2/**مفهوم الدِّين**:(Religion)

أ) **في اللغة**:إن أصل الاشتقاق لكلمة الدِين في اللّغة العربية، تعود إلى مصدر الجذر اللّغوي "د.ي.ن" بمعنى الطاعة والانقياد ، ودانَ يَدينُ دَينًا ، واسم الفاعل منه : دائن ، واسم المفعول : مَدِين ، و مَديُون وجمعه : ديُون وأدْيُن ، ونجد بيان معاني كلمة "الدّين " في معاجمنا العربيّة ابتداء من :

1/ **الزمخشري** (ت538ﻫ): «دين : دَانَ فُلانٌ بدينِ الخُرَّمِيَّةُ ، ورجلٌ ديّن ومُتديّن وديّنتهُ : وكلتهُ إلى دينهِ ، وتقول أبعتُ بدَينْ أم بعَين ؟ وهي النّقد . و دنت و ادّنَت وتدّينت واستدنت : استقرضت ، ودنته و أدنته و ديّنتهُ : أقرضته .وداينتُ فلانًا :عاملته بالدين. وتدايُنوا .وفُلانٌ دائن و مديون ، ودنته بما صنع: جزيتُه "كما تدينُ تدان " ، ومنه يوم الدّين و الله الدّيان ، وقيل : هو القهار»[1]

2/ **التهانوي** :«الدّين :بالكسر و السكون في اللّغة يطلق على العادة و السيرة والحساب و القهر والقضاء والحكم والطاعة والحال و الجزاء ، ومنه ﴿مالك يوم الدين ﴾ (الفاتحة آ4) ، والسياسة والرأي ودانَ عصى و أطاعَ وذلَّ و عزَّ فهو من الأضداد ... ويُقال الدين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل ، وهذا يشتملُ العقائد و الأعمال، ويطلقُ على كل مِلّة كل نبي ، وقد يخصُّ بالإسلام كما قال الله تعالى ﴿إنّ الدّين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران آ19) » [2]

والشاهد أنّ جملة المعاني الّتي دارت حولها المادة اللّغوية[دَانَ ، دِين ، مُتدَّين ، الدَّين دنّت ، تدنَيتْ، ديَنتهُ ومَدِين] من خلاّل ما سبق ذكرهُ ، ولا يُمكن الخروج عنها في مادة كُل معجم هي على النحو الآتي: (الطاعة، الخضوع، الاعتقاد، المذهب المتبع، الأخلاق الجزاء، الشرع والقضاء والحكم، الإسلام.)

---

(1)- أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري : أسّاس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السّود ، دار الكتب العلمية ط1، بيروت –لبنان ، 1419ﻫ-1998م، 1/ص305-306،مادة (دانَ).

(2)- محمَّد علي التَهَانَوِي : موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، تق واشر و مر: د. رفيق العجَم ، تح : د.علي دحدوح ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، بيروت – لبنان ، 1996م، 1/ص814،مادة (دان).

ب) **في الاصطلاح:** يعدُ الدّيَن متاعا ثقافيا ، مثل الموسيقى المحليّة السائحة عبر العالم لذلك فإنّ هذا الوصف الدّيني يطرح تساؤلا و إشكالية جِديّة ، فيما يسمى اليوم باسم الدَّين الذي يعرفُ تنوع واتساع كبيرين لعبادة الواحد الأحد لمختلف العبادات المتنوعة ويُدرس على غير صعيد معرفي ، ومنه فقد عُرف الدَّين في العُرف والاصطلاح بمجموعة من التعريفات، من طرف علماء مسلمين أو غير مسلمين فمصطلح الدّين على هذه الشاكلة والتنوع هو محصورا في الدين الإسلامي المنزّل من عند الله تعالى ، أي أنّ كل دين هو من صناعة البشر وكما قيل : "الدّين هو الذي يمنح هذا الكائن البشري معنى لحياته و سلوكه فالعامل الديني يقوم بتكوين الحقيقة الاجتماعية "، وفيما يلي عرض لمعنى هذه الكلمة في اصطلاحها العام على النحو الآتي :

1/« والدّين في الاصطلاح العام : ما يعتنقه الإنسان و يعتقده ويَدِينُ به من أمور الغيب و الشهادة .وفي الاصطلاح الإسلامي : التسليم لله تعالى والانقياد له والدّين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لَدُن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد (ص) »[1]

وهاهنا، فإننا نلاحظ أن هناك اختلافا واسعا في تعريف الدّين ، سواء أكان ذلك من الناحية الاصطلاحية أم من الناحية الإسلامية ، فإن مصطلح الدّين عُموما يعني اعتقاد قداسة لذات ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذُلاً وحُبًّا ، رغبة و رهبة ؛ أي تعريف شامل للمعبود حقا وهو الله –عز وجل – كما أيضا العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم ، سواء كانت سماوية صحيحة ، أولها أصل سماوي ووقع فيها التحريف ، كما يبرز التعريف أيضا حال العابد ؛ إذ لابد أن يكون العابد مُتلبسًا بالخضوع للمعبود حال العبادة إذ أنّ ذلك أهم معاني العبادة لبني آدم.

---

(1)– ناصر بن عبد الله القفاري و آخرون: الموجز في الأديان و المذاهب المعاصرة ، دار الصميعي للنشر و التوزيع ، ط1، الرياض ، 1413هـ–1992م،ص10.

2/« إنّ الدّين هو مجموعة الأحكام والمواضيع التي بيّنها الوحي، والفهم الدّيني أو المعرفة الدينية، هو تقديم تفسير يتناسب والمواضيع والأحكام المطروحة »[1]

نستشف من خلاّل هذا القول أن مصطلح الدّين ، يتمثل في الشرع الإلهي المتلّقى عن طريق الوحي أي عبارة عن جملة من الموضوعات الّتي تقتصرُ على الدّين السماوي فقط، ذلك أن الوعي الدّيني الصحيح هو ليس كل ما يتخذه النّاس ويتعبدون له يصِحُ أن يكون دينًا ، سواء كان صحيحا أم باطلا ، وهو على هاته الشاكلة ينبني على خصُوصيّة تتناسب وخلقُ المسلم وفِكرهُ و تأمله في الحياة و مشاغلها و الأحكام المسيّرة من طرفه *عز وجل* والمبعوثة لأمته عن طريق أمين الوحي ، فالإنسان ليس صانعا ولا خالقا لهذا الدّين ، وإنّما هو متلّقٍ مُدركٍ له ولمحتواه ، فجوهر التّدين إنّما هو الاعتقاد والالتزام القلبي بمحتوى الوحي والسلوك ، والالتزام العملي بتعاليم الوحي .

و منه، فإنّ مصطلح الدّين ينبني على مجموعة من الحقائق و القوانين و المناسك و الأخلاقيات، ومن خلالها يطلبُ من المؤمنين الإيمان والعمل بها وتنظيم السلوك وُفقا لها وبما أنّ الوحي –رسالة إلهيّة –يعدُ أهم منبع لمعرفة ماهية الدّين ، وليس المنبع الوحيد،لأن للعقل الإنساني أيضا دور أساسي و جِدُّ فعال في معرفة بعض العناصر الدينيةّ.

3/إذن «فالعلماء المسلمون عرفوا "الدَّين" بعدّة تعريفات يمكن حصرُها في المفهوم التالي: "الدين هو وضع إلهي يُرشد إلى الحق في الاعتقادات ، وإلى الخير في السلوك و المعاملات "، وبإمعان النظر في ثنايا هذا التعريف فإنّنا نجده ينحصر عموما في الدَّين المنزل من عند الله تعالى ، بمعنى أن كل دين إنّما هو من صناعة البشر، وهذا إدراكاً لمعنى الدّين كونَه "وضعٌ إلهي " ،وبالمقابل فإن هذا التعريف يتناقض مع عدة نصوص قُرآنية يُفهَمُ منها إمّا بالتصريح أو التلميح أن كلمة "دين "قد تطلق أيضا على الديانات الوضعية ومن هذه الآيات القُرآنية نذكر :

---

(1)– محمد جواد لاريجاني : التدّين والحداثة : تر:علاء رضائي ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط1بيروت –لبنان ، 1421ه–2001م، ص36.

1) قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ ٱلْخاسِرِينَ﴾آل عمران آ85.

2) قال تعالى ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾المائدة آ3.

3) قال تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾الكافرون آ6

4) قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾الفتح آ28

أما المعنى الاصطلاحي لمصطلح "الدّين" لدى جمهور العلماء غير المسلمين ، فقد نقل لنا الدكتور محمد عبد الله دراز "رحمه الله " في كتابه (الدين / بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) جملة من التعريفات منها :

1/يقول كانت في كتابه "الدين في حدود العقل ": "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيثُ كونها قائمة على أوامر إلهية " 2/يقول الأب شاتل :في كتابه "قانون الإنسانية " : " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه " 3/يقول تايلور : في كتابه " المدنيات البدائية "أن "الدين هو الإيمان بكائنات روحية " »[1]

(1)- بهجت عبد الرزاق الحباشنة : الدين مفهومه و حقيقته في ضوء القرآن والسنة ، دورية متخصصة صادرة عن المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية و الإدارية)، عمان –الأردن ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، 1425هـ-2004م، ص4-5.

وممّا سبق ذكره، بإمكاننا القول أن كلمة "الدَّين" سواءً أكانت من وُجهة نظر إسلامية أو غير إسلامية تُطلق على معنى الإسلام وغيره من الديانات الأخرى ، فهي بمثابة تعبير كلّي عن الإنسان ووصوله إلى الحقيقة دُفعة واحدة .

ومما سبق ذكرهُ آنفًا، نستطيع وضع جدول يُلخص لنا هاته الاختلافات أو الاشتقاقات الجوهرية المستخدمة لمعاني و دلالات مصطلح "الدّين" كالآتي :

*استخدامات مصطلح "الدَّين"

الديـــــــــــــــــــــن			
اسم محدد	اسم عام	صفة أو حال	فعل
دين أو أديان	ديانة	ديني	يتديّن
*يشير الاسم إلى مجموعة محددة من التعاليم(مثل المسيحية و الإسلام و الهندوسية)	*الوجه العالمي لثقافة الإنسان .	*تستخدم الصفة بالمعنى العام من أجل وصف نوع شيء ما أو سلوك ما أو خبرة .	*ليس " شيئا" بل فعل يدلُ على عملية أداء شيء.

(ش01)

وبما أنّ لمصطلح الدين استخدامات و اشتقاقات لُغويّة من ناحية اللفظ ، فإنّ له معاني و عبارات دالّة عليه وفي هذا المقام نذكر الإمام ابن الجوزي (ت 597 ﻫ) الذي أورد لنا بابا في مُؤلفهِ "المدهِش" حول المعنى العام والإجمالي لكلمة الدّين على النحو الآتي:«باب الدين: –الدين: يُذكر ويُراد به الجزاء:مالك يوم الدين.

ش(01)– مالوري ناي : الدين الأسس : تر: هند عبد الستار ،مر: جبور سمعان ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، ط 1، بيروت –لبنان ،2009 ، ص 23.

-ويُراد به الإسلام :بالهدى ودين الحق.

-ويراد به العذاب (بمعنى القويم) أي الصراط المستقيم .

-ؤيراد به الطاعة: ولا يدينون دين الحق .

- و يراد به التوحيد: مخلصين له الدين.

-و يراد به الحكم : ما كان ليأخذ آخاه في دين الملك .

- ويراد به الحد : ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله .

-و يراد به الحساب : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق.

-و يراد به العبادة: قل أتعلمون الله بدينكم. »[1]

ومن خلاّل تتبُعنا لدلالة مفهومَي "النص /الدّين" ، وباعتبارهما إستراتيجية و هدفاً في الوقت ذاته على مستوى الدراسات اللّغوية و الدينية على حد سواء ، توصلنا إلى الاستنتاج التالي : أن معنى كلمتي "النص و الدّين " يُطلقان على مصطلح النص الديني الذي هو عبارة عن نص مُحدّد في مساحته ، حيث توجد له بداية و نهاية وموضوع ، ففي تحليل النصوص يتم تفكيك و إعادة بناء للنص بُغية التعرف على بنيته و خصائصه اللّغوية و الوقوف على علاقته بمُنتجِهِ، وعلاقة مُنتجهِ بمصادره.ومنه "فالنص الديني،-كتابا وسنة- هو محور العلوم الدينية وموضوعها .والمنهج الأصولي في فقه هذا النص و التعامل معه هو المنهج الوحيد الذي اعتمد عليه العلماء ،على اختلاف تخصصاتهم ، في الوصول إلى معاني النص و مقاصده ، فلقد كان هذا المنهج حاضراً وظاهراً لدى الفقيه والمفَسَّر و المحدَّث و شارح الحديث و المتكلَّم أيَّما حضور و أيَّما ظهور "[2]

---

(1)- أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي : المدهش : ض، و تص ، و تع :د.مروان قبّاني ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت -لبنان ، 1426ه-2005م،ص28.

(2)- أيمن صالح : القرائن و النَّص (دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص)، المعهد العامي للفكر الإسلامي ،ط1،هرندن-فرجينيا-الو. م .أ،1431ه-2010م،ص7.

ثالثا/البدعة في فهم النص الديني وأقسامه :

لقد تعددّت قراءات ووُجهات النظر المعرفية للنصوص الدّينية ؛ بُغية الظفر بقراءة جديدة للدّين الإسلامي أو بالأحرى الآلية المحرّكة لفهم مضمون النص الديني وأقسامه وخطابه .

وإن الخوض في عملية البحث والتقصّي عن أسرار ماهية فهم الخطاب الإسلامي ونصوصه الدينيّة ، تعدُ بمثابة طُرق معرفية مقدمة لغرضٍ ما ، و بالمقابل، يظلُ الشُغل الشاغل من حيث الأساس ، ليس الدين باعتباره موضُوعا في ذاته؛ بل تلك الآلية من الفهم النّصي على وجه الخصوص ، فالدين يُنظر إليه كموضوع لأجل غيره لا كموضوع في ذاته.

أما آلية الفهم النّصي الديني و أقسامه ، الغرض منها التحكم في القواعد المنطقية ،وكذا الشروط المعرفية القبلية الّتي لا تتحقق بدونها ، وسنحاول قدر الإمكان إيجاد السبُل الممكنة لوضع جُملة من البدائل المناسبة لطرق الفهم كمعرفة معنى التأويل و التحريف السائدة في هذا العصر، الذي أصبح يشكل لنا بِدعة حقيقية ، مع معرفة جملة الأقسام المعتمد عليها في فهم الخطاب الديني و قراءة نصه،وفيما يلي عرضٌ موجز لفهم هذين السبيلين على النحو الآتي :

أولا:" فالمعركة هنا مع أهل التحريف و التأويل الباطل ستبقى مستمرة ولن تتوقف على مرِّ العصور و الأيام ففي كل زمان لها دُعاتها و أربابها، وأما في وقتنا الحاضر يرفع راية التحريف مجموعة من الكُتاب و المفكرين تحت شعارات مختلفة يجمعها المطالبة بتحريف دين الله ، وإعادة فهم و قراءة للإسلام ليتوافق مع الواقع فمرةً يرفعون شعار –تجديد الفكر الإسلامي – ومرةً يدعون ل–تجديد الخطاب الديني – وهاهنا اليوم نراهم يدعون إلى –تعدد القراءات –مع المطالبة ب –إعادة قراءة النص الديني – ؛ بُغية الخروج ب "القراءة الجديدة للإسلام "، وتكون مُوائمة و متطلبات الحياة و متغيّرات العصر ، وبالتالي فقد أدرك أعداء هذا الدّين أنّ الله –عز وجل –تكفل بحفظ نصوص الوحي ؛ لأنّها تُقرأ على مسامع الأمة صباح مساء ، لذلك لم يجدوا أيّ طريق أو مسلك يسلكونَه إلاّ تحريف وتشويه معاني ودلالاّت النصوص الشرعية ،وهذه بِدعة في حدّ ذاتها ، وعلى هذا الأساس المنهجي

اليهودي الّذين قال فيهم سبحانه و تعالى ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] ، وعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر و أمر أمتهُ بتتَبُع سنن الأولين ...وجب أن يكون فيهم من يُحرَّف الكلِمَ عن مواضعه، فيتغيّر بذلك معنى كل من الكتاب و السنة فيما أخبرنا و أمرنا الله به"[2]

وممّا سبق، بإمكاننا القول أن معركة تحريف وتزييف معنى النص الدّيني الشرعي وتأويله قائمةٌ أساسا في هذا الزمن تصديقا لما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك أخبرنا عليه الصلاة و السلام في حديثه"إيَّاكُم و إيَّاهُم " وهي نصيحة نبوية للتعامل مع المحرّفين فيجب الابتعاد كل البعد عن القراءة لمثل هذه الكتابات ولو على التهكم منهم.

وبالمقابل، فإننا نجد ثُلةً من الصادقين المخلصين لدين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة، يصُدّون فكر أولئك المحرفين، بل ويردون عليهم قراءاتهم المحرّفة؛ بغية تحقيق موعود الله تعالى في حفظ الوحي " لفظًا و معنًى" وما العاقبة إلاّ للمتقين.

ومنه فإنّ الأصل في القراءة الجديدة للنص، أنها قراءة لتحليل الحرام، وفتح أبواب الهوى و الشهوات وفي هذا المقام نختم بقول ابن القيم الجوزية (ت751ﻫ) رحمه الله [فهو يُعد من أعلام الإصلاح الدّيني في القرن 8ﻫ وهو تلميذ ابن تيمية] :"سبحان الله ماذا حُرِم المعرِضونَ عن نصوص الوحي ، واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر !!*وماذا فاتهم من حياة القلوب، و استنارة البصائر !*قنعوا بأقوالٍ استنبطوها بمعاول الآراء فكرا.* و تقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زُبرًا .*وأوحى بعضهم إلى بعض زُخرف القول غرُوراً فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورا.*درست معالمُ القرآن في قلوبهم، فليسوا يعرفُونها ودثُرت معاهدهُ عندهم فليسُوا يعمرونها .*ووقعت أعلامه من أيديهم، فليسوا يرفعونها *وأفلتْ كواكبهُ من آفاقهم ، فليسوا يُبصرونها .*وكسفت شمسهُ عند اجتماع ظُلم آرائهم وعُقدِها ،فليسوا يثبتونها.*خلعوا نصوص الوحي عن سُلطان الحقيقة، و عزلوها عن ولاية اليقين.

---

(1)-سورة البقرة آ75

(2)- محمد صالح المنجَد : بدعة إعادة فهم النص : تق: د.صالح بن فوزان الفوزان ، مجموعة زاد للنشر ط1، جدّة – المملكة العربيّة السعودية ،1431ﻫ-2010م،ص14-15.

وشنُوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة ، فلا يزالُ يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كَمينٌ بعد كمين . نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام ٍ لِئام فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال و الإكرام و تلقُوها من بعيد ، و لكن بالدفع في صدورها والأعجاز و قالوا : مالك عندنا من عبور ، وإن كان لابد فعلى سبيل المجاز *أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان، له السَّكة و الخطبة، وماله حكم نافذ ولا سلطان." [1]

ونستشف من خلاّل هذا القول، أن ابن القيم قام بتوجيه دعوة دينية لأمته، بُغيّة التمسك بتعاليم الدّين الحنيف و المحافظة على قيمهِ و نصوصه الشرعية، وإتباع سنة نبيه (ص) دون الذوبان في فكر الآخر أو بالأحرى الانصهار في بدعتهِ الضالّة عن طريق الله –عز وجل– و نسأل الله الثبات على الحق حتّى الممات.

ثانيا: "تنقسم البحوث المتعلقة بفهم" الخطاب الديني "أو "النص" إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

1 /**نظرية الفهم وقواعدهِ** : وهو ما يُزاوله العلماء، باعتباره نوعا من المعرفة المتعلقة بالموضوع الخارجي فالاستنباط هنا هو بالمعنى الفقهي لا المنطقي ، أي هو عبارة عن استخراج المعنى من النص الدّيني كالذي يُمارسه رجال العلوم الإسلامية ويمكن أن ندرج ضِمنه القواعد و النظريات الأصولية التي تطبق على عمليات الفهم كما يُمارسها علم أصول الفقه و غيره من العلوم الدينيّة .

2/**تاريخية الفهم**: وهو معني بتطوُرات الفهم عبر السنين وما يعتري هذا الفهم من حالات الرُقي والجمود عبر التاريخ، فتجري مُتابعة حالاته الثابتة و المتغيرة ففيما يرتبط بالفهم المتغيّر يمكن أن تدرس الحالات المتعلقة بالقضايا الوصفية أو التقريرية الإخبارية ، كتلك الّتي تستنبطُ من النص حول العلوم الطبيعية ، كما يمكن أن تدرس الحالات المتعلقة بقضايا القيم و الأحكام، ومُقارنة كل ذلك قديما و حديثا، طِبقا للتأثير المتولد عن تطورات الواقع و تحولاته .

---

(1)–(المصدر السابق): محمد صالح المنجد: بدعة إعادة فهم النص، ص 139–141.

3/**منهج الفهم وخِطابهِ** : وهو معني بمعرفة مناهج الفهم و القواعد التي يُعتمد عليها و القوانين الّتي تتحكم فيه ، كما يندرجُ ضمن البحث الطريقي كل ما يستجدُ من قواعد للفهم وكذا طُرق التقويم والترجيح بين مناهج الفهم و أنساقه، ويدخل هذا القسم في صميم (علم الطريقة)[*] ، وهو نظير ما يجري و الطريقة عليه أولىَ من إطلاق لفظ الفلسفة "[1]

وممّا سبق ذكره نلاحظ أن البحث الطريقي يعتبر أهم بحث ، كونه يقع موقع البنية الأساسية لأنساق و آليات الفهم الدّيني " أي هل يمكن للنص المجرد من الناحية الكُليّة تحديد المعنى المطلوب " ، فحين نرى أن البحث الاستنباطي يندرج ضمن البنية السطحية له (أي قائم بذاته) ، أما البحث التاريخي يُعنىَ بتتبع تغيُّرات ومراحل تطور الفهم عبر الأزمنة المتعاقبة .

ومنه، نستنتج الاختلافات الجوهرية القائمة بين دلالة ومعاني ، مفهُومي النص و الفهم الدّيني والتي بإمكاننا أن نمثل لها بالخطاطة التالية :

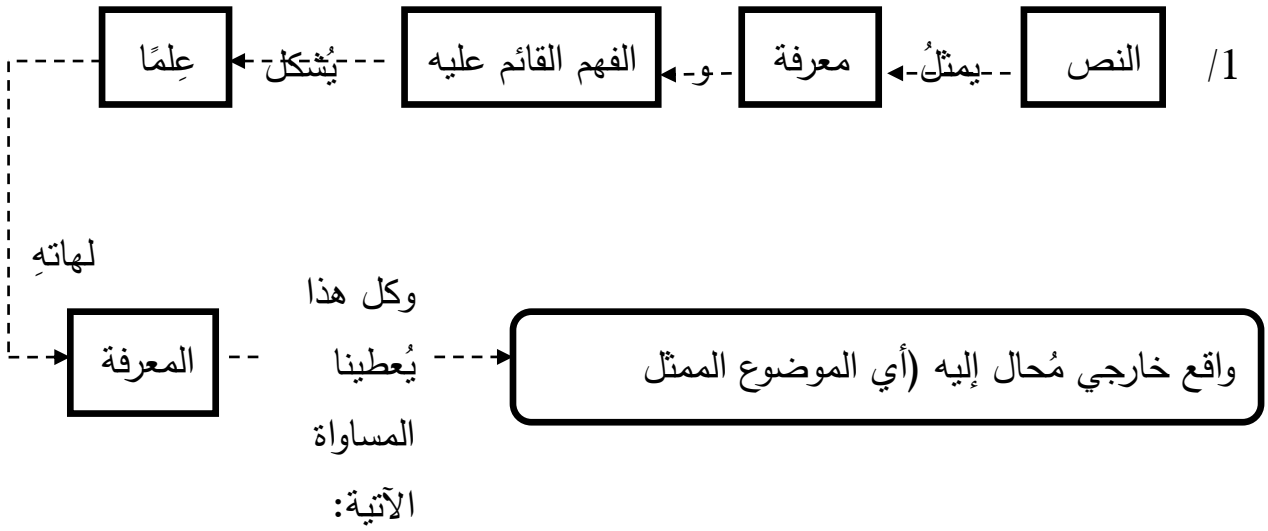

(*)–علم الطريقة: هو علم لمنهج الفهم وخِطابهِ وكذلك يُعنَى بفلسفة العلم في العلوم الطبيعية والغرض منه إحداث نقلة نوعية، أي حدوث قطيعة معرفية في نمط التفكير و البحث.

(1)– يحي محمد: منطق فهم النص (دراسة منطقية تُعنى ببحث آليات فهم النص الدّيني وقبلياته)، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء –المغرب، 2010م، ص11، 12

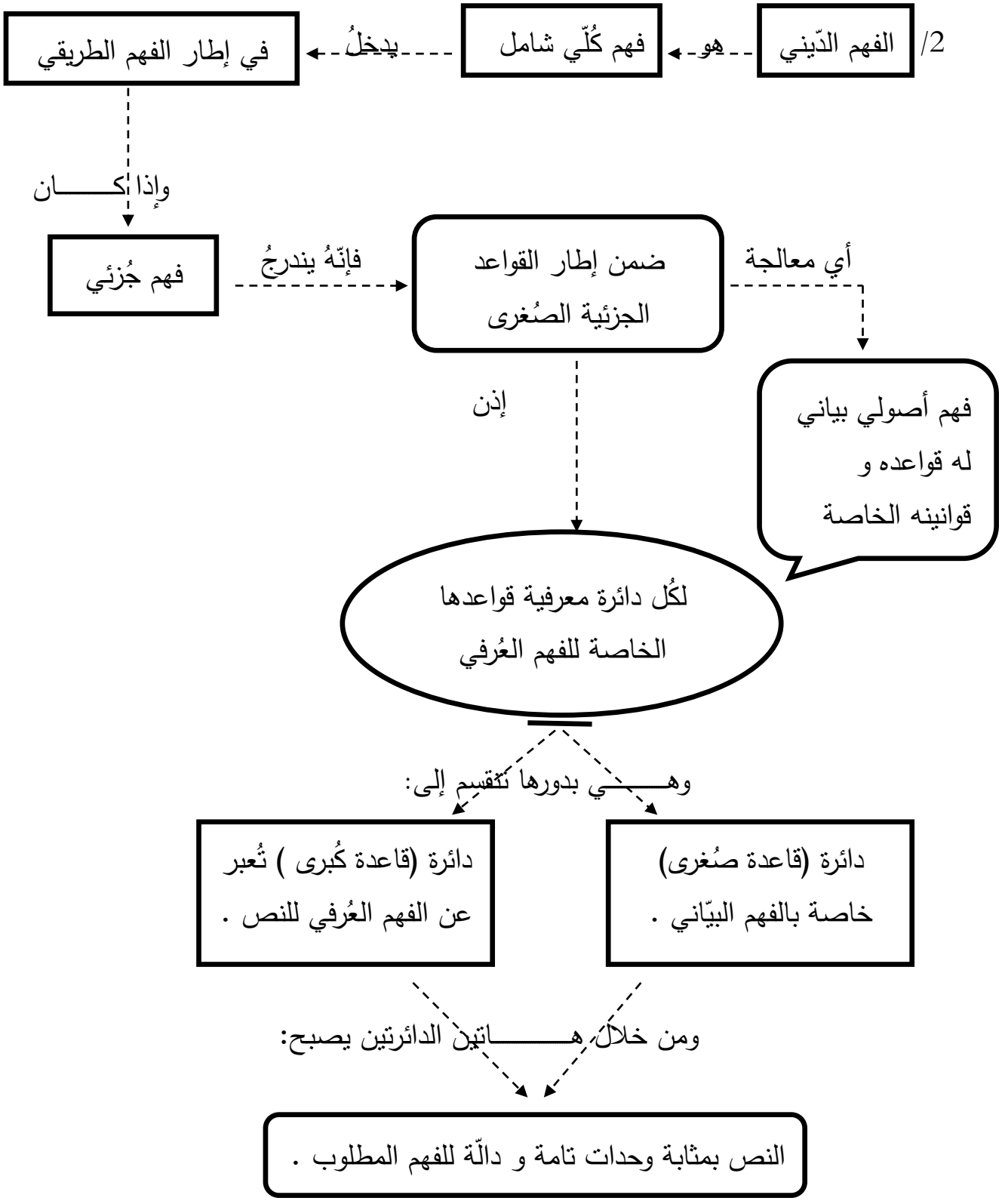

وعلى هذا الأساس بإمكاننا وضع مخطط عام يُلخص لنا معاني ودلالاّت مبحث علم الطريقة ومستوياته لفهم نص الخطاب الدّيني كالآتي :

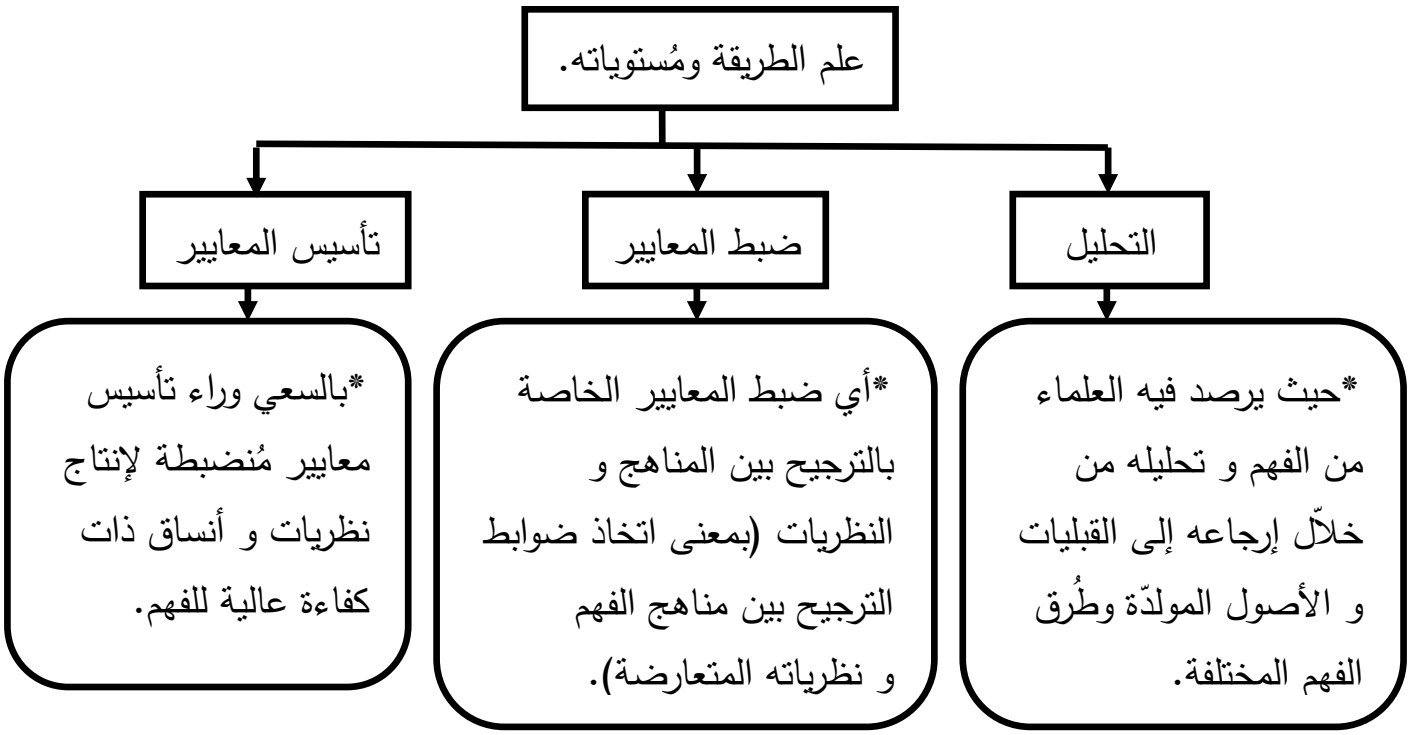

وعلى العموم، فإنّ العلاقة الوطيدة التي تربط علم الطريقة بفهم الخطاب خاصة من الناحية الابستيمولوجية المعرفية، تُعنى بالتعامل مع الخطاب الّذي لا ينحصر فقط بحدود الفهم، وإنّما يرتبط ب:"أهم نقطة يمكن أن نستخلصها مما سبق هو أن هناك فارقا عظيما بين الخطاب وبين الطريقة الموظفة لفهمه ، فالطريقة لا تنقلُ الخطاب كما هو؛ بل تتصوره بحسب قواعد ومسلمات قبلية تُشكل محور النشاط في الفهم و إنتاج المعرفة والفارق بين الخطاب وطريقة فهمه، هو كالفارق بين الطبيعة وعلمها ،فمثلما أن هذا العلم يتصوَرُ الطبيعة ضمن اعتبارات وقواعد قد تُؤدي إلى عدم المحاكاة والمطابقة بينهما، كذلك الحال في علاقة الطريقة المعرفية بالخطاب حيث أن ما تحملهُ من اعتبارات قبلية من الممكن أن تجعل آلية الفهم الّتي تُؤسِسُها لا تُطابق حقيقة ما عليه الخطاب ، لهذا فإن اختلاف الطرق والقنوات المعرفية غالبا ما يُفضِي إلى تباين طبيعة الصورة المرسومة للخطاب أو الفهم المنتزع عنه ."[1]

(1)- يحي محمد: مدخل إلى فهم الإسلام (الفكر الإسلامي:نظمهُ.....أدواته.....أصوله)، مؤسسة الانتشار العربي ط 1، بيروت –لندن ،1999م،ص23.

وهذا الأمر يدعُوا إلى أن الفرق الجوهري بين الخطاب كموضوع في ذاته و بين الفهم الذي يختص بذاتنا واضح ، وهو بدوره يمثل لنا الفرق الشاسع إلى حدٍ كبير بين "الشيء لذاته "و" الشيء لذاتنا" .

رابعًا/ تأثير البدعة على الخطاب الديني :

لعلّ من أخطر المصطلحات و المفاهيم التي أدّت إلى اختلاف و تنازُع و تفرق و اضطراب و ظهور أحكامٍ مُتسرعة متناقضة في حق أبناء الأمة عبر التاريخ الإسلامي ولاسيما في عصرنا "مصطلح البدعة " ، فخطاب اليوم لا يُعتبر مجرد ألفاظ وعبارات تُلقى على مسامعنا ؛ بل هو رسالة تبليغية ذات مضمون فكري واضح له أهدافه ودلالاته المؤثرة صادر من تشكل الفعل الإنساني لدى كلٍ من المخاطب أو المخاطبين، و سواء أكان ذلك مُنبعثا من قِبل الفرد أو الجماعة ، وبالمقابل، فإننا نرى بأن الخطاب يمتلكُ نيّة التأثير على السامع أو القارئ من كل طريق أو حدثٍ ضال ، مع مُراعاة مُجمل الظروف والملابسات المحيطة به.

وفي هذا المقام نربطُ هذا الحدث بمُصطلح البدعة الذي لهُ تأثير سلبي واضح على لُغة الخطاب الدّيني ووحدة الأمة الإسلامية فهذا الخطاب يمثلُ لنا خطاب المسلمين أفرادا وجماعات؛ بل يُمثّل فهمهم لتعاليم الإسلام وقراءة نصوصه، وكذا معرفة سُبل أفكاره ومفاهيمه وآدابه وحِكمَهُ وتشريعاته .

فمُجمل التغيُّرات المؤديّة لتأثير مصطلح البدعة على ثنايا الخطاب الدّيني والمعبر عن واقعنا الملموس خاصة في مناحي الحياة الفكرية والعملية معا، ومن أثر تحريز مُصطلح البدعة في وحدة الأُمة وبنائها:« 1)هو التعرف على المقاصد الجليلة الّتي دعَى إليها الإسلام ، وتكمنُ في وحدة الأمة ، ونبذ التفرق و التعصُب و الاختلاف ومن ثمَ كان من الضروري على أهل العلم السعي لتحقيق مثل هذا الغرض العظيم ، وعلى إثر ذلك جاءت نصوص كثيرة ، ومنه قوله تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى آ13

وقوله أيضا :﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾آل عمران آ103 وقوله –عز وجل–:﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ المؤمنون آ52 .

وبالمقابل تُوجد نصوص أخرى تحذرُ من التنازُع و التفرق و آثاره الخطيرة ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾الأنفال آ46. و حذر من سلوك مسلك أهل الكتاب الذين جاءهم الكتاب و العلم وعرفوا في ضوء ذلك الحق ثم اختلفوا....وقال تعالى:﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾الشورى آ14".

"2) وإذا ما تأملنا في الآيات الكريمة السابقة نجدُها تحتوي بيّان منهج توحيد الأمة على الشكل الآتي:1–التزام هدي الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

2–التزام هدي الكتاب و السنة.

3–التحقُق بحقائق العبودية لله ، القائمة على التزكية للنفس .

4–إتباع العلم الحق، وذلك ما يُستفاد من الإنكار على أهل الكتاب الّذين ضَلُوا.

5–طاعة أولياء الأمور بالمعروف .

وعلى ضوء ما سبق، نُلاحظ أننا بحاجة ماسة إلى تحريز مفهوم البدعة بكل دقة ووضوح؛ ذلك أننا نلحظُ في خُطب مساجدنا و كذا مجتمعاتنا العلمية اليوم، تسابقا من طرف بعض النّاس إلى نبذ الطرف الآخر بالبدعة ومن ثم وقوع ما يترتبُ على ذلك من تنافرُ و تأزُم "."»[1]

(1)– محمد سعيد حوى : التأصيل لمفهوم البدعة و أثرهُ في توحيد الأمة ، جامعة مُؤتة /كلية الشريعة –قسم أصول الدين ، دط، دب،1431هـ–2010م،ص36–37.

و ممّا سبق ذكره، نخلصُ إلى أن الابتداع المضلل في الدين وخطابه له أسبابه الكثيرة نذكر منها: 1-إتباع الهوى.

2-سوءُ القصد والإرادة.

3-الإعراض عن تعلُّم الحق و العمَل به.

4-إعجابُ المرء بنفسهِ ورأيه .

5-البُعد عن أهل العلم وعدم سُؤالهم عن أمُور الدّين، وسؤال ذوي الجهل بالدين.

6-إيثارُ الدنيا على الآخرة وتقديم محبّتها على النعيم المقيم الّذي أعدّهُ الله للمتقين.

و الدليل على صحة ثبُوت هاته الأسباب المؤدية وبشكلٍ واضح في ذم البدع ، وتبيان مدى تأثيرها على طبيعة ودلالة الخطاب الدّيني الذي نعيشهُ اليوم هو كالآتي :

«1/ما رواه أبو داود بسندهِ عن مُعاذ بن جبل –رضي الله عنه–قال : (إن من ورائكم فِتنًا يكثرُ فيها المال ويفتحُ فيها القرآن حتى يأخذهُ المؤمن و المنافق ، و الرجل و المرأة و الصغير و الكبير ، و العبد والحر ، فيُوشك أن يقول قائل : ما للناس لا يتبعوني ؟وقد قرأت القرآن وما هم بمُتَبعِي حتى أبتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة واحذروا زيفة الحكيم فإن الشيطان، قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق)

2/وعن حذيفة –رضي الله عنه –قال :(يا معشر القُراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدا ولئن أخذتم يمينا أو شمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدًا ....)

3/وعن ابن عباس –رضي الله عنهما–قال : (عليكم بالاستقامة و الأثر وإياكم و التبدُع)

4/وعن ابن مسعود –رضي الله عنه –قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل ضلالة)

5/ وروى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن الحسن البصري، أنه قال: (اعرفوا المهاجرين بفضلهم و اتبعوا آثارهم و إياكم ما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات)

6/ وقال أيوب السختياني : (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بُعدًا)
7/ وقال حسان بن عطية –كما روى ذلك الأوزاعي ،عنه:(ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ولا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة) »[1]

وغيرها من الأدلة والبراهين الدالة على ذم مصطلح البدعة ومدى تأثيرها على مستوى الفرد والمجتمع وكذا وحدة الأمة بصفة عامة، وعلى مستوى الخطاب وتعاليم الدين بصفة خاصة.

ومما سبق ذكره، نستنتج أن هذا العصر قد خضعَ لأمور معينة كانت ذات تأثير على الناس في حياتهم الفكرية فكثير من البدع والأهواء أدت إلى انحراف في المجتمع في وسط العالم الإسلامي لعدة أسباب نذكر منها :

1) في هذا العصر خضعت الرقاب وقامت أمم ذات عقائد زائفة ونِحل فاسدة تملك رقاب الناس و مصائرهم مما كان سببا من أسباب تلوين الحياة الفكرية.

2) ظهور الفرق المختلفة من شيعة ومُتصوفة و أشاعرة و حلولية وغيرهم ونشوب العدوان فيما بينهم وكيد كل للآخر.

3) التنطُع الذي كان كرد فعل لهذا التسيُب من بعض الناس .

4) استغلال الناس وتمنيهم للإصلاح لأغراض شخصية و أهواء ذاتية.

5) تأثُر الناس بالغازي وبعاداته وبأسلوبه في الحياة .

6) يأس الناس وضعفهم وقلة حيلتهم وعدم وضوح الاتجاه الصحيح وكربهم وخوفهم جعلهم يتطلعون إلى الإنقاذ و يلجؤون إلى قِوى غيبية يظنونها في الأولياء أو يجدونها في شيوح الدجل أو يجدونها في المنحرفين من النّاس.

نلحظ بأننا قد توصلنا إلى أنّ كل هذه الأسباب و المؤثرات وغيرها،أدت وبشكل كبير إلى تغيير جذري تام في فهم طبيعة الخطاب الدّيني وإتباع تعاليمه، ومنه باستطاعتنا القول

---

(1)– محمد سعيد حوى : التأصيل لمفهوم البدعة و أثرهُ في توحيد الأمة ، جامعة مُؤتة /كلية الشريعة –قسم أصول الدين ، دط، دب،1431ھ–2010م،ص36–37.(مرجع سبق ذكره)

أن البدع المحدثة في الدين ضلال مبين وعمل مُشين، سواء كانت عقيدة في القلوب تطمس أنوار الفطرة ، أو كانت أعمالاً مردودة على أصحابها بعد التعب و النصب، ثم إنها ولو صدرت عن حسن نية وسلامة دون ارتكاب أي ذنب ومعصية، يُؤاخذ بها المكلف ويُحاسب عليها شأن كل قضية؛ ذلك لأنها مخالفة للكتاب والسنة وهي أصلُ كل بلية.

ولنختم بقوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور آ63.

خامسًا/ معالم و خصائص التفكير الدّيني :

الخطاب الديني الإسلامي مُهمٌ في في حياة الفرد و المجتمع، فقد أثبتت الوقائع تأثيره الكبير على النّاس وقُدرته على الوصول إلى فئاتٍ مُعيّنة من النّاس ، وتوجيه حياتهم؛ لذلك يتميز هذا الخطاب عن غيره من الخطابات الدينيّة الأُخرى بعدة خصائص؛ بل إنه يتفردُ بشكل واضح بمعالمه الخاصة ، باعتباره خطابا عالميا لمخاطبة البشرية جمعاء بغض النظر عن أعراقهم و أجناسهم و ألوانهم واختلاف ألسنتهم ، فهو جاء للنّاس كافة كما أنه شامل لجميع مناحي الحياة المتعلقة بتنظيم العلاقات بين النّاس ، ويحققُ الطمأنينة و السعادة و الاستقرار و الأمن في الحياة الإنسانية ، وإذا أقام المؤمنون الدين في الحياة كانوا هم المستخلفين في الأرض وكان لهم التمكين كما كان لأسلافهم و يتحقق لهم الأمن .

والخطاب الدّيني يهتم أيضا بنهضة الإنسان ويميزه عن غيره من المخلوقات، والإسلام بدوره أعطى الإنسان المفاهيم والتصوُرات عن لُغز الوجود و الحياة وحلِ العُقد الكبرى عند الإنسان حلاً صحيحا بواسطة الفكر المستنير وهو الحل الوحيد الّذي يُوافق فطرة الإنسان ويملأ العقل قناعةً والقلب طمأنينة ، كما أن الخطاب الديني مؤثر لأنّه يُخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه ويملأُ العقل استنارة .

فهذه هي المعالم التي يختصُ بها الخطاب الدّيني والتي يجب عدم التخلي عنها، وفيما يلي عرض لهاته المعالم و الخصائص بالتفصيل و الشرح على النحو التالي:

1/"**عبد الجليل أبو المجد**"و"**عبد العالي حارث**": إن الخطاب الديني مُعقد فهو –"من ناحية الشكل يشمل كل أعمال الاتصال المكتوب منها و الشفهي ، المادي و الرمزي ،المنطوق و السيميائي و من ناحية المضمون يبدو بناءا معقدا يحوي داخله العديد من الأفكار و القضايا السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الدينيّة .

وبالتالي، بإمكاننا تسجيل الملاحظات التالية:

1)أنه لا يوجد خطاب ديني واحد وموّحد؛ بل توجد عدة خطابات ففي البلد الواحد باستطاعتنا إيجاد خطاب ديني معتمد وغير معتمد، وكذا المنغلق و المفتوح، بالإضافة إلى الخطاب المتزن والمنحرف والسلفي والصوفي وغيره من الخطابات الأخرى الرسمية و غير الرسمية.

2)الخطاب الديني مُتعدد من ناحية الأهداف ومتساوق من ناحية جل الأبعاد الاجتماعية السياسية و الاقتصادية، والفكرية، فهو "–يبحث في الوسائل الدينيّة ويخوض في المشاكل الحالية الّتي هي وثيقة الصلة بقضية العلاّقة بين الدّين والدولة (...) و الشريعة و القانون (...) والرؤية الإسلامية للعلاقة بين الدّين والعدالة الاجتماعية.

3)الخطاب الديني متأثر بصفة كُليّة بالجغرافيا والمكان نظرا إلى عدم وجود جمهور المسلمين في منطقةٍ ثقافية واحدة وقارة ،فهم موزعون جغرافيا على شتى قارات الدنيا فالبعض منهم يسكن الوديان الخصبة والبعض الآخر يلجأ إلى قمم الجبال و الأرياف أو يفضلون العيش في الصحاري القاحلة ، وهم مُوزعون بشكل عشوائي على كُل ثقافات الدُنيا الواحدة ."[1]

2/**أشرف أبو عطايا ويحي عبد الهادي أبو زينة**:"والخطاب الإسلامي يتميز عن غيره من الخطابات الدّينية والمبدئية، وأهم خصائصه هي:

1–**أنه خطاب عالمي**:بمعنى أنه جاء يخاطبُ البشرية جمعاء...لذا خاطبهم القرآن ب

---

(1)– عبد الجليل أبو المجد ،عبد العالي حارث : تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة ، إفريقيا الشرق ، دط،الدار البيضاء –المغرب،2011،ص24،25.

(يا بني آدم) و(يا أيّها النّاس)، فالإسلام دين عالمي، جاء للنّاس كافة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأآ28.

2-**أنه خطاب شمولي**:وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاّقة الإنسان بخالقه وبنفسه وغيره ويحتوي على الخطاب العقائدي، و السياسي، و الاجتماعي.

3-**يحقق الطمأنينة والسعادة والاستقرار و الأمن في الحياة الإنسانية** ،قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هداي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه آ123-124.

4-**وهو خطاب نهضوي** :أي أنه جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة ويميزه عن غيره من المخلوقات قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف آ179 ، وخطاب الإسلام يحقق النهضة للفرد و المجتمع و الدولة .

5-**أنه خطاب مؤثر**: لأنه يخاطب عقل الإنسان و فطرته السليمة ويحرك مشاعر الإنسان و عواطفه في نفس اللحظة التي يشير فيها عقله...وهو مؤثر أيضا في نفوس المؤمنين، فهو يُلامس شغاف قلوبهم ويشحذ هِممَهُم ويشير الحماسة فيهم ويوجلهم وتلينُ منه جلودهم قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾الأنفال آ2.

6-**وهو خطاب ثابت** :أي الأحكام الشرعية ....، فهو يفرض على الواقع التغير حسب مُقتضياته ولا يرضى بأنصاف الحلول مهما كان ولا تتغير أحكامه مُطلقا ،وهي صالحة لكل زمان ومكان ،والغاية لا تبرر الوسيلة هي من أسس الخطاب الديني قال تعالى :﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾الشورى آ15. 7 - **أنه خطاب وحدوي**: يقوم على صهرِ النّاس من خلاّل المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام....قال تعالى :﴿ إِنَّمَا

ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات آ 10،فرابطة العقيدة لا تنقطع باختلاف النسب ،ورابطة النسب تتقَطعُ باختلاف العقيدة"[1].

3/**محمود أحمد محمد الرجبي:**"فيما يأتي ما يجب أن يتصف به الخطاب الإسلامي، كي يكون فاعلا و قادرا على التأثير الكبير على النّاس حسب بعض الباحثين:

الإيجابية:بالطرح ،والدفع بالتي هي أحسن ؛وذلك استنادا إلى قوله تعالى :﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هي أَحْسَنُ﴾فصلت آ34.

الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة:وذلك امتثالا لأمر الله تعالى في قوله:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾النحل آ125.

مراعاة الزمان والمكان: وأن يعالج القضايا التي تثور، ويحل مشكلات العصر الّذي نعيشه.

فهم المرحلة والعصر وتحديد حاجاته :من الأهمية بمكان أن يتعايش الخطاب الإسلامي مع كافة المراحل والعصور ورياح التغير .

ترتيب الأولويات :أي ترتيب ما هو أولى وما يفيد أفراد الأمة الإسلامية .

تكوين الرأي العام الجماهيري الإسلامي:يجب أن يتناول كل ما يهم المسلمين، ويجمع كلمتهم حول كل أمرٍ يرفع من شأن الأمة الإسلامية."[2]

وها هنا، أصبح للخطاب الدّيني دورٌ جد فعال في تبليغ دعوة الله –عز وجل–، إلى جميع النّاس ويكون بمثابة منهج لهم، ولكي يؤدي هذا الخطاب وظيفته على أكمل وجه أضحى

---

(1)– أشرف أبو عطايا ، يحي عبد الهادي أبو زينة : تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة " ،المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة :2– 2007/4/3،ص690،694.

(2)– محمود أحمد محمّد الرجبي : اتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية الإخبارية (تحليل مضمون موقع "البوصلة" الإخباري)،رسالة ماجستير ،،إش :حلمي ساري ،كلية الإعلام ،جامعة الشرق الأوسط ،2012،ص35

يتوفر على مجموعة من الخصائص والمعالم الدينيّة الّتي تميزهُ عن غيره من المذاهب الفكرية والديانات الأخرى، وتجعله أكثر إقناعا وإفهاما فهو خطاب رباني وواقعي، وعقلاني ومترفع بلا مُنازع في كل عصر.

وعلى هذا الأساس ، ولبُغية الحصول على سّمات خطاب ديني إسلامي أمثل ومعاصر وناجع في نفس الوقت ، يجب أن يتصّف على النقاط التالية:

" 1-ربانية المصدر.

2-عالمية التوجه.

3-إنسانية المنطق .

4-أخلاقية المحتوى.

5-اقتران العقل بالروح .

6-الجمع بين المثال و الواقع والأصالة و المعاصرة والمحلية و العالمية.

7-التوازن والشمول. 8-الانفتاح و التعدد و التدافع. 9-التوسط والاعتدال.

10-الحوار و التنوع و النمو،والاطراد وهو يدعوا إلى الاجتهاد ولا يتعدّى الثوابت.

11-يتبنى التسيير في الفتوى و التبشير في الدعوة .

12-يستشرف المستقبل ولا ينكر الماضي .

13-يؤمن بالشورى والتريُث في اتخاذ القرار، ويدين التخريب و الإرهاب ويحضُ على الجهاد.

14-يرفض الانغلاق والتحجر و التطرف والغلُو ويؤمن بالاختلاف والمرونة والتسامح ."[1]

---

(1)-علاء الدين عبد الفتاح عبد الحميد علي أبو العز: بحث بعنوان: متطلبات الخطاب الإسلامي لمواجهة الفكر الغربي جامعة النيلين –السودان، ديسمبر، 2014، ص53.

سادساً/ من أجل إستراتيجية خطاب ديني معاصر :

إنّ الأمم اليوم تُقاس رِفعةً وانخفاضا بمقوماتها الفكرية وقيمها الحضارية والأخلاقية وكذا انجازاتها العلمية وقد كان للخطاب الديني دورهُ العظيم في بناء صرح الأمة الإسلامية وتشييدها وترسيخ عظمتها ، وتوطيد سُلطانها واستمرار عطائها،ولسنا مُبالغين في القول إذا قلنا :"إنّ إستراتيجية الخطاب الدّيني المعاصرة أوجدت خير أمة أُخرجت للنّاس تميّزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها و أهدافها "،وكان لهذه الإستراتيجية عاملا أساسا في إيجاد الأمة التي احتلت مركز القيادة الفكرية و الصدارة العلمية في العالم منذُ فجر التاريخ البشري .

و أمتنا في الوقت الراهن أحوج ما تكون إلى مثل هذه الإستراتيجية، كونها تحفظ على أن يكون سبيلا إلى مُستقبل زاهر، فالإستراتيجية الدّينية تُنمي لدى الأجيال المناعة الفكرية و النفسية خاصة ضد التيارات المعاديّة الّتي قد تتعرضُ لها الأمة في مسيرتها ولأجل الظفر بإستراتيجية خطاب ديني مُعاصر نستعرض أهم الآراء ووُجهات النظر الواردة من طرف بعض المفكرين و العلماء على النحو الآتي :

6-1/قراءة الخطاب الدّيني عند المتلقي :

أولا: ومن هنا:« فإنّ الحديث عن الخطاب العربي المعاصر يعني تناول ظاهرة نعيشها ونحن جزءٌ منها ولسنا خارجها، ومن ثمَ ما ينطبقُ عليها ينطبقُ علنا جميعا إذ ليس هناك منا من هو واقف خارجها كي ينظر إليها نظرةً محايدة بصورة كاملة؛بل على العكس من ذلك تماما عندما نتناولها فإننا نتناول أنفسنا بالتشريح قبل الآخرين ».[1]

وبالتالي فإنّ الكلام عن الخطاب العربي الإسلامي و عصرنته ، يستدعينا إلى النظر والتطرق بالبحث والدراسة إلى كيفية مُعاصَرة ذلك الخطاب ، وبالمقابل نطرح السؤال التالي : هل هذا الخطاب يتعايش مع ظروف عصره و قضاياه ويطرح مشكلاته ومظاهر أزماته أم أنه خطاب غائب تماما عن مقتضيات العصر لا حضور له ولا تفاعل وبصيغة

---

(1)- كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف: إشكاليات الخطاب العربي المعاصر، دار الفكر، ط1، دمشق-سوريا 1422هـ-2001م، ص109، 110.

أخرى نقول :هل هو خطاب عقيم لا يزال يراوح مكانه أم أنه يستند على مرجعيات فكرية ينهض بها إلى الأمام .

وللإجابة عن تساؤل هاته الإشكالية و طرحها، نقول يجب أولا تحديد مدى معاصرة هذا الخطاب مع قضايا عصره داخل المجتمع؛ وذلك بالاندماج مع الواقع العربي وكذا المتغيرات الجغرافية والإقليمية التي تحدثُ في عجلة التنمية الحضارية أو معرفة التغيرات العالمية الجذرية التي تُؤثر بقوة في نشأة و توجهات المجتمع العربي سواء أكان ذلك بصفة كلية نوعية أو جزئية متفرعة.

وفي هذا المقام سنتطرق إلى مدى :«تعاطي الخطاب العربي المعاصر مع إشكالات وتحديات عصره من خلال إثارة النقاط التالية:

- سكونية الخطاب العربي المعاصر و دينامية المتغيرات الواقعية (*)

-سطوة التاريخ وهيمنة قضاياه (**)

-فقدان الوجهة واختلاط الأولويات (***)

-المستقبل هو سريان للماضي من خلاّل الحاضر (****)

-الخطاب العربي و ثورة المعلومات (*****) ».[1]

وبناء عليه، يتضح لنا أنه لا وجود لأيّ خطاب إلاّ إذا كان منخرطا ضمن سياقٍ معين وبُغية الحصول على نموذج استراتيجي للخطاب الدّيني، يجب أولا أن نكون على يقين تام بأنّ هذا الخطاب مُنجز ومخطط له بصفة مُستمرة وشعورية، ومنه يستطيع المرسل اختيار

---

(1)- كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف، إشكاليات الخطاب العربي المعاصر، ص119، 111. (المرجع السابق)

(*)-مرتبط بمدى حركية الخطاب العربي المعاصر، ومدى استجابته للمتغيرات الواقعية و التحولات الحادثة في الواقع قليلة بحيث تصل إلى أن يقترب الخطاب من السكون أو التحرك ببطء خلف الواقع أو خلف الحركة الاجتماعية و التاريخية وتطور المجتمع.

(**)-يدل عل أهمية التاريخ ودوره في فهم الواقع ؛بل واستشراف المستقبل بصفة جوهرية ،فقضايا الخطاب الإسلامي قضايا تاريخية متجذرة لكن سطوة التاريخ وطغيانه تشل الخطاب العربي وتبعده عن واقعه ومستقبله .

(***)-وهذا راجع لأهمية الاختلاف و التعدد بين البشر في الثقافات و أنماط الحياة و المعتقدات و التوجهات و السلوكيات، ولكن تجاوز ذلك الخلاف لحدود معينة قد يؤدي لفقدان المجتمع وارتباك أولوياته وكذا استهلاك طاقته في مراعاة جانبيه.

(****)-يتطلب استشراف المستقبل سريانا للماضي واستمراره ،مع عدم حدوث تغيير في الهيكل العام و الخريطة الاجتماعية و السياسية ،ولكن التغيير قد يحدث في التفاصيل و الإجراءات أي بصفة كمية لا كيفية .

(*****)-بما أننا في ظل التقدم الحاصل في وسائل المعلومات خاصة تلك الّتي يمكن الوصول إليها عبر شبكة دولية كالإنترنت ، فالجهة التي تدخل في إطار ما يمكن أن نقول عليه صناعة الخطاب ،تنوعت و أصبح لدينا علاقة مفرطة بين من يصنع الخطاب ومن يتلقاه.

الإستراتيجية المناسبة الّتي تعبر عن مقصده وتحقق هدفه بأفضل حالة أثناء تبليغ محتوى الرسالة إلى المرسل إليه؛ لذلك نقول أن الخطاب المعتدل أضحى حاجةً مُلحة كون المسلم المعاصر يُواجه متغيّرات تستلزم تقديم النصيحة .

ثانيا: وعلى هذا الأساس تقول الداعية الإسلامية د.عبلة الكحلاوي :« فترى أن الخروج من مأزق خلل الخطاب الحالي يتطلب الوصول إلى خطاب ديني معتدل يُلبي احتياجات المسلم المعاصر . وتضيف:"نحن كأمة إسلامية لا نقبل فصل الدين عن الدولة، لذا لابد من تجديد الخطاب الدّيني ، بمعنى أن نأخذ من تُراثنا ما يتواءم مع أمورنا الحالية ، وفي نفس الوقت لابد من مُراعاة المستجدات سواء في حياتنا المعيشية أو الأحكام الّتي تتصل بالحلاّل أو الحرام ، لابد أن يُراعى كل هذا ". وتؤكد الكحلاوي أنه على المؤسسة الدينية مسؤولية كبيرة أن تُدرك أن المعنى الحقيقي لكون الإسلام هو خاتم الرسالات فكما يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾البقرة آ 142، فنحن أمام مسؤولية جبارة و الواقع يؤكد على هذه المسؤولية لذا يجب على كل المؤسسات الدينية في مشرقها و مغربها بأن تلبي ختام الرسالة في رسالة الإسلام و أن تُراعي كل المستجدات »[1] . و يبقى الهدف الأسمى من هذا الطرح كله ، إنّما هو الوصول إلى رسالة الدّين و مُبتغاه كون الدين حارسا للحياة ، وبما أننا مسلمون وتابعين لهذا الدين ؛ بل وغيورين عليه و حامين له لا نقبل بهكذا وضع قد يستجيب فيه ديننا لكُل تغيُر أو سحابةٍ عابرة و يصبح عبارة على أداة غريبة ، ومن منا يُريد لهذا الدين أن يكون بمثابة سجل تدون فيه تغيرات الأزمنة ، فهو الدّين المنزل من فوق سبع سموات ومن طرف رسول أمين صادقٍ بلغ الرسالة وكشف الحجُبَ و الظلام الدامس عن أمته ، فما بالك بدينٍ وضعي ومزيف ؛ لذلك نقول : أن وظيفة « الدّين يقرُ التغير كحقيقة واقعة ويُعطي أكمل مجال لسير الأمور من أجل تحوُل صحيح سليم والدين يتقدم مع الحياة يدًا بيد ولا يُواكبها فقط كتابع لها.... وبينما يتمشى الدين مع الحياة الدينامكية جنبا إلى جنب من

جهة، فإنه يعمل حارسا وحاميا لها من جهة أخرى، تجب عليه مهمة المراقبة و الضبط

---

(1)- ريهام عاطف : الخطاب الديني و الحاجة إلى التجديد ، مجلة البيّان (دورية ثقافية)، العدد 12، يناير 2015م،الإثنين 21 ربيع الأول 1436هـ،ص32.

أيضا...؛ بل إن الدين يمتلك ختما واحدا و حبرا واحدا و يدا واحدة فقط و ليس من شأنه أن يُلصق طابعه على أي وثيقة أو صك، بل يجب عليه أن يميز و يختار »[1]

ثالثا: ومجمل القول أن :" الدعوة إلى قضية التجديد داخل مجتمعاتنا تعتبر ضرورة قُصوى ولكن كل هذا لا يعني أن طريق التجديد سالكٌ و معبد و بدون مشاكل ؛بل على العكس من هذا كله ، فإنّ طريق التجديد و التغيير مليءٌ بالمخاطر وشتى الصِعاب ، فالشرط الوحيد و الأوحد في هاته الحالة هو توفير إمكانية مَا لتجاوُز مثل هذه الصِعاب و العقبات وإبراز منفعتي التجديد و التغيير معًا ،ما هو إلاّ إنهاء حالة الرهبة و الخوف الشديدين من دوافع التجديد. –ويبقى المطلوب دائما إنّما هو خلق فعالية و ديناميكية تُؤدي لخلق واقع اجتماعي جديد ، يقضي على الجمود و بقايا الانحطاط ، و يحولُ دون أي تراجُع و تقهقُر ...فتقدُمناَ ليس وليد شعارات أو يافطات نحملها في أيدينا ؛ بل هو وليد عملٍ متواصل وجُهدٍ دؤوب يتجه نحو الهدف و الغاية الواحدة ؛ وذلك بدفع عجلة التنمية نحو الأمام لذا يتوجب على الخطاب الديني أن يدفع بالإنسان المسلم نحو فاعلية وإستراتيجية أكثر بكثير مما سبقها من التفاعُلات الأخرى ، ويُوجهه إلى داخل الأمة ،خاصة فيما يخص برامج التنمية و الارتقاء ، خاصة أثناء التحريض ضد العدو، ووضع عامل مُحفز لمواجهتهم و هضم حالة الظلم و الطُغيان الشديدين لذا من المفرُوض على الخطاب الدّيني ألاّ يكون إلاّ عبارة عن خِطاب وحدوي ،كون الوحدة قيمة أساسية و مبدأ ثابت في الإسلام ، و تبقى دائما في مُقدمة قيّم الإسلام و مبادئه ، و بالمقابل فإننا نرى أنه من أهم الثغرات و نقاط الضُعف الّتي تُواجه واقع أمتنا الإسلامية انحراف جزء من الخطابات الإسلامية عن محور الوحدة و استخدامها للُغة التفريق و التشتُت بعناوين فرق مذهبية أو سياسية أو حزبية ."[2]

---

(1)– السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي : الإسلام في عالم متغيّر (بحوث إسلامية قيّمة) ، نقل : علي عثمان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دط،بيروت –لبنان ، 1400ﻫ–1980م،ص58.

(2)– عزيز عبد الواحد : مقال بعنوان : نحو خطاب ديني معاصر /القسم 1 ،24جانفي 2010، 7صفر 1431ﻫ، مالمو –السويد HTTP://COM . SE . TAWASOL . www ، ص 9.8.7

إنّ الدعوة لإصلاح الخطاب الدّيني لا تمسُ القيّم الدينية فحسب، و إنّما يتوجه ذلك الإصلاح لخُطاب الدعاة والوُعاظ و الخطباء و الباحثين، كما أنه ينتشر بصفته عُنوانا لنصوص بشرية و دينيّة مُقدسة ضمن إطار مُجتمعي مُعاصر ، يسعى و بشكلٍ ملحُوظ في إبراز واستخدام روح المرء المسلم بكُل سلُوكيّاتهِ و أخلاقياته وكذا وضع تكوين شامل للمفاهيم و التصورات المبدئية لنظرة الآخر سواء أكان داخل مُجتمعه أو مقيما خارج وطنه أو يقوم باتخاذ موقف صارم إزاء نظامٍ سياسي حاكم في بلده أو عن طريق نظرته العامة للشعوب الأخرى غير المسلمة ، و كل هذا يندرج ضمن إطار الحضارة العربيّة المعاصرة ولأجل الحصول على إستراتيجية خطاب ديني مُتكامل يجب مُواجهة التحديات المعاصرة إذ تنقسم هاته التحدّيات إلى تحديات داخلية و تحديات خارجية وهي على الشكل التالي :

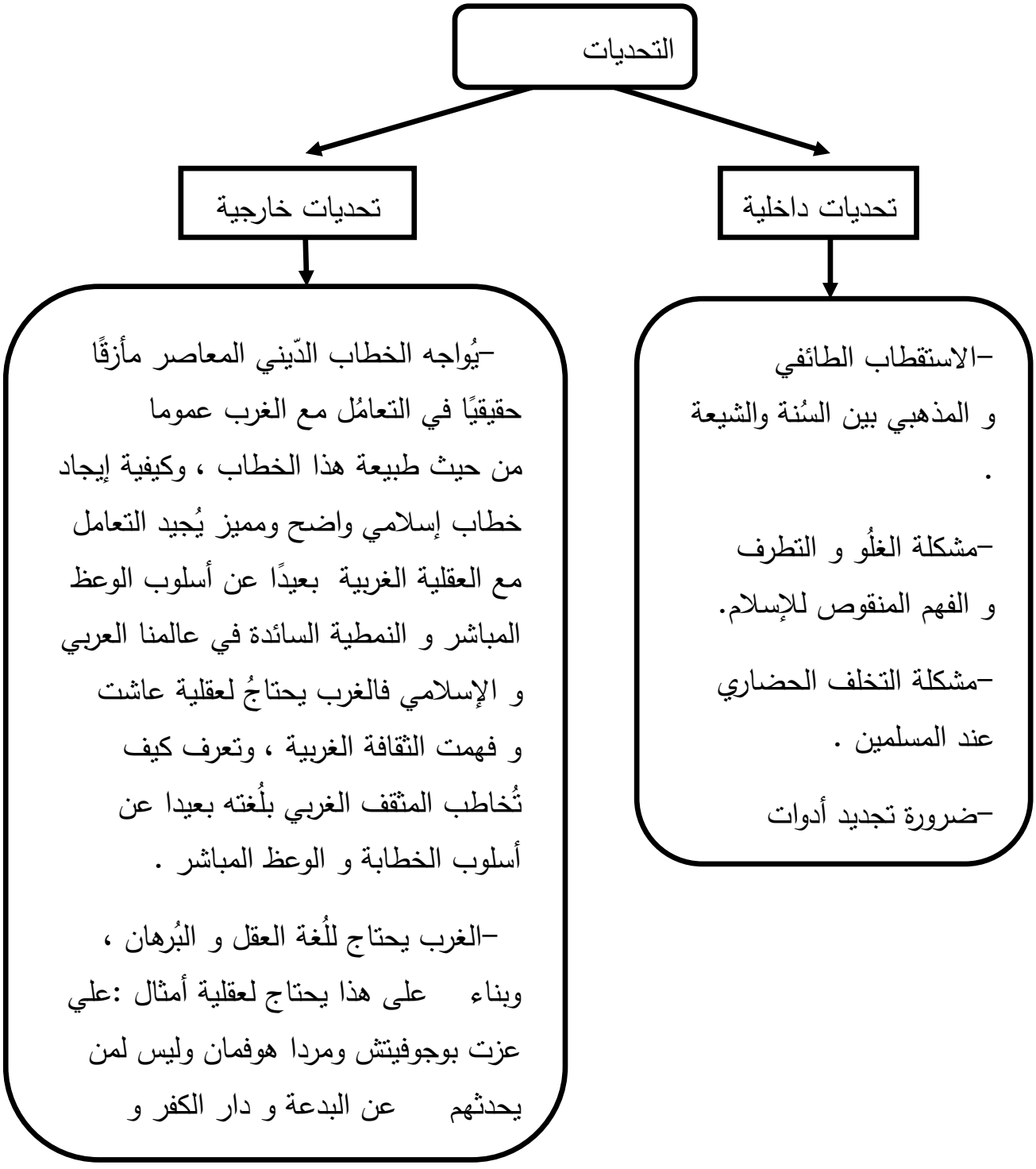

(ش1)

.

(ش1)- أحمد عرفات القاضي (رئيس قسم الفلسفة الإسلامية)، بحث حول مساق الفكر الإسلامي الحديث و المعاصر ، كلية دار العلوم ،جامعة الفيوم ،ص22.

6-2/إستراتيجية الخطاب في بناء الخطاب الديني من جهة الخطيب :

بما أن المقومات الأساسية للخطاب الدّيني تكمنُ في اشتماله على جملة الأحاديث النبويّة الشريفة [كون السنة النبويّة المطهرة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم]، فإن الخطاب الديني إذا كان زاخرا بالأحاديث النبويّة الشريفة ازداد قبُولا عند النّاس ، وازداد إقناعا للعقول وإرضاء للمشاعر و شرحا للصدور، لأنّها أحاديث من لا ينطق عن الهوى و أحاديث من أعطاه الله تعالى جوامع الكلم ، وإذا ما أردنا معالجة أو تحليل نص الخطاب الديني فإننا نتعرف على جملة القرارات المتخذة من طرف الداعيّة أثناء اختياره و ترتيبه لكل من اللفظ و المضمون.

ومن الأركان الّتي لا غِنى عنها بالنسبة للخطاب الديني أن يكون مُواكبا للأحداث ومتأثرا بها و معلقا عليها،ومؤيدا لما هو حق منها والمقصود بالأحداث (تلك الأقوال و الأفعال و القضايا و الصراعات و المسرّات و الأحزان الّتي تتعاقبُ بتعاقُب الليل و النهار)، و الخطاب الدّيني الحكيم هو الذي يُراعي فيه المتكلم أو الخطيب أحوال النّاس بل يجب أن يكون قائما على"الاعتدال و التوسط"(*) في خطابه ، لأن شريعة الإسلام تقوم على هذا التوسط و الاعتدال في كل أحكامها و آدابها و تشريعاتها و معاملاتها .

و بالتالي، فالاعتبارات الخاصة لإنجاح هذا الخطاب وتنظيمه ، تنطلق من قوله –عز وجل–:﴿ وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة 143.بمعنى أننا نلمس أثرا واضحا لمعنى الوسطية في الخطاب الديني على الفرد و المجتمع كالآتي:

« –ينتشرُ التقارب و التعايش بين النّاس.

– نبذ العصبية و الدعوة إلى الحوار .

–ترشيد الخطاب الديني.

(*)–بمعنى أن المتحدث بالخطاب الديني عليه تجنب الإسراف في فتح باب الأمل في النجاح وفي النصر ولو دون عمل كما أن عليه تجنب فتح باب اليأس و القنوط حتى مع العمل ، فالمتحدث الحكيم العاقل يعِي ما يقول و يلتزم بالاعتدال و الوسطية أثناء بناء خطابه و إعداده.

- نشر القيم و المبادئ العظيمة .

- نشر الأمن والأمان بين المجتمع .

- وجود التكافل الاجتماعي و التراحم بين المجتمعات .

- ضرورة ترشيد الخطاب الدّيني و الإبداع فيه و التجديد حسب مُقتضيات العصر وما يحتاجه النّاس.

-الالتزام بمبادئ الدين و الشريعة الغراء و دعوة الناس إلى ذلك.

- ضرورة التوسط و الاعتدال و جعلها منهج حياة تقودنا إلى بر الأمان.

- البحث في موروثنا الإسلامي و استشراف المستقبل فمن لا ماضي له لا حاضر له»[1]

---

(1)- عبد السلام حمود غالب :مقال بحثي بعنوان الوسطية في الخطاب الديني و أثره على المجتمع ،2013م،1434هـ، ص11.14.

HTTP:// . WWW. alukah.net/ sharia/0/ 57153#ixzz48GKDENCB.COM

ومن هنا، نرى بأنه أثناء الحديث عن لُغة الخطاب الدّيني ومقوماته المعدّة من طرف الخطيب بواسطة وضع خُطة إستراتيجية؛ بُغية الحصول على خطاب متكامل البناء و المنهج، يجب علينا أولا التعرف على «الاختيار الأمثل "لإستراتيجية"(*) توجيه الخطاب الديني ،وهناك استراتيجيات عدة تُعنى بتوجيه الخطاب الديني لذا ينبغي على الداعية التعرف عليها و يحسن اختيارها ، ومن أهمها توقيع ضمان الوصول إلى المتلقي و التأثير فيه ومنها نذكر على سبيل المثال لا الحصر الآتي : -إستراتيجية التوقيت .(**)

-إستراتيجية التركيز .(***)

-إستراتيجية الصبر و الاحتمال.(****)

-إستراتيجية الارتباط "الاقتران".(*****) »[1]

---

(1)- محمد منير حجاب: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر ، دار الفجر للنشر و التوزيع ، ط1،القاهرة – مصر ، 2004، ص 274-276.

(*)-الإستراتيجية في معناها الإجمالي تكمن في طريقة الأسلوب الواجب إتباعه أثناء مواجهة موقف ما ...فهي تعدُ بمثابة منهاج للفكر ترتكز على القدرة السليمة للموقف المناسب مع اختيار الرسالة المناسبة و كذا الوسائل الملائمة لبلوغ الهدف المنشود.

(**)-وتُعنى بدراسة الظروف المحيطة بالوقت و الأطراف المختلفة المؤثرة عليه و المتأثرة به ثم اختيار الوقت المناسب للنشاط الدعوي ...

(***)-ويتم استخدامها خلاّل الأزمات و الحروب أو أي موقف طارئ، وفي هذه الحالة يتم التدخل السريع لتوصيل الرسائل الإعلامية لكل أفراد الجمهور في شتى النواحي و بكل سرعة ...بما يساعد ذلك على إيصال المعلومات المناسبة للجماهير وتفهُمهِم لها .

(****)-حيث تلجأ بعض المؤسسات الدّينية في هذه الإستراتيجية أثناء تعرُضها لهجوم ما سواءا أكان من طرف علمانيين أو ملحدين ...إلى مواجهة هذا الهجوم دون أي تسرُع مسبق ؛ بل يجب أن تكون المواجهة ايجابية بتقديم بعض المعلومات للجمهور بأي وسيلة اتصالية و ربطها بأي موضوع يخص حقوق المسلم للحفاظ على المرء و البيئة من أي خطر .

(*****)-و الأمثلة على هذا المفهوم كثيرة خاصة في متن القرآن الكريم كالربط بين الاستغفار و الغنى و السعة في الرزق لقوله تعالى :﴿فقلت ...أنهارا﴾ نوح آ10-12،و الربط بين الإيمان و السعادة و الراحة النفسية لقوله أيضا : ﴿ ألا....القلوب ﴾ الرعدآ28.

ومنه نستنتج ممّا سبق ذكره أنه توجد عدة مقومات و استراتيجيات ينبغي على الخطيب الإلمام بها وأن يختار منها الأسلوب التواصلي الأمثل لتقديم رسالته على أحسن وجه ممكن بالإضافة إلى تحقيق ثمرة النجاح و التأثير الدعوي .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: كتاب الاعتصام للشاطبي (ت 790هـ) مواضيع و نماذج

دراسة لسانية تداولية

توطئة:

إنّ استخدام اللّغة هو أساس النجاح الإنساني، وهي تعبيرٌ عن قدرة الله تعالى الّتي لا تتناهى، فنواةُ اللّغة هي صوتُ الإنسان وأعضاؤهُ النطقية، وسِمَةٌ أساسية –مبدئيًا– لجنسنا البشري، وعلى هذا الأساس لا تُستَخدَمُ اللُّغة للتعبير فقط ؛ بل تُستخدم كواسطة بين السامع والقارئ وقد تدفعهما للحركة والعمل، فنحن لا نتكلم أو نكتب لنُعبر عن مشاعرنا وأفكارنا و مشاكلنا فقط، ولكن أيضا ليترتَبَ على كلامنا أو كتاباتنا أثر معين يصدرُ ممن نتحدثُ إليهم أو نكتب لهم، ومن هنا نرى أن اللّغة وسيلة تعبير وتواصل من حيث وظيفتها الاجتماعية والتواصلية، أما من ناحية النظر إليها لوجودها فهي محتوى ثقافي تاريخي، ومن حيث نظامها الذاتي يمكنُ اعتبارها تنظيمًا من الإشارات اللامتناهية .

إنّ تحليل أي لُغة من اللّغات لا يتمُ إلاّ بعد تحديد مستوياتها اللّغوية ؛ إذْ يتناولُ البحث اللّغوي الحديث كل المستويات اللّغوية " الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدِلالِية والتواصلية وكذا التداولية "، كمنهج هام أو إستراتيجية لتحليل الخطاب ، ويأتي هذا التقسيم لتيسير الدراسة اللسانية وفهم جوانب اللّغة ، وواقع اللّغة المنطوق فلا يعرف هذا التقسيم، فالكلامُ المنطوق تتكاملُ فيه كلُ هاتهِ المستويات و تأتي دُفعةً واحدة .

إذاً، فهذه دراسة في متن كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي، لكشف مراميه، وجني قطُوفهِ، إذ لا نكادُ نجد كتابًا تناول البدعة ،– ممّا كانت عليه– بعزل اللُّغة عما يُحِيطُ بها من مُتكلم ومُتلَقٍ وأثرهما ، أي اعتناؤها باللُّغة دون الكلام ، وبالكفاءة دون الأداء فجردت النصوص واختزلتها ، ولم تصِلْ إلى مُرادِهَا ، فجاءت التداولية لتهتمَ بجانب مهم وهو التواصل البشري وهو يُعْنَى بعلاقات العلامة اللُّغوية بمُستخدمِيهَا ، وتركيزها على المتكلم وعلاقتهِ بالمُتلقي، وكيفية فهم الأخير لِمَا يرِيدهُ المتكلم بالضبط لا ما تعنيه العبارة ، وبهذا تكون التداولية قد تجاوزت سؤال البنية وسؤال الدلالة ، لتهتم بسُؤال الوظيفة والرسالة والسياق ، كما تناول أيضا كتاب الاعتصام عدة أمور نذكر منها:

1/دقة المؤلف في تعريف البدعة، حيث عرفها تعريفاً دقيقاً، ثم شرح التعريف شرحًا وافياً حدّد فيه معنى البدعة على وجه الدقة، و أزال به ما يقعُ من اللُبس.

2/سِعة جمعهِ للأدلة في الحث على السُنة و النهي عن البدعة من خلال الآيات والأحاديث أو الآثار الواردة عن الصحابة –رضي الله عنهم – ومن بعدهم ، ودراسة هذه الأدلة و النُّقول دراسةً دقيقة تُنبِئُ عن دقّةٍ في الاستنباط ، و براعة في الفهم .

3/ حسنُ ترتيب المؤلف لموضوعات الكتاب ، وتقسيمه له على أبواب وفصول ومسائل وتدّرُجِه في ترتيب هذه الأبواب بحسب موضوعاتها، ممّا يعينُ القارئ على الفهم والاستيعاب.

4/ طريقة عرض المسائل والأحكام المتعلقة بالبِدع، وهذه مُنقبة واضحة لهذا الكتاب؛ جعلتهُ يفوق غيره مما أُلِّف في هذا الباب.

5/تركيز المؤلف على المسائل التي تلتبسُ على كثير من النّاس ، و يتخذها المبتدعة وسيلة لترويج بعض البدع حيث حرّر المؤلف القول فيها وبسطهُ، وأزال عنها الشبهة والغموض .

ولكي تتضح لنا أهمية فكر الإمام الشاطبي بصُورةٍ أكثر جلاء ، لابُدّ من النظر إلى كيفية استحضارهِ للمسائل مشفُوعة بمصادرها و مضامينها، و بما أنّ اللسانيات تعتبرُ منهجًا علميًا واضحًا ، فإنّ التداولية مرتبطة باللُّغات الطبيعية، أي: إن العملية الخِطَابيّة لا تتمُ إلاّ في ظلّ تواصُل حقيقي بين باثّ ومُتلقٍ ، فملفُوظات الخطاب لا تكادُ تنفصِلُ عن أسبقية التلقي ومنها : الباثّ والمستقبل والنسق و شكل الخطاب و المقام و القناة و الموضوع ، ولغة الشاطبي و فكرهِ في ضوء فكر الغربيين منطلقها التعبير عن صيّغ المعاني و الدلالات و الألفاظ بطرق مختلفة، لكي يتمكن المتلفظُ بها من تحقيق غاياتهِ (مقاصدهِ) التواصلية وتتوزّعُ هذه الظواهر والصِيّغ على علوم اللّغة العربيّة المختلفة (نحو وصرف و بلاّغة و دلالة) وهي ذات مظاهر لسانية و تداولية يستخدِمها المتكلم للدلالة على مضامين الكلِم العربي، لذلك سعينا في هذا البحث لكشف الصِلة الّتي يمكنُ أن تنشأ بين الخطاب الديني و التداولية ، من خلال توضيح مداخل اللسانيات التداولية في ثنايا لُغة الخطاب الدينيّ وهذا ما سنتناولهُ بالتحليل والدراسة في مُدونة البحث .

أولا /ماهية كتاب الاعتصام:

يُعَدُ كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي المصنف في مجال العقيدة وأصول الدّين من أفضل الكُتب المتخصصة في دراسة البدع والفرق المبتدعة، وكذا بيان أسباب الوقوع في البِدع وتعريف البِدع وأنواعها وحكم البدع والمبتدعة وموقف أهل السُنة منهم، وبالتالي سوف نقوم بوضع قراءة شاملة وموضوعية لقيمة الكتاب ومنزلتهِ عن طريق الدراسة والتحليل لنماذج من فصُولهِ وأبوابهِ العشر، مُتبعين في ذلك تحليلاً لسانيًا لُغوِيًا من جهة، وتحليلا تداوُليًا من جهة أخرى .

1-1/**لمحة مُوجزة حول التعريف بمنزلة الكتاب وفوائده:** لقد عُرف الإمام الشاطبي ببراعتهِ في تأليف الكتب، ومن بينها مؤلفهُ الاعتصام، فتأليفه راجعٌ لكثرة انتشار البدع والمبتدعين، وقد وضع فيه قواعد وضوابط محددة.

وقد كان "رحمه الله" شديداً، أحياناً، في ردوده على أهل البدع ، فهذا الكتاب يشتملُ على بيان البِدع وأحكامها وما يتعلقُ بها من المسائل أصولا و فروعا ، وينحصرُ الكلامُ فيه في عشرة أبواب:الباب الأول في تعريف البدع وبيّان معناها وما اشتق منه لفظًا، والباب الثاني في ذم البدع وسوء منقلب أصحابها ، والباب الثالث، في أن ذم البدع والمحدثات عام لا يخصُ مُحدثة دون غيرها ، والباب الرابع، في مآخذ أهل البدع بالاستدلال ، والباب الخامس في أحكام البدع الحقيقية والإضافية والفرق بينهما، والباب السادس، في أحكام البدع وأنها ليست على رُتبة واحدة والباب السابع، في الابتداع هل يدخلُ في الأمور العادية، أم يختصُ بالأمور العبادية ؟ والباب الثامن، في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان، والباب التاسع، في السب الذي لأجلهِ افترقت فِرقُ المبتدعة عن جماعة المسلمين، والباب العاشر، في بيان معنى الصراط المستقيم الّذي انحرفت عنه سُبل أهل الابتداع، فضلت عن الهدى بعد البيّان.

1-2/ **منزلة مصطلح الاعتصام** : « قال تعالى﴿ وَٱعتصموا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(*) وقال أيضا :﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(**) "والاعتصام" افتعال من العصمة : وهو التمسك بما يعصمُك ويمنعك من المحذور و المخوف ، فالعصمةُ : الحِمية ، والاعتصام : الاحتماء ومنه سُميت القِلاع : العواصم لمنعها وحمايتها ...فالاعتصام بحبل الله يُوجب له الهداية وإتباع الدليل ، والاعتصام بالله يوجب له القوة و العدة والسلاح والمادة التي يستلهمُ بها في طريقه ، ولهذا اختلفت عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله بعد إشارتهم كلهم إلى هذا المعنى ... و للاعتصام درجات تكمن في اعتصام العامة بالخبر(استسلامًا وإذعانًا بتصديق الله وباعتصام الخبر الوارد منه) واعتصام الخاصة (وهو حسنُ الخُلق وتزكية النفس بمكارم الأخلاق) »[1] والاعتصام ما هو إلاّ عبارة عن الامتناع من الغفلة و المعاصي و البدع و الضلالآت.

---

(1)- ابن قيم الجوزية : تهذيب مدارج السالكين ، هذبه : عبد المنعم بن صالح العلي العزي ، ط1، دار ابن الجوزي ، مصر – القاهرة ، 2010م-1431هـ،215-216-217.

(*)-آل عمران آ 103.

(**)- الحج آ 78

1-3/ الغرض من تأليف الشاطبي لكتابه الاعتصام:

إن تحرير مسائل البدع و الابتداع من أهم ما ينفعُ المسلمين في أمر دينهم و دنياهم و يكون أعظم عون للدعاة و المصلحين في هداية الخلق بإذن الله، وقد كتب كثيرٌ من العلماء في البدع، و كان أكثر ما كتبُوا في الترهيب والتنفير منها والردّ على المبتدعين، وما رأينا أحدًا هُدِيَ إلى ما هُدِيَ إليه الإمام الشاطبي –رحمه الله – من البحث العلمي الأصولي في هذا الموضوع، وتقسيمهِ إلى أبواب يدخلُ في كل باب منها فصول كثيرة، فهو حاول في أبوابه العشرة تفكيك المعاني والخروج بضوابط و نتائج علمية يراها مناسبة لتحديد ذلك، وهو يحتاجُ بطبيعة الحال لجملة من المقدمات كفضل السنة و الدعوة إليها ، والتحذير من البدع و الآثار في ذلك ، فيجعلُ هذه المقدمات العلمية ليخرج بعد ذلك بتعريفٍ للسنن وتعريفٍ للبدع وأقسام البدع ، و أسباب ذلك وما إلى هذا ، فهذا هو المعنى الّذي تضمنهُ الكتاب بشكلٍ مجمل ، وفي تأليفهِ لكتاب الاعتصام « الّذي وجهَهُ للكشف عن البدع وإجلاء السنن ، وضمنَّهُ دعوتهُ الإصلاحية الّتي بناها على ما يُدْعَى اليوم بالسلفية[*] ويكتب هو نفسهُ عن هذا التحول الغريب الّذي طرأَ عليه فأخرجَهُ من الحِيرة والغربة النفسية لَمَّا قُذِفَ بالتُهَم الكاذبة من كلّ جانب إلى المبادرة في مهاجمة البِدع بسلاح العلم فأخذ يعرضُ الحقائق العلمية عن البدعة والسنة علَّهُ يُبْطِلُ كيدَ خصُومهِ ويُحْيِي السنة»[1]

و سنعرضُ إزاءَ موقفهِ هذا النص التالي الّذي يقول فيه:« ولما وقع عليَّ من الإنكار ما وقع مع ما هدى الله إليه وله الحمد ، لم أزل أتتبع البدع التي نبه عليها رسول الله (ص) وحذر منها ، وبين أنها ضلالة وخروج عن الجادة ، وأشار العلماءُ إلى تمييزها و التعريف بجملة منها ، لعلي أجتنبها فيما استطعت . وأبحث عن السنن التي كادت تطفئُ نورها تلك المحدثاتُ لعلي أجلو بالعمل سناها ، و أُعدّ يوم القيامة فيمن أحياها ، إذ ما من بدعة

(*)–تعني في جملتها الإتباع المستنصر لنصوص القرآن و السنة و احترام العلماء الّذين قامُوا بفهمِ هذا الدّين وتبليغهِ واقتفاء آثارهم في ذلك ، وهم الذين يتبعون منهج السلف الصالح في فهم الدين ، والسلف الصالح الذين نتبعهم هم الصحابة وتابعوهم بإحسان ليوم الدين ، والدعوة السلفية ما هي إلاّ منهج كامل لفهم الإسلام و العمل به و الدعوة إليه .

(1)– حمادي العبيدي : الشاطبي و مقاصد الشريعة ، ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت –لبنان 1412هـ–1992م، ص 25.

تحدث إلا و يموت من السنن ما هو في مقابلتها، حسبما جاءَ عن السلف في ذلك...ثم إني أخذت في ذلك مع بعض الإخوان الذين أحللتهم من قلبي محل السويداء و قاموا لي في عامة أدواءِ نفسي مقام الدواء ، فرأوا أنه من العمل الذي لا شبهة في طلب الشرع نشره ، ولا إشكال في أنه بحسب الوقت من أوجب الواجبات ، فاستخرت الله تعالى في وضع كتاب يشتمل على بيان البدع و أحكامها وما يتعلق بها من المسائل أصولاً و فروعًا و سميته ب "الاعتصام" ، والله أسأل أن يجعله عملاً خالصًا ، و يجعل ظل الفائدة به ممدودًا لا قالصًا و الأجر على العناء فيه كاملاً ولا ناقصا ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[1]

نستنتج ممّا سبق ذكره، أن كتاب الاعتصام ما هو إلاّ دعوة إصلاحية قِوامُها الرجوع بأمة الإسلام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وترك ما سواها إلاّ ابتداع مصدره الهوى ، فهو يعدُ من أجَلِّ الكتب الّتي تناولت موضوع البدع ، وحررتْ الكلاّم في مسائلها إذْ بحثها بحثًا علمياً وسبرها بمعيار الأصول الشرعية .

والحاصلُ، أنّ منزلة الكتاب العلميّة تكمنُ في التعرُف على الإمام الشاطبي بوصفهِ أحد أعلام المسلمين في مجال الفقه والأصول والقراءات القُرآنية، ويبقى أحد الجوانب المهمة في فكر الشاطبي غير مستكشف بشكلٍ كبير وهو فكرهُ في مجال لُغة "الخطاب الديني "، ففي دراستنا هذه نسعى للكشف عن ضوابطه المنهجية و قواعدهِ الأصولية.

(1)- أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام، -مصدر سبق ذكره -، ص 28.25.

ثانيا/الدراسة اللسانية و التداولية لنماذج من كتاب الاعتصام للشاطبي:

تُهيمنُ على الخطاب الدّيني جُملة من الاستراتيجيات الخِطابية و المكونات اللسانية وكذا التداولية فقد تشكلّت وُفقَ النصوص والأنواع الّتي مثلته ومازالت تُمثِّله في ثقافتنا العربيّة الإسلامية، فإذا كانت النصوص النمُوذجية الّتي جسّدت هذا الخطاب هي القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة؛ فإنّ تاريخ هذه الثقافة أفرز لنا رصيدا غنيا من النصوص الّتي أوصلت لنا مورد هذا الخطاب سواء أكانت تنتمي حقُول علمية و أنشطة فكرية من قبيل اللُّغة وأصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير، أم إلى أنواع خِطابية من قبيل : الوصايا والخطب والمناظرات والأشعار، والأدعية ، والمواعظ ، والأخبار، والرسائل، وغيرها.

وبالتالي فكتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (ت 790هـ)، يُعالجُ موضوعًا بالغ الأهمية لهُ علاّقة وطيدة بمُمارسة الحياة الدينية والثقافية، ومؤسساتها المختلفة وما تحتاجهُ من لُغة خِطابيّة دينيّة وظيفية تتعلقُ بمعرفة أحكام وأصول مقاصد شريعتنا الإسلامية.

* وسنتناول دراسة مواضيع هذا المتن من ناحيتين :

الناحية الأولى: " **لسانية**"، بما تعنيه من بنيات صوتية، و صرفية، ومُعجمية ودلالية ونحوية مترابطة مُنسجمة داخل نظامها اللساني العام، وما يُميّزها من خصوصيات داخل نظامها اللّساني الخاص.

والناحية الثانية :"**تداولية**"، تدرس حياة اللّغة في الاستعمال، وإجراءات الخطاب وما يقتضيه من لُغة بالنظر إلى المقالات المختلفة، إن لُغة الخطاب الدّيني الوظيفي ، لُغة تقول و تفعل، تأمرُ وتنهي، تُنَبهِ وتُحذِر حسب مُقتضيات توظيفها في سياقاتها المختلفة ، ومن ناحية أخرى، فهي لُغة حِجاجية تُبرهنُ وتستدلُ لبلاّغة ولُغة الحجة وقوة الدليل، حسب ما يقتضيه منطقهُ الخاص ، الّذي هو منطقُ لُغوي عام ، ولكنهُ يحمل الخصوصيات المميّزة له المحققة لهُويته اللسانية والثقافية داخل منظومة الخطابات المختلفة .

2-1: الدراسة اللسانية:

بما أنّ للظواهر الكلاميّة الفضل الكبير في التحوُل الجذري الّذي أصاب الدراسات اللُّغوية، فإنّ العناية باللّغة وقواعدها قد تُغيِّرُ النظرة تمامًا « فلم يعُد ينظر إليها على أنها نظام من الأدلة ، مستودع في أدمغة المتكلمين ،نظام تتدرجُ فيه هذه الأدلة ضمن علاقات تركيبية معينة خاصة بكُلِ لسان ؛بل على أنها نشاط يتحققُ في وضعية خِطَابية تبادُلِية ومقيدّة بقيُود خاصة »[1] ومن هنا، فقد أجابت التداوُلية باستخدام آليات منهجها عن الكثير من التساؤلات المتعلقة باللّغة ، والمحيطة بإنتاجها ، كتحديد منتجها ، ومؤولها ، وماهية الرسالة فيها والقصد من إنتاجها والسياق المرافق لإنتاجها،« فالتداولية ليست علمًا يكتفي بوصف وتفسير البُنى اللُّغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة ، ولكنها علم جديد للتواصل يدرسُ الظواهر اللُّغوية في مجال الاستعمال ؛ويدمج من ثمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللُّغوي وتفسيرِه»[2]

وذلك، لأنّ اللّغة «نشاط وعمل يُنجز ،أي إن المتكلم لا يخبرُ ويبلغ فحسب ؛بل إنّهُ يفعلُ أي يعمل ، يقوم بنشاط مدعم بنِية وقصد يريدُ المتكلم تحقيقهُ من جرَاء تلفُظهِ بقول من الأقوال ، فاللّغة ليست بُنَى ودلالة فقط بل هي أيضا فعل كلاّمي ينجزهُ المتكلم ليُؤدي به أغراضًا وبالمقابل فهم الكلاّم وإدراكهِ يعني تشخيص مضمُونهِ الإخباري وتحديد غرضهِ التداوُلي ،أي قيمتهُ وقوتهُ الإنجازية »[3]

وهكذا، نرى بأنّ اللُّغة ليست سوى نشاط يتحقق من خلاّل وقائع الخطاب الّتي تخصصها علامات خاصة وتلك العلامات التي نُسمِيها المؤشرات، دورها يكمنُ في تصيير اللُّغة خطابًا فعليًا، وهذا التصيير هو الحدث أو التلفُظ ، أي إجراء اللّغة وتحقيقها من خلاّل فعل كلاّمي

---

(1)- خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ، ط2،دار القصبة للنشر والتوزيع ، حيدرة –الجزائر ، 2006، ص158.

(2)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي)، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت –لبنان، 2005، ص16.

(3)-(المرجع نفسه) مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي : ص161.

فردي، إذن، فقد فتحتْ التداوُلية بابًا جديدًا لفهم اللّغة وأغوارها، وكذا معرفة خصائص استعمالها «أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه [...]؛ وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثمّ تحوّلت فيما بعد مع "ج.ل،أوستن " إلى دراسة أفعال اللّغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفُظ وشروط الصحة والتحليل الحواري »[1]

وبالتالي، تدرسُ التداولية علاّقة النشاط اللُّغوي بمُستعمليهِ ، وطرُق و كيفيات استخدام العلاّقات اللُّغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة الّتي ينجزُ ضمنها الخطاب والبحث على العوامل الّتي تجعلُ من الخطاب رسالة تواصُلية واضحة ، وناجحة ، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللّغات الطبيعية ، وهذا ما ذهب إليه عبد الهادي بن ظافر الشهري أثناء إبرازهِ لأهمية دراسة اللّغة عند استعمالها في قولهِ :« أنّ اللّغة تُعنى بدراسة مقاصد المرسل ، وكيف يستطيعُ المرسل أن يُبلّغها في مستوى يتجاوزُ مستوى دلالة المقول الحرفية ، كما يُعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللّغوية المختلفة في سياق معين حتىّ يجعل إنجازهُ موائمًا لذلك السياق ، وذلك بربط إنجازه اللُّغوي بعناصر السياق الذي حدث فيه ... و بهذا مكنتنا التداولية من معرفة أثر السياق في لُغة الخطاب عند إنتاجهِ »[2]. فالظاهر أنّ الدرس اللُّغوي التداولي يدرسُ المنجز اللُّغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه ، لأنّ اللّغة لا تؤدي وظائفها إلاّ فيه ، فليست وظائف مجردة وبما أنّ الكلاّم يحدثُ في سياقات اجتماعية فمن المهمّ معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز، ومنه تفترضُ اللسانيات التداوُلية مُسبقًا كِلاَ الدراستين التركيبية والدلالية كون المناقشة الحصيفة السديدة لعلاقات الأدلة بِمُؤوِلِيهَا تستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض، وكذا علاّقة الأدلة بالأشياء الّتي يحيلُ عليها المؤولون.

---

(1)– نعمان بوقرة : المدارس اللسانية المعاصرة ، د ط ، مكتبة الآداب ، القاهرة –مصر ، 2003، ص165.

(2)– عبد الهادي بن ظافر الشهري (استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداوية)، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت–لبنان،2004،ص 25.

*سنحاولُ في هذا الفصل البحث عن الإجابة للأسئلة التالية :

1/من المتكلم في الخطاب الدّيني الدَّعوِي ؟

2/من المتلقي فيه ؟

3/ ماذا يُقال بالضبط أثناء التكلُم ؟ أو ما هي أفعالهُ الإنجازية ؟

4/لأجل ماذا ؟

5/ و ماذا يُقصد ؟ وكيف يقول شيئًا وهو يقصِدُ غيرهُ ؟

وهذه الأسئلة إنّما هي جوهرُ المنهج التداولي، فهو يعتبرُ حلاً لبعض الأسئلة من وُجهة نظر كل من المرسل والمرسل إليه، إذ يُعززُ جون قمبرز "j.Karmebrs" هذا التوجُه بدراستهِ حول استراتيجيات الخطاب« ومع هذا فمعالجتهُ لها كانت تختلفُ عماّ نريدُ عملهُ إذْ اكتفى بمعالجة اللّغة في مستوياتها المعروفة مثل مستوى التطريز الصوتي و المعجمي وقد كان هذا القصور العام في الدراسات اللّغوية هو ما حفز على المبادرة إلى دراستها في ضوء هذا المنهج على اختلاف محاورهِ...وذلك باستثمار ما يتصلُ بالمنهج التداوُلي وتوظيفهِ...بُغية الوصول إلى تبويب واضح من خلاّل الطرح النظري المؤسّس على شواهد وأمثلة متفرقّة»[1] وعليه، فإنّنا نرى بأن التداولية تُعد قاعدة اللسانيات إذْ أنها محاولة للإجابة عن أسئلة تَطرحُ نفسها على البحث العلمي،ولم تُجِبْ عنها المناهج الكثيرة. وبعد ذلك،سنُحاول وضع لغة الخطاب الدّيني الدَّعَوِي تحت مجهر نظرية الأفعال الكلاميّة،والّتي« تنظر إلى عملية التخاطُب على أنها مخاطبة مرتبطة بموقف تعبرُ عنهُ فالطلبُ يعبرُ عن رغبةٍ في شيءٍ ما، والمدحُ يعبرُ عن رِضىً ، والشكرُ يعبرُ عن امتنان والاعتذار يعبر عن ندم ويُقاس نجاحُ التخاطُب" وفقًا لهذهِ النظرية" بمدى اكتشاف المتلقي للموقف المعبر عنه من خلاّل فهم قصد المتكلم »[2]

---

(1)– عبد الهادي بن ظافر الشهري:(استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداواية)، ،ص24.(مرجع سبق ذكره)

(2)– محمد محمد يونس علي : مقدمة في علمي الدلالة والتخاطُب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت –لبنان ، 2004،ص34.

وهكذا، فالأفعال الكلاميّة تنظرُ إلى العملية التخاطُبِيَة كونها ترتبطُ بموقفٍ معين للتعبير عنها، إمّا بالطلب أو المدح أو الاعتذار حيث يُقاس نجاح التخاطُب وُفقًا لهذه النظرية وبمدى فهم المتلقي لمقاصد المتكلمين والمتخاطبين معًا ، وتعتبرُ نظرية الأفعال الكلاميّة أهم اتجاه في التداولية .

* **عناصر الخطاب الدّيني الدّعوِي** : إنّ فكرة "اللّغة تواصل" قد طغت على كل جوهر الدراسات اللّغوية الحديثة وأصبحت مُنطلق كل دراسة، ولا مردَ لذلك إلا لأن:« اللّغة قد اقترنت حياتها بعملية التواصل، فاللّغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجود، ويوشك أن يكون كل واحد منا على علمٍ ،بأنّ حياة لغة ما يعني بقاءها مستمرة في دائرة التواصل والتداول ، وأن فناءها أو زوالها يعني شيئا واحدا هو خروجها من دائرة التواصل ،ومن المعلوم أن بين اللّغات ركائز مشتركة في تحقيق التواصل ،وأن في كل واحدة منها سمات تواصلية خاصة يفهمها الناطقون بها أكثر من غيرهم [أصحاب الاختصاص] ...وتقوم اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطاب أولها :المرسل باعتباره صاحب المبدأ في التواصل،وثانيها: المستقبل باعتباره هدفًا مباشرا للرسالة ،وثالثها : المجتمع باعتباره هدفاً مباشرا للرسالة وكذا مصدر العلاقة بين أطراف التواصل ، وباعتباره كذلك مصدر النظام الذي تتبني على أساسهِ هذه العملية»[1] .

والخطاب الدّيني الدّعوِي لا يخرجُ عما أدلى به صاحب هذهِ المقولة وهو أيضا يُعَدُ "خطاباً نفعِياً يمكنُ أن يُحَلَل تحليلاً نفعيًا تداوليًا"[*] إذًا فهو لا يخلُو من التنظيم، والإرشاد والتقويم والتوضيح،والاقتناع ، والتوجيه، وله في كل هذا عناصر أو أقطاب خاصة به تساهم في تحقيقهِ وانجازه، كمُنجزِهِ ومُتلقِيه ومقام إنتاجه والوضع الذي اشترك فيه أصحابهُ وقناة لنقلهِ وضمان استمرارهِ، تحملُ اديولوجياتهِ وأفكاره واتجاهاتهِ وثقافتهِ وهذه العناصر هي:

---

(1)– سمير شريف استيتية : اللسانيات (المجال ،والوظيفة ،والمنهج) ، ط2،عالم الكتب الحديث ، اربد–الأردن 1429 – 2008،ص675.

(*)–بمعنى أن المقاربة التداولية تتأسسُ وفق مقتضيات تواصلية و سيميائية ،وتتداخلُ معها ،لأنّ التداول هو في الحقيقة التواصل الفعال الذي يعبرُ عن الغرض ،وتبليغ المقصود بكل سهولة ويسر ، أي إصابة المعنى من أقرب مرمى بلغة العلماء العرب القدامى .

1/**المُرسِل:**(Destinateur) ونعني به مُنجز الفعل الكلاّمي، والمتكلم أو المؤدي للرسالة اللُّغوية (الباث) أو صاحب المركز الأول في الكلاّم في المحيط الدينيّ ، قد يكونُ تابِعًا للدّين أو باثًا لأداء حاجتهِ ضمن الحقل الدّيني، فالمرسل هو منتج الخطاب، والمنتج الأول في الخطاب الديني،هو القواعد الأصوليّة التشريعية وبعدها يتمثّلُ في كل من أتاحت له هذه القواعد أن يمثلها أو أن ينطق باسمها، كممثليها أصحاب المراتب العليا:كالفقيه والأصولي والمجتهد والإمام المفضل لدى عامة الشعب، وكل من تُخوَلْ له هذه القواعد الحديث باسمها وتمثيلها دينيًا في شتى الحالات أو المجتمع بصفةٍ عادية ، وقد يكون الفرد هو المرسل في الخطاب الدّيني الدعوي خاصة إذا ما طلب منه أداء رسالة من الرسائل اللّغوية الخاصة به والفردُ إذا ما مثل الدين ومقامهُ في سُلم المجتمع، وقد تكون العلاقة بين المرسل والمرسل إليه علاقة حضور، وقد تكون علاّقة غياب (عن طريق الكتابة) ، لكن تبقى لها حضور معنوي وإقناع حاضر على قارئها .

ويعدُ المرسل هو العنصر الأول في العملية التخاطُبية الدّينية ،لأنه هو الذّي يحدثُ الخطاب ويقوم بتحريرهِ ويعملُ على شحنهِ بالمعلومات والأخبار اللاّزمة، والّتي لا تخرج عن المجال الدّيني، شكلاً ومضمونًا، ليُرسلها إلى المتلقي، حسب كل موضوع واتجاه الرسالة ويمكنُ أن يتمثل في الأدلة والقواعد الشرعية كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، أو أصول الفقه واللّغة وعلوم الدّين، وبناءا على ذلك، بإمكاننا وضع مخطط عام للمرسل وعناصر تواصُلهِ على النحو الآتي :

* المرسل (الباث) ⟵ المرسل إليه (المتلقي)

↓ الأصولي

↓ أو

↓ الفقيه ،المجتهد

↓ أو

↓ الإمام ⟵ أدلة وقواعد تشريعية

فالمرسلُ قد يكونُ أصوليًا، أو فقيهًا، أو إمامًا يقدمُ مواعظًا وخطابات للعيان، أو مجتهدًا أو أدلة وقواعد تشريعية يمثلها الأصولي والمُشَرِعْ، ومنه فالمرسلُ هو شخص لديه ما يُريد إبلاغهُ للآخرين بغضّ النظر عن دورهِ ومركزهِ، ضمن الجماعة وهو يبعثُ رسالة معينة تكون كلاميّة مباشرة أو غير [مباشرة] أو غير كلاميّة، مكتوبة بخط اليد أو عن طريق أي وسيلة نقل واتصال حديثة ،أفرزتها تكنولوجيا هذا العصر، وعادة ما يكونُ المرسل أو منتج [الخطاب الديني] ممن اختارتهم الأمة الإسلامية وعينتهم لإدارة شؤونها، وقد وُسِمَتْ فيهم شروط رجُل الدّين أو ممن اكتسبَ خبرة في الميدان، كون الأسلوب الدّيني يُكسب بالممارسة والمِرَان، والمرسل بدونه لا يكون هناك خطاب ،لأنه طرف الخطاب الأول الذي يتجهُ به الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطُبِيَة، بقصد إفهامهِ مقاصدهِ أو التأثير فيه .

*<u>**مثال**</u>: (أ) الإمام و الخطيب

(ب) المسلم والمستمع

(ج) تقرير للخطاب الدّعوي

وهكذا يطلب (أ) من (ب) إعداد تقريرٍ شامل ل(ج) حول الخُطب الدينيّة الدعوّية الّتي قُدِمَت وعُرِضَت منذ الألفية الأخيرة [1999-2018]، والعمل على تحليلها واستنباط أحكامها فلو لم يكن (أ) لا يكون (ب) ،ولا يكون (ج).

فالمرسل يختار ما يتناسبُ ومنزلتهُ أو مركزه وما يتناسبُ والمرسل إليه من لغة عند إعداد خطابه، ووفق ما يقتضيه موقفهُ، إما موقفًا اجتماعيًا أو وظيفيًا أو غيرهِ ،كما يتوخى اختيار ما يتناسبُ مع السياق العام ، فخطابُ الإمام مع جمُوع المسلمين يختلفُ حتمًا عن خطاب إمام آخر مع أي مسلم، كما يختلف الاثنان حتمًا عن خطاب ديني مع مسلم أو الخطاب الديني نفسهُ مع جموع المسلمين في المسجد، وخطاب الأصوليين والفقهاء مع أهل العلم وذوو الاختصاص ، وحتى في المقاصد فهم يختلفون فيما بينهم كما أن المقاصد والأهداف تتنوع بتنوُع بعض العناصر السياقيّة ، مما يفرض عليه أطُرًا معينة لابد من أن يستجيب لها، فإن كان هدفهُ الإقناع، فإنه يختارُ جُملة من الأدوات اللّغوية والآليات الخِطابية ما يبلغ مراده وإن كان هدفهُ السيطرة مثلاً ، فإنهُ يعمدُ إلى الأدوات الّتي تكفل

تحقيقها وتنعكس هذه العوامل بشتى ضرُوبها في شكل الخطاب وآلياته، وتصبح عُنصرًا فعالاً في تحقيق الخطاب لآثارِهِ ونتائجهِ .

ويعد عمر أوكان « المرسل هو محور التواصل ،حيث ترتكز دورة الكلام على الذات المرسلة الّتي تحدد نوعية التواصل ، ويمكن أن يكون :فردًا ،أو فردين ، أو جماعة أو آلة كالمذياع مثلاً.كما يمكن أن يكون مرسلا ومرسلا إليه في نفس الوقت، مثلما هو الأمر مفصل في الخطاب الباطني أو اللّغة الداخلية الّتي تعرفُ بالحوار الأُحادي (في مقابل الحوار المزدوج والحوار المتعدد) وفي الأعمال الإبداعية مثل :الرسم ،والشعر والموسيقى وجميع أشكال الفن ،حيث الباث هو المؤلف والقارئ معًا ،فهو صانع الأدلة ومؤولها في الوقت نفسهِ ،إذ إن مؤلف الأثر هو أول قارئ له.وإذا ما تطلب التواصل إصدار جواب من طرف المتلقي ،فإن عملية التواصل تعرف استبدال الأدوار حيث يتحول المتكلم إلى مُتلقٍ والمتلقي إلى متكلم ،وهكذا دواليك»[1]

*في الدين مثلاً يمكنُ أن تأخذ دورة الكلام طريقة دائرية بين طرفين إثنين:

1/ ⟵ أ(المتكلم) .ب (المتلقي)

الرسالة الموجهة من المتكلم إلى المتلقي

2/ ⟶ الجواب الصادر من طرف المتلقي ⟵ (الّذي صارَ متكلمًا)

⟵ إلى المتكلم (الذي صار متلقيا)

3/ وهكذا فدورة الكلام تتكون من أربعة أطراف وهم : ---◄أ.ب

ج. د►---

أما مع خمسة أطراف تكون على شكل: ---◄ أ

ب ج ►---

---◄ د هـ

(1)–مدونة بعنوان اللسانيات والتواصل عند عمر أوكان ،الأربعاء ،2011/4/20،ص3.

وكلما تعدّدت أطراف التواصل إلاّ وصارت هذه العملية أكثر تعقيدًا، وفي ذلك كله «إذا ما نظرنا في حقيقة العلاقة بين الفرد والمجتمع واللّغة ، وجدناها كالمثلث الذي تكون اللّغة رأسه ،والفرد والمجتمع قاعدتهُ ،ويظهر التكامل في التواصل بين الفرد والجماعة ،إذا عرفنا حقيقة العلاقة بينهما ، وبين اللّغة ،وذلك كما هو موضح في الشكل :

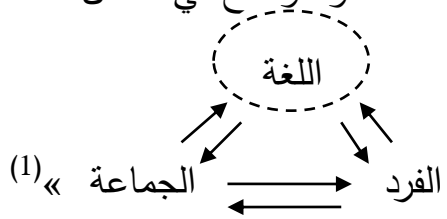

»[1]

ويذهبُ سمير شريف استيتية إلى أن :«الجماعة ترسم حدود الاستعمالات اللّغوية ذات البعد الاجتماعي ،حُدودًا تتسِعُ وتضيقُ باتساع مفهوم تلك الجماعة أو ضيقها ،لطبيعة العِقد الاجتماعي الذي يحددُ علاّقة الفرد بالمجتمع ، ويختلفُ الأفراد بعضهم عن بعض في هذه الاستعمالات بالقدرِ الذي تحصَّلُوهُ من فهمهم لطبيعة تلك العلاقة ، فلا يكون الأفراد كلهم نسخة واحدة ؛بل يتفاوتون حسب موقفهم من الفهم وحظهم من التربية الّتي هي قِوَامُ السلوك بمُقتضى العِقد الاجتماعي للأمة»[2]

تكثرُ عند بعض الدُّعَاة والمصلحين خاصة الأصوليين والفقهاء لغة المشافهة، والإقناع والوعظ، والإرشاد، والإعلانات، والدين، التوقيف، العموم، والشمول، العام والخاص، الحسي والغيبي، الدنيوي العقائدي والتشريعي، الإلهي والإنساني، فتكثرُ استعمالات هذا الخطاب ضمن ثلاث مستويات:"اللغو والمعنى والشيء"

الأمثلة: 1) يكثرُ في الاستعمالات اللّغوية لهذه الفئة ضمير الجماعة الغائب هم والمخاطب أنتم كما يقل ضمير المفرد فنجد: نحن وجهناكم وأرشدناكم ولنا التيار الديني التالي، والأيديولوجية ذات الصبغة كذا...لذا دعوناكم ونصحناكم ..الخ

2) يكثر أيضا استعمال أفعال الأمر: التزم، احترم، اجعل، احتفظ، ابتعد، استقم،قُم ..الخ

---

(1)-(2)- سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال ،والوظيفة والمنهج) ، ص679-680.(مرجع سبق ذكره)

3) تكثر أيضا أساليب التحذير والإغراء، والشرط والتوكيد ك:إياك والنفاق ،النفاق النفاق فإنهُ سبيل المشركين ، لا تقم بكذا ،وإن قُمت بكذا سنقم كذا، لو قمتُ بكذا فمصيرك هالك لا محالة ...الخ

ويمثلُ هذه الفئة مجموعة كثيرة في المجتمع وهم يختلفون من بيئة إلى أخرى فقد يكون منهم رجال الدّين، وذوُو المنزلة الرفيعة في الدين كالدُعاة عبر المنابر المختلفة، والمصلحين بمدوناتهم وحواراتهم المعبرة، والأصوليين والفقهاء وغيرهم وهذه الفئة لها قاسم مشترك يجمعُ بين عناصرها أو أفرادها ، فهم يرسلون أكثر مما يستقبلون ومنه نلحظُ أن التواصل بين المرسل والمرسل إليه مرتبط بمبدأ القصدية .

مثال: « في خطبة المؤلف للإمام الشاطبي (ت 790هـ) ابتدأ كلامه بالحمد والثناء ثم الصلاة والتسليم على الحبيب المصطفى ، أما بعد : فإني أذكِّرك أيها الصديق الأوفى والخالصة الأصفى ، في مقدمة ينبغي تقديمُها قبل الشروع في المقصُود وهي معنى قول رسول الله (ص) "بُدئ الإسلام غريبًا وسيعُود غريبًا كما بُدئ فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباءُ يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد النّاس...وجُملة المعنى فيه من جهة وصف الغرابة ما ظهر بالعيان والمشاهدة في أول الإسلام و آخره " ،ثم نجد في أسفل الكتاب إحالات مأخوذة من طرف العلماء السابقين ك: رواه مسلم ،سنن الترمذي وسنن ابن ماجة ومسند الإمام أحمد »[1]

و به أيضا يضمنُ الدّين حُجته إن خالف هذا الدّاعي أي نقطة من نقاط الخطاب الّذي أعدّهُ؛ وذلك وفق ما يقتضي مقاصد الشريعة وتعاليمها.

ومبدأ القصدية يشملُ خطاب المرسل في تأثيرهِ على الغير، ومعنى ذلك أن تحديد معنى

تعبير ما هو رهين بمقاصد المتكلمين والمتخاطبين، مع الكشف عنها وبذلك تكون المقاصد ملمحًا مُمّيزًا ، ومبدأ القصدية (Intentionnalité) عمل عليه أيضا الفيلسوف سورل "searle" « في فهم كلاّم المتكلم وفي تحليل العبارات اللّغوية ،وهو مبدأ أخذهُ من الفيلسوف

---

(1)- الاعتصام، أبي إسحاق الشاطبي،- مصدر سبق ذكره- ، ص 17.16.

هوسرل "Husserl" ...وتتجلى مقولة "القصديّة" بالخصوص ،في الربط بين التراكيب اللّغوية ومُراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب ،في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللّغوية »[1]

إذ يحاولُ المرسل في الخطاب الديني المتخصص التأثير دائما في متلقي رسالته ومحاولة إقناعهِ، خاصة إذا كان المتلقي مستمعًا فهو لا يبرحُ مكانهُ إلا إذا أحسَ بصدق الخطبة وجدِيّتها ، والمستمع بصفة عامة صعب الإقناع وعادةً ما يطلِعُ على الدليل ، أو الخطبة التي تدعمُ ما تلقاهُ إلاّ من القرآن والسّنة ، فالإمام أو الداعي إذا كان مرسلا في الخطاب يبحثُ عن أفضل طريقة يقنعُ بها المرسل إليه، خاصة من خلال استعمال لغة مقنعة ذات آليات مُناسبة، لُغة خطابية وتواصلية واجتماعية معًا .

فاللغة هي الأداة الأهم، فلا يقتصِرُ دورها على وظيفة نقل الخبر ووصف الواقع؛ بل ينجزُ بها الإنسان أعمالاً لا يستطيعُ انجازها من دونها، باللّغة يستطيع أن يفعل الإمام ما يريد فهو يستطيع أن يجعل المتلقي يقتنع ويغادر المسجد مباشرة أو يستطيع أن يوجههُ لأهل العلم والفقه ، فبالتالي فقد أنجز باللّغة أفعالاً فهو إما قد أقنع المتلقي بما قُدِم والرجوع مرة أخرى أو قد تم إرسالهُ إلى مكان آخر ، وكلها، إما أفعال منجزة أو ستنجزُ لاحقًا كون اللّغة في حقيقة الأمر هي أفعال تنجز وتُؤدَى بمجرد النطق بها .

2/**المرسل إليه** :(Destinataire)

و هو الطرف الثاني، وإليه تتجهُ لُغة الخطاب والّتي تعبرُ عن مقاصد المرسل، وعليه فإنّهُ «يقابل المرسِل داخل الدائرة التواصلية اللفظية أثناء التخاطُب، وقد أُطلق عليه مجازًا المصطلح الفيزيائي "المستقبِلْ" Le récepteur، ويقوم المرسل إليه بعملية التفكيك "décodage" لكل أجزاء الرسالة سواء أكانت كلمة، أم جُملة، أم نصًا...»[2]

---

(1)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي) ،ط1، دار الطليعة، بيروت –لبنان، 2005، ص10.

(2)- الطاهر بومربز: التواصل اللساني والشّعريّة (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكسون) ، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت–لبنان ، 1428–2007، ص 25.

والمرسل إليه مثله مثل المرسل في الخطاب الديني الدَعوَّي، فهما يتبادلان الأدوار فالّذي كان مرسلا تارة، يصبح مرسلا إليه تارة أخرى وقد يكون في طبيعتهِ أو هويته مختلفًا في كل مرة :إمامًا أو داعيًا ،أو فقيهًا أو مُصلحًا ،أو هيئة دينية عامة ،أو مُرفقًا دِينيًا.

مثال: في خُطبة المؤلف للشاطبي (ت790هـ) حينما تحدث عن أمرٍ لا سبيل من إهماله«فلا يسعُ أحدٌ ممن لهُ مِنّةٌ إلا الأخذ بالحزم و العزم في بثهِ ، بعد تحصيلهِ على كمالهِ وإن كرِهَ المخالِفُ فكراهيتهُ لا حُجةَ فيها على الحق ألا يرفع منارهُ ، ولا تكشف وتجلى أنواره فقد خرج أبو الطاهر السلفي بسندهِ إلى أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهُ: "يا أبا هريرة علّم النّاس القُرآن وتعلُمه ،فإنك إن مُت و أنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يُزارُ البيت العتيق وعلم النّاس سُنتي وإن كرِهُوا ذلك ، وإن أحببت ألا توقف على الصّراط طرفة عين حتّى تدخل الجنة فلا تحدُث في دين الله حدثًا برأيك" ، قال أبو عبد الله بن القطان : وقد جمع الله لهُ ذلك كله من إقراء كتاب الله والتحديث بالسنة ،أحبَ النّاس أم كرِهُوا ، وترك الحدث حتّى إنهُ كان لا يتأوّلُ شيئًا مما روَى ،تتميمًا للسلامة من الخطأ»[1]

يتّضح أنّ المرسل إليه الذي يعتبرُ العنصر الثاني في العملية التخاطُبية الدينية يُؤخَذُ بعين الاعتبار في كل خطاب مُوجه للأمة، فطبيعتهُ ومنزلتهُ الدعَوِيّة أو الاجتماعية ،هي الّتي تحدد طبيعة الاستخدامات اللّغوية الموجهة إليه؛ وذلك من خلاّل اختيار الصيّغ والتراكيب المناسبة للمقام، والمنزلة خاصة إذا كان الاتصال يحدثُ من الأدنى إلى الأعلى، و إن كان عكس ذلك، فإن طبيعة وخصائص اللّغة تتغير أيضا . **مثال:** في الآونة الأخيرة كثُرَ التعامل الديني خاصة مع العنصر الأجنبي، فكثرةُ الزيارات التي يقومُ بها هذا العنصر في بلادنا تحتم على ديننا ودُعَاتهِ اختيار اللّغتين (الفرنسية أو الإنجليزية) للتعامل معهم وتوجيه الخطابات لهم مع المحافظة على مكانة لغتنا ومبادئ شريعتنا الإسلامية...، إذن فقد فرضت طبيعة المرسل إليه هنا وعدم نُطقهِ ومعرفتهِ باللّغة العربيّة إلى استخدام لُغة أخرى تُفهم بين الطرفين.

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، راجعه: محمد الفاضلي، ص27.(مصدر سبق ذكرهُ)

من دون المرسل إليه لا وجود للعملية التخاطبية الدينيّة، فله تحرر و تدون الرسائل الكلاميّة، أو من أجله تنجزُ كل الخطابات الدينيّة بهدفِ إفهامهِ أو إقناعه أو تذكيرهِ أو توجيههِ، أو منحهِ أي رسالة كلاميّة من رسائل الخطاب اللّغوي الذي يحتاجُ إليها في حياته، وقد يكون المرسل إليه في هيئة معنوية كأن يكون خطابًا موجها لعامة النّاس .

مثل: إعلان عن مخطط لبناء مسجد ما، أو إعلان عن حلقات لدُور العلم وحفظ القرآن الكريم، أو إعلان عن توظيف إلى كافة الأئمة وخريجي كُليات الشريعة والأصول، أو خطاب مُوجه إلى عامة الأمة الإسلامية.

و تجدرُ الإشارة إلى أن:«المرسل إليه يُعنَى بدراسة مقاصد المرسل، وكيف يستطيع المرسل أن يُبلّغها في مستوى يتجاوزُ مستوى دلالة المقول الحرفيّة...ومنها ما هو مكوّن ذاتي :كمقاصد المتكلم ومُعتقداتهِ ، وكذا اهتماماتهِ ورغباتهِ ومنها أيضا المكوّنات الموضوعيّة: أي الوقائع الخارجية ،مثل "زمن القول ومكانهِ " ، وكذلك العلاّقة بين طرفي الخطاب ، وتسهمُ هذه العناصر في تحديد الدلالة عند المرسل إليه ،إذ يعتمدُ عليها في تأويل الخطاب وفهم مقاصدهِ »[1]

و بالتالي، فالمرسل إليه يبحثُ عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابهِ لحظة التلفظ وهذه الإجراءات لا تتبلورُ عند منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو؛ بل عبر تقدير ذهني عام محتمل وِفقًا لعناصر السياق، فالسياق نقطة مساعدة جدًا في إنتاج الكلاّم وفهمهِ، ولا ننسى أيضًا أن المرسل إليه هو مؤول الرسالة ونعني بالتأويل إرجاع النص أو الرسالة اللّغوية إلى دائرة الفهم والإدراك وتفكيك للرسالة من طرف المرسل إليه أو قراءتها ، وتختلف هذه القراءة من فردٍ لآخر .

ففي الدّين، قد ننطقُ نفس العبارة مع شخصين أو أكثر فنجدُ أن كل واحدٍ أولّها كما أراد هو، فإذا قلنا لهم مثلاً: سَوُوا صفوفكم واستقيمُوا أثناء الصلاة ، أو إذا قُرِئَ القرآن فأنصتوا

(1)– عبد الهادي بن ظافر الشهري : (استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية)، ص48.(مرجع سبق ذكره)

دون ضوضاء، فنجد ردود أفعال مختلفة :

أ–بإمكانهم المغادرة المغادرة دون كلام .

ب–بإمكانهم اعتبارها تعصُب والتزام ،وتعطيل لوقتهم مع حدُوث شِجَارْ.

ج–بإمكانهم تسوية الصف والإنصات للقرآن .

فالتأويلات كثيرة جدًا، وكلٌ حسب ما يُثِيرهُ الرّد أو يدفعهُ لفعل شيءٍ ما، و يعمدُ دائمًا الدُعاة إلى الشرح والتوضيح و أن تكون رسالتهُم واضحة بسيطة بالقدرِ الذي يتناسبُ مع مُتلقِيها؛ ذلك أن القُدرات العقلية للأفراد على تبايُن كبير، وما التأويل إلا ثمرةُ تلك القدرات المُحصلة عليها « فالتأويل في حقيقتهِ، إعادة إنتاج للرسالة، لن يكون لهذا الناتج الجديد (التأويل) "Herméneutique" ما يجعلهُ عدلاً مُكافِئًا للرسالة في قيمتها الاجتماعية؛بل إن قيمة التأويل تتأتى أصلاً من كونهِ تأويلاً لهذه الرسالة أولاً ، ومن كونهِ نِتَاجًا لقُدرات عقلية مميّزة ثانيًا ،ومن كونه قد جعل الرسالة محلاً للتواصل ثالثًا، ومن كونه قد عبّر عن صلة الرسالة بالمجتمع و أشبع حاجة النّاس إليها رابعًا ،ومن كون التأويل نفسه رؤية عصرية متجددة للرسالة خامسًا»[1]

وهكذا أصبح للتأويل جُملة من الوظائف اللّغوية، أثناء تأديتهِ للرسالة الكلاميّة أو الخطابية وهو بذلك: 1 – تفسير للرسالة.

2– نتائج لقدرات عقلية مميّزة .

3–جعل الرسالة محلاً للتواصل .

4–يعبر عن صلة الرسالة بالمجتمع .

5–إشباع حاجة النّاس إليها (الرسالة)

6–يمثلُ رؤية عصرية مُتجددة للرسالة .

---

(1)– سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال ،والوظيفة والمنهج) ،ص719.(مرجع سبق ذكره)

إن اللّغة جُعلت من أجل إحداث التواصل بين أفراد المجتمع، وحين تكون الرسالة واضحة يستطيعُ المستقبل أن يتلقاها بسهولة ويُسر ، وليس مطلُوبًا من المرسل أن تكون بيدهِ دائمًا مفاتيحُ الوصول إلى كلِ مُستقبِل، بغض النظر عن المواقف المختلفة أو الموضوعات المتباينة وإن كان للتأويل «منزلتان من التفكير،أولاهما ما يمكن أن نسميه التفكير الوصفي وثانيتهما التفكير الإشاري ،أما الأول ففيهِ يقفُ المؤوِل على السمات الوصفية لكُلِ مفردة من مفردات الرسالة التي تحتاجُ إلى تأويل، ولا يتجاوزُ المؤول في هذه المرحلة المعطيات الدلاليّة الّتي يمنحُها المعجم في إطارّ الدلالة المعجميّة"، ولا يتجاوز البُعد السياقي للكلمات وهو بُعد لغوي على كل حال...أما الثاني يُعنى ببناء التأويل فلا يمكنُ أن تتسِعَ له الرسالة أو النص،إذا لم يكُن في الرسالة نفسها سمات معينة ، الأولى وجود فُسحة بين النص ومضامينهِ ...والثانية هو التقاء الذات الفردية المتمثلة في المرسل أولاً وفي المستقبل ثانيًا بالذات الاجتماعية»[1]

فإن النص الديني أو الخطاب الدّعوي الديني يكون فيه التأويل مُقيّدًا ، وتكون هذه القيُود حائلاً بين المُتأوِل وإطلاق النظر التأويلي، و بعبارةٍ أخرى لا مجال للتأويلات العائمة البعيدة عن المعنى الواضح الجلّي للنص أو الرسالة الدينيّة . و عادةً ما يكونُ سوء تأويل الرسالة سببًا في حدُوث القطيعة في التواصل أي قطع حبل التواصل بين المتلقي و المرسل، ومنه تحدثُ المناقشات الحادة و الحوارات وتتغيرُ ألفاظ و أساليب اللّغة في هذه الحالة، وهذه الظاهرة تكثرُ بصورة كبيرة في الدين ممّا يستدعي ذلك تدخُل أهل العلم وذوُو الاختصاص .

3/**الرسالة أو الخطاب**: (Message) وهي العنصرُ الثالث أو الجانب الملموس في العملية التخاطُبِيَّة ، في الخطاب الّديني الدعَوِّي، وهي عبارة عن بُنَى لسانية مُترابطة تتضمن أخباراً ومعلومات و أفكارًا ذات مقاصد محددة تمَّ إحداثها في قضية أو موضوع محدد بعينهِ، وتم تبليغُهَا إلى مُتلَقٍ بعينهِ فيتلقاها و يحددُ رأيه فيها بالاستحسان (Acceptabilité)

وهي أيضًا إستراتيجية تواصُلِيَة شاملة كما هو الشأن في الدراسات النصيّة المعاصرة ، فالرسالة في الخطاب الديني الدّعوي ليست كلمات مُبعثرة وجُملاً خالية من الترابُط؛ بل تُربتها

---

(1)- سمير شريف استيتية : اللسانيات (المجال ،والوظيفة والمنهج)، ص 719 .(المرجع السابق)

ثلاثة أنواع من الروابط "التركيبية و الزمانية والإحالية" .

*وتتمثل الرسالة الدينية في: 1-الرسائل المختلفة المتداولة خارجيًا بين الدُعَاة والأئمة و الوُعاظ. 2-الخطابات والتوجيهات والتشريعات والوثائق الصادرة من الهيئات الدينيّة.

3-التساؤلات والاستفسارات المقدمة من طرف الأمة الإسلامية والموجهة لأهل العلم ورجال الدّين، كما وتسمى بالرسائل الخطابيّة الشخصية.

4-الخطابات المختلفة و المؤداة في منابر المساجد الدعَوِيَّة، أو المنشورة بالجرائد اليومية أو الكتب أو المقالات .

مثل: عقد مؤتمرات وندوات لمناقشة مواضيع دينيّة و التحاور بكل ما يتعلقُ بحيثياتها.

وهكذا، فكل خطاب حمل خبرًا أو موضوعًا، أو قضية لها علاّقة بالمحيط الدّيني وهي معتمدة في الدّين الإسلامي دون أي اختلاف يُذكر، كل ذلك من أجل ضمان التوعية و الإرشاد الحسن للأداء الدّيني ، لا وجود للتواصل دون رسالة، فهي عنصر أساس في العملية التخاطبيّة ولنأخذ هذا المثال الوارد في كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (790هـ) حول أحقيّة تطبيق الشرائع التي جاءت لمصالح العباد :« و أما على القول الآخر فأحرى أن لا يكون صاحب البدعة على ثقةٍ منها ، لأنّها إذ ذاك مجرد تعبُد وإلزام من جهة الآمر للمأمور ،والعقل بمعزل عن هذه الخُطة حسبما تبين في علم الأصول ، وناهيك من نِحلةٍ ينتحلها صاحبُها في أرفعِ مطالبهِ لا ثقة بها ، ويُلقي من يدهِ ما هو على ثقةٍ منه ....وفي حديث العرباض بن سارية : وعظنا رسول الله (ص) موعظة ذرفت منها الأعيُن ووجِلت منها القلوب ،فقلنا : يا رسول الله،إنّ هذهِ موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟قال: "تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، ولا يزيغُ عنها بعدي إلاّ هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سُنَتِي و سُنة الخلفاء الراشدين من بعدي "»[1]

(1)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص36-37.(مصدر سبق ذكرهُ)

وبالتالي، في هذا المثال السالف الذكر، نرى بأن المرسل (المتكلم)"أي الدّين و الشرع "، قد قام بتوجيه رسالة إلى المتلقي (صاحب البدعة) ، حيث تسندُ هذه الرسالة إلى سياق (مرجع) وهو "تطبيق نصوص و أصول شريعتنا الإسلامية و آدائها على أكمل وجه"، وهذا السياق مفهوم لدى الطرفين فهو بمثابة قواعد أصوليّة يجب الالتزام بها بين الطرفين لضمان المباشرة في الأداء من طرف المتلقي ، وتقوم هذهِ الرسالة [نصوص الشريعة الإسلامية والسّنة النبويّة] على سُنن مشترك بين الطرفين يتمثّلُ في كونِ نصوص الشريعة و السنة رسالة خِطابيّة هامة تُطمئنُ نفسية المتلقي و يضمنُ حصولهُ على واجبهِ الديني ، مع إتباع تعاليم سُنة نبيِّهِ المطهرّة ؛ و قد تم كل ذلك من خلال قناة تواصل بين الطرفين تمثلت في اللّغة الشفاهية ويمكن تمثيل ذلك من خلال هذا الشكل التوضيحي :

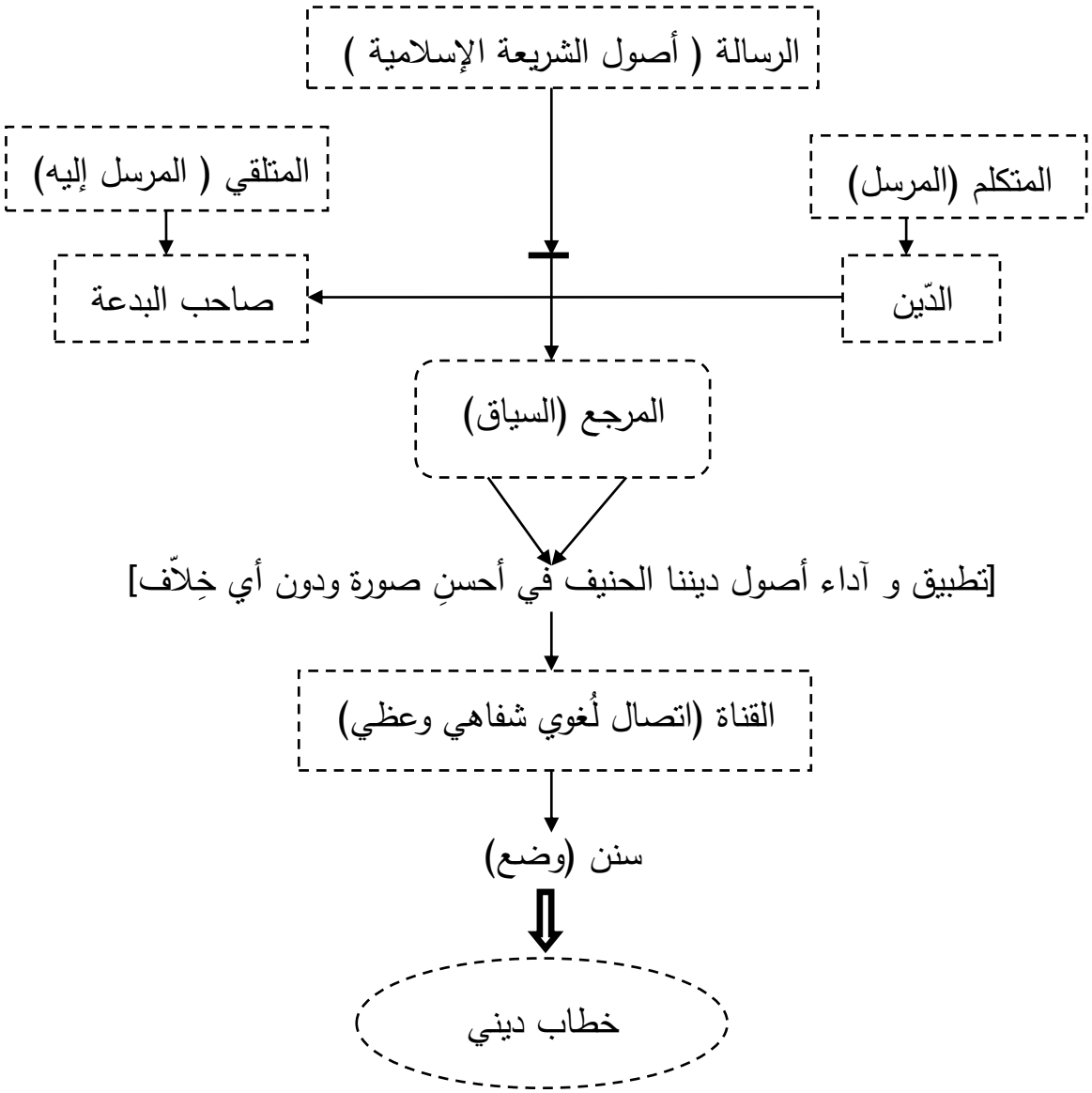

من خلال الرسم التوضيحي نعتقدُ أن الخطاب الدّيني الدعَوِّي هو ثمرة اجتماع هذه الستة عناصر معًا ، وفيه يمكنُ أن يتضح لنا كيفية تعامل هذا الميدان مع أفراد المجتمع ومع أفراد مجتمعهِ الخاص و تتضحُ أيضا طبيعة التعابير والآليات اللّغوية المستعملة فيه ، سواء أكان هذا التعامل داخليًا (بين أهل العلم والاختصاص) ، أو مع المتلقي فنعرف هل "أنصتَ إليه و احترمهُ أو لم يُعِرهُ أي اهتمام "، أو حاول فرض سيطرتهِ عليه بدعوتهِ لقواعد و أصول الشريعة الإسلامية مباشرة ، وهل تنازل عن موقفه الاجتماعي أم الدعّوِي تقديرًا للمرسل إليه ، أم أنه مكثَ في عليائهِ ؟ كل هذه الاعتبارات وغيرها تبيّنُ كيف يمكن لِلُّغة الخطاب أن تقُود الفاحص إلى إجابات واضحة جليّة حاضرة.

مثال: عن مجالسة صاحب بدعة لم يُعطِ الحكمة " 1-وقيل لإبراهيم بن أدهم: إن الله يقول في كتابهِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(غافر آ 60) ، ونحن ندعوهُ منذُ دهر، فلا يستجيب لنا ! فقال ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

- أولها :عرفتم الله فلم تؤدُوا حقَهُ.
- ثانيها: قرأتم كتاب الله ولم تعملُوا بهِ.
- ثالثها:ادعيتُم حب رسول الله (ص) وتركتم سنتهُ.
- رابعها: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.
- خامسها: قلتم نحب الجنة، وما تعملون لها...إلى آخر الحكاية.

2-عن العالِم والعافية: "وقال إبراهيم الخواص: ليس العالِمُ بكثرةِ الرواية، وإنما العالِمُ من اتبعَ العلم واستعملهُ واقتدى بالسُنن و إن كان قليل العلم " ،" وسُئل عن العافية فقال: العافية أربعةُ أشياء :1) دين بلا بدعة 2) وعمل بلا آفة 3) وقلب بلا شغل 4) ونفس بلا شهوة وقال : الصبرُ، الثبات على أحكام الكتاب و السنة "[1]

و من هنا، يتضحُ للمتلقي (المستمع) الصورة السيئة لصاحب البدعة وكذا فهمهِ لدلالات

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي :الاعتصام، ج1-2-مصدر سبق ذكره- ص64-69.

ومعاني لفظتي "العالِم والعافية"، وقبل خروجه من المجلس العلمي يكون متأثرًا تأثيرًا جِدُ بالغ نظرًا لكل ما تلقاه واكتسبهُ حول أمور دينه ودُنياه والعمل بها ، بُغيّة الفوز بالدّارين الدنيا و الآخرة ، فالخطاب الدّيني يسعى من خلالِ "وظيفتيهِ التعاملية (*) و التفاعُليّة (**) " (1) إلى التعبير عن مقاصد مُعينة وتحقيق أهداف محددة ، و إعطاء صورة جيّدة عن الدين «إذْ يبرزُ من خلالهِ مقاصد كثيرة قد تظهرُ مباشرة من شكلِ الخطاب وقد لا تظهرُ، وعندها تصبحُ لُغة الخطاب شكلاً دالاً يقودُ إلى المدلولات الثانوية خلفهُ من خلال المعطيات السياقيّة ، و العلاقات التخاطبيّة ، والافتراضات المسبقة التي يُدركُها المرسل أو يفترض وجودها ، فيبني لُغة خِطَابهِ عليها ؛ كما يدركها المرسل إليه ليستدل على المقاصد من خلالّها ، ويتوخّى المرسل لتحقيق ذلك خُطّطًا معينة ...هذه الخطط عبارة عن اطّرادات لُغوية تُجسدها كفاءة المرسل التداولية في خطابهِ »(2) ، وسيتضح لنا كل ما سبق ذكرهُ في الصفحات القادمة خاصة عند الحديث عن أوستن (Austin)، وكيفية تصنيفهِ للأفعال الإنجازية، و أهم ما جاء به من دراسات و مبادئ تخدِمُ العملية التخاطبيّة خاصة من خلاّل نظرية الأفعال الكلاميّة .

4/**القناة**: (Channel) هي وسيلة الاتصال لنقل الرسالة ، وتتمثلُ في الأصل في اللّغة سواء أكانت مكتوبة أو شفاهية منقولة من شخص إلى آخر عن طريق وسائل إما عادية و إما حديثة وليدة التطور و التكنولوجيا: كالإذاعة والتلفزيون بشتى أنواعهِ ، والمعاجم و المدونات والكتب والمطويات والجرائد والنت ، مع تطور الحاسوب و تقنياتهِ من أقراص مضغوطة و أخرى عادية و أجهزة جديدة خاصة به لحملِ المعلومات « فإنّ ما ينجزُ عبر

(*)–هي ما تقومُ به اللغة من نقل ناجح للمعلومات، تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللّغوي، فيُركز المرسل جُهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة و الدقيقة.

(**)–فهي الّتي يقيمُ بها النّاس علاقاتهم الاجتماعية و يحققون لأنفسهم غاياتها، وتتمثلُ في قدرٍ كبير من المعاملات اليومية الّتي تحدثُ بينهم، فقد يقتصرِ دور اللّغة في بعض السياقات على إقامة العلاقات و تثبيتها، و قد يتجاوزُ إلى التأثير و غيره.

(1)– نقلا عن استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية– ، لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص 16.

(2)– عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ،–مقاربة لغوية تداولية–،ص18.19.(المرجع نفسه)

هذهِ القناة من جُهد، لإقامة التواصل و الحفاظ عليه هو جهد خاص بلغة الطيور الناطقة...إذْ يقومُ الطرفان المتصلان بتوظيف هذا العامل التواصُلِي، قصدَ تمرير أنماط تعبيرية خاصة قصدَ التأكد فقط من سلاّمة الممّر، ووصول الرسالة سليمةً إلى جهاز الاستقبال »[1]

مثال: عن أهمية المصطلح الوارد في مُدونة الاعتصام للإمام الشاطبي (ت 790هـ) والمتعلق بذم و نقد مفهوم البدعة وسوء أعمال أصحابها؛ ومتبوعًا ذلك بالحُجة والدليل المستقاة من الدّين والسنة وأقوال الفقهاء والعلماء، فهم يُعُدَوْنَ بمثابة الرابط الأساسي بين الدين و جمهور المتلقين.

وهكذا تعدُ القناة بمثابة الرابط الأساسي بين الدّين والأمة الإسلامية فتتعاملُ معهُ شفاهِيًا كالخطابات و الدعوة لنشر تعاليم الدين السمحة وكذا تشريعاتهِ ، وتطبيق سُنة نبيِّهِ المطهرة مع الردّ حول كل غموض أو إبهام فيما يخصُ أصول فقهنا و أمور ديننا ، إمّا بالإيجاب أو السلب ، لكي لا نُحَسِّسَ الفرد بعدمِ الاطلاع أو الإجابة عن كل تساؤلاتهِ ؛ بل يجبُ إعطائهُ الصورة الكاملة عن التحضُر الدّيني بالردِ عليه وعلى انشغالاتهِ ، و أنها تُعطي أهمية لِمَّا يُسرَدُ على مسامعهِ .

إذن، فإنّ لُغة الخطاب الديني لها سِمَاتُهَا الخاصة، و تعكسُ كل ما يجري وسط المجتمع، وهي سلاحهُ في التعامل الداخلي و الخارجي، وهي قناتهُ الأساسية تجعلُ منهُ منبرًا اجتماعيًا دينيًّا خاصة عندما تتفاعلُ مع كل المنابر الأخرى بلُغَةٍ عربيّة فُصحى لينة مع تركيب جُملة من الألفاظ والصيّغ لصالحها ؛ بل وكونَتْ لنفسها خصُوصية وميدانًا مُستقِلاً، وفي نفس الوقت مبثوث في كل الكيانات والميادين الأخرى ، فلا نجدُ ميدانًا بعينهِ يستطيعُ الاستغناء عن الدّين و تجليات خطابهِ .

5/**الوضع "السُنن"** (Code) ويمثلُ « السُنّن القانون المُنظَّم للقيَّم الإخبارية و الهرم التسلسلي الّذي ينتظمُ عبر نقاطهِ التقليدية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه، كلُ

---

(1)– الطاهر بومريز: التواصل اللساني والشعريّة (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون) ، ص 29.(مرجع سبق ذكره)

نمطٍ تركيبي ، فمنهُ ينطلقُ الباث عندما يرسلُ رسالة خِطابيّة معينة حيث يعملُ على الترميز (Codage) و إليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما فيُفكِّك رموزها بحثًا عن القيمة الإخبارية الّتي شُحِنَتْ بها (Décodage) »[1] ، ومنه، فالوضعُ هو القدرُ المشترك في المعرفة بين المتكلم و المخاطب ، ومادام الخطاب الدّيني قد عُرِّبَ و أصبح يستخدمُ اللّغة العربية في جُل مُستخدماتهِ الشفهية أو المكتوبة ، وهذا يُعزِزُ حبل التواصل بينهُ و بين أفراد المجتمع الإسلامي ، لكن السؤال الّذي يطرحُ نفسَهُ هو : هل فعلاً لُغة الخطاب الدّيني في كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (ت 790هـ) ، مُحَقِقَة للتواصل الجيّد بينها و بين الأمة العربيّة أو المستخدمين لها ؟ لو أجبنا عن مثل هذا السؤال من ناحية الخطابات الدّينية وكيفية التعامُل معها بصِبغَةٍ منطقية ، سنكون بالفعل حققنا شيئًا ما ، فلا جِدَال إن قُلنا : أن الخطاب الديني بين أفراد الأمة الإسلامية يتمُ في أحسنِ صورة ممكنة هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ أخرى فإنّنا نرى بأنّ الفرد منّا لا يتعاملُ مع شريحةٍ واحدة من المجتمع ؛ بل يتعاملُ مع مختلف الشرائح وهذا في العادة ما يخلقُ لهُ بعض العقبات فقد يتحدثُ مع من لا يتقنُ اللُّغة العربيّة الفصحى ، فلا تصل الرسالة على أكمل وجه ممكن ، أو أنه يتحدثُ مع من لا يفهم الفرنسية باللّغة الفرنسية ، ومن هنا تختلفُ السنن وعادةً ما يعتبرُها الفرد تعاليًا ومُفاخرة فلا يتم التجاوُب مع المرسل ؛ بل أحيانًا يحدثُ قلة فهم أو وعي للخطاب المتلقي من طرف الإمام أو الدّاعية ، وكثيرا من الأحيان يتعاملُ الأئمة و الدعاة مع الأفراد والرّعايا باللّغة العامية في الخطاب الديني الدعَوِّي ، أما الخطاب الكتابي فيبقى باللُّغة العربيّة أو باللّغة الفرنسية الّتي لم يتخلص منها الخطاب الديني .

ويمكنُ اعتبار الوضع ذلك السّن المتفق عليه بين أبناء الاختصاص الواحد ونعني به: نسق القواعد المشتركة بين المرسل والمتلقي، والّذي بدونهِ لا يمكنُ للرسالة أن تُفهم أو تُؤوَلْ وعادةً ما يرجع الدارسون فشل التواصُل في الخطاب إلى أسباب هي :

1-الخطأ في تأويل السنن بسبب سنن مخالفة .

2-الالتباس في السنن بسبب تعدُد التأويلات عند المتلقي .

---

(1)- الطاهر بومريز : التواصل اللساني والشعريّة (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون) ، ص 28 .(المرجع السابق)

3-جهل السنن من طرف المتلقي .

الأمثلة: والأمثلة متعددة من المحيط الديني، خاصة في مجال التعامُلات اليومية بين الأشخاص والمؤسسات والإدارات، ولنأخذ مثالاً عامًا من كتاب الاعتصام للشاطبي (ت790هـ) « وخرج الآجري عن السائب بن يزيد قال : أتى عمر بن الخطاب فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجُلاً يسأل عن تأويل القرآن فقال : اللّهم أمكنّي منه ،قال : فبينما عمر ذات يوم يُغذي النّاس إذ جاءَهُ ، عليه ثياب و عمامة ، فتغذى حتّى إذا فرغ قال : يا أمير المؤمنين﴿و الذّاريات ذروًا فالحاملات وقرًا ﴾ (الذاريات2.1) فقال عمر : أنت هو ؟ فقام إليه محسرًا عن ذراعيه فلم يزل يجلدهُ حتّى سقطت عمامتهُ فقال : والذي ، نفسي بيده لو وجدتك محلُوقًا لضربتُ رأسك ، ألبسوهُ ثيابه و أحملوه على قتب ثم أخرجوهُ حتّى تقدموا به بلاده ، ثم ليقُم خطِيبًا ثم ليقُل : أن صَبِيغًا طلب العلم فأخطأ ، فلم يزل وضيعًا في قومهِ حتّى هلك ، وكان سيِّد قومه.»[1]

فالشاهد،أنّي أعتقدُ بأن التواصل يكونُ جيّدًا، إذا ما حدث بين أهل العلم وذوي الاختصاص والتعاملات الداخلية أسهل من التعاملات مع الأمة الإسلامية، خاصة الجاهلين لأمور دينهم ودُنياهم، وكذا واجباتهم اتجاه دينهم ، فعند مخاطبة شخص أجنبي مثلاً من طرف الخطيب أي شخص آخر، يجدرُ بهؤلاء مخاطبة ذاك الأجنبي بلُغتهِ أو باللّغة المفهومة والمعروفة السنن بين الطرفين (المخاطِب والمستقبِل)، يُستنتَجُ من هذا، أن التواصل لا يكون جيِّدًا وفعّالاً إلا إذا اشترك المرسل و المرسل إليه في نفس السنن و يؤدي الخطأ في تأويل السنن أو جهله أو الالتباس المتضمن فيه ، إلى فشل التواصل .

وهكذا، يعمل الخطاب الديني على تحقيق التواصل؛ بل يسعى جاهِدًا من خلاّل نوعية عناصرهِ، إلى حُسن الإلقاء والأداء مع المُخاطِب، لأن « التواصل يعمل على فتح أبواب التفاهم بين فئات المجتمع...فإذا التقى طرفان من هذه الفئات، في مجال من مجالات الخطاب، أصبح كلُ واحدٍ منهما مُرسلاً لا مُستقبلاً، ومن المعروف أن تعدُد جهات الإرسال في اللحظة الواحدة يعني أنك -باعتبارك مُشاهِدًا أو مُراقبًا أو مُتلقيًا- لن تفهمَ شيئًا مما

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص58.(مصدر سبق ذكرهُ)

يصلُ إليك من أصوات جهات الإرسال، لأنهُ لن يصل إليك من دلالات الخطاب، ومعاني الحديث أي شيء تقفُ عندهُ.»[1]

وبالتالي، يضمنُ لنفسهِ صُورةً جيّدة ودافعًا قويًا للاعتقاد فيه وتنفيذهِ دون مُجادلة، والتفاعُل معهُ إنما هو دليلٌ على قُدرتهِ و التأثير في الغير، و إذا ما حقق التواصل فإنه بذلك حقق «التفاعل الفكري واللّغوي بين وجود الذات (أنا) ووجُود الآخر (أنت وهو) وبين هذا و ذاك و المجتمع (نحن و أنتم)»[2]

*ويمكن تمثيل ما سبق ذكرهُ آنفا على النحو الآتي :

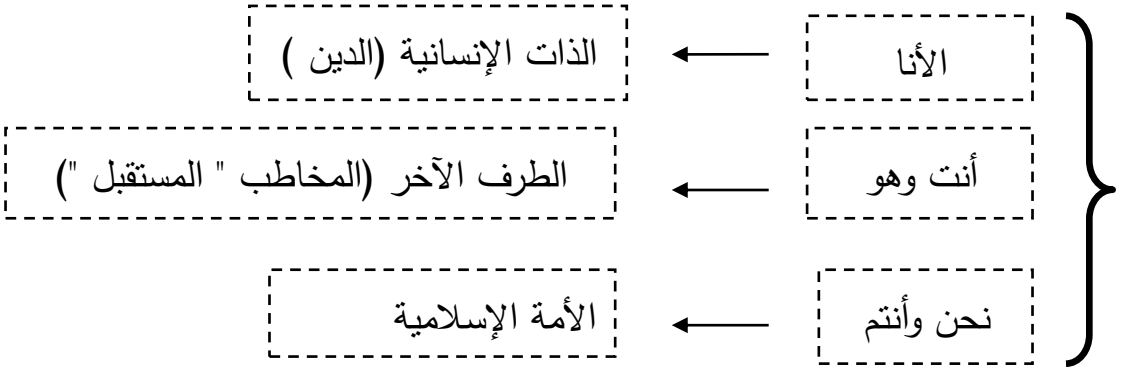

(1)-(2)- سمير شريف استيتية : اللسانيات (المجال ،والوظيفة والمنهج)، ص689.692.(مرجع سبق ذكره)

6/**المقام " السياق"**: (Contexte) في الدين كلُ نصٍ أو خطاب يكون وليدَ سياقٍ معين:

الأمثلة: واستنادًا إلى معاني الخطاب الّتي نص عليها الإمام الشاطبي في كتاب الاعتصام (ص 44-45) في عدة مواضع، بإمكاننا ذكرُ بعضها وتمثيلها في الجدول أدناه:

اللفظ	نوع القرينة	التأويل (معنى الخطاب)
*قال تعالى:﴿ إنّ الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شِيَعًا لستَ منهم في شيءٍ إنّما أمرهم إلى الله ثمّ ينبئُهم بما كانوا يفعلون﴾الأنعام / آ 159 -التوحيد ⟵ بمعنى إنتاج خطاب دلالي .	عقلية + حالية	هذه الآية قد جاء تفسيرُها في الحديث من طريق عائشة –رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله (ص):« يا عائشة "إنّ الّذين فرَّقُوا دينهم وكانوا شِيعًا من هم "؟ قلت : الله و رسوله أعلم .قال : " هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة "، يا عائشة إن لكل ذنب توبة ، ما خلا أصحابُ الأهواء و البدع ليس لهم توبة ، و أنا بريءٌ منهم وهم مني بُرَاءُ »
ومنها قوله تعالى:﴿ولا تكونُوا من من الّذين فرّقوا دينهم و كانوا شِيَعًا كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرِحُون ﴾ الروم /آ31-32	عقلية +حالية	قُرِئَ " فارَقُوا دينهم " وفسر عن أبي هريرة أنهم الخوارج ورواهُ أبُو أُمامَة مرفوعًا . وقيل هم أصحابُ الأهواء و البدع قالوا: روتهُ عائشة –رضي الله عنها– مرفوعًا إلى النبي (ص)، وذلك لأن هذا شأن من ابتدع حسبما قاله إسماعيل القاضي وكما تقدمَ في الآيات الآخر.

ومنها قوله تعالى:﴿قُل هو القادر على أن يبعثَ عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحتِ أرجُلِكُم أو يلبسَكُم شِيَعًا و يُذِيقَ بعضكم بأسَ بعضٍ ﴾الأنعام / آ 65.	مقالية	فعن ابن عباس " أن لبسكم شِيعاً " هو الأهواء المختلفة ، ويكون على هذا قوله :" ويُذِيقَ بعضكم بأسَ بعضٍ " تكفير البعض للبعض حتّى يتقاتلُوا كما جرى للخوارج حين خرجُوا على أهل السنة و الجماعة ، وقيل معنى " أو يلبسكم شِيعًا "، ما فيه إلباسُ من الاختلاف .

*و من هنا، نقول بأن البنية التركيبية للخطاب عند الإمام الشاطبي (ت 790هـ) تنطلقُ من: ← التركيب + الدلالة .
← ومن الخاص إلى العام .

⇐ وبحسب القراءة الشكلية لمستوى (معنى) الخطاب السالف الذكر (سياق المقام وسياق التخاطُب) ← أي المتكلم (الخطاب) - يؤدي ←إلى انسجام التركيب واتساقهِ

- و مع ← حيثيات المتلقي نصلُ لتأويلِ دلالة الخطاب - ومنهُ ← رؤية الشاطبي لطبيعة الخطاب الشرعي و إجراءاته - مع ← تبيان السِمات التمييزية لهذا الخطاب .

*ومنهُ، فإن« هذه الأمثلة تُشعِرُ إشعاراً ظاهرًا بأن الإمام لم ينظر إلى الكلام نظرة مجردة عن مُلابسات تلفُظهِ ؛ بل حرِصَ كل الحرص على أن يربطهُ بالعناصر السياقية المقالية والمقامية الّتي أطرتهُ ؛ الأمر الذي يترتّبُ عليه وعيهُ بضرورة اعتبار العناصر الخارج لسانية لنجاح الفعل التواصُلي ، وهذا ما يفسِّرُ نقدهُ للنُحاة الذين يكتفون بالمعاني الحرفية للكلام و يهملون ما عداها من عناصر مكونة للمعنى .»[1]، وبالتالي، فللمقام دورٌ كبير في فهم الرسالة وتحديد المعنى الإجمالي للنص، خاصةً بعد الإلمام بكُل جوانبهِ من زمكان

(1)- نصيرة محمد غماري : النظرية التداولية عند الأصوليين (دراسة في تفسير الرازي ت544-606هـ)، د ط،عالم الكتب الحديث ، اربد-الأردن ، 2014، ص253.

والموضوع، ومرسل، ومرسل إليه... وتكون اللّغة هنا فعلاً محققة للتفاعُل والتواصُل معًا.

* **لُغة الشاطبي من خلال مستويات اللّغة:** تعدُ اللّغة من أهم المناحي والوُجهات الّتي تُسْتَنَدُ عليها لُغة الخطاب و تمثُلاَتهِ ، فالفصل بين المستويات اللّغوية يُؤتَى بهِ لغرض التحليل والدراسة ، حيثُ تعمدُ اللسانيات عند دراستها الظاهرة اللُّغوية إلى تبسيطها ؛ لأنها ظاهرة شديدة التعقيد ، فتتفاعلُ مستوياتها جميعًا في آنٍ واحد عند الكلام ؛ و لذلك تقسم الدراسة اللسانية اللّغة إلى مستويات هي: " المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي ، المستوى التركيبي (النحوي) " ، حيث تنتظمُ هاتهِ المستويات كلها في منظُومةٍ واحدة ، تُؤدي في نهاية المطاف إلى المعنى المنشود من التركيب ، فمستويات اللّغة نسيجٌ متكامل يؤدي إلى ظهور المستوى الدلالي الّذي هو المنحى الأساسي من الكلاّم المعبّر عنه ؛ إذ تعكفُ دراستنا هذه إلى تبيان لُغة الإمام الشاطبي –رحمه الله– من خلال مستويات التحليل اللّغوي الأربعة ، ومنه يتضمنُ بحثنا هذا جملة من النقاط التالية :

أ/ **المستوى الصوتي:** وفيه سنتحدث عن البنية الصوتية العربيّة لكتاب الاعتصام ، مع النظر إلى كيفية استخدامها ، ومدى التزامها من ناحية التمايُز ، والصفات ، والصوائت و الصوامت ، والمقطع ، و الفونيمات و مخارجهما ، و المونيمات .

ب/**المستوى الصرفي:** يعتمدُ على النظر في أبنية الكلمات و طريقة دراستها ؛ بُغية معرفة أصلها و أفرادها و جمعها ، مع الحديث عن المورفيمات ، وسياق الكلاّم ، وجوانب الوزن والشكل والصيّاغة ، وما يلابسُ الصيّغ من الاسمية و الفعلية ...

ج/**المستوى التركيبي:** وفيه تتمُ دراسة أنماط التركيب لكتاب الاعتصام ، كالجمل الاسمية و الفعلية و النظر في غلبة كل منهما ، بالإضافة إلى صفات الجمل و علاقات الإسناد ...

د/ **المستوى الدلالي:** يندرجُ على معرفة دلالة الألفاظ ، و استخدامها الاصطلاحي (القاموسي) ، وكذا معرفة الدلالات الإبلاغيّة و مقاصدها و تركيبها .

ومن هنا، سوف نعرضُ أهم ملامح التفكير اللّغوي وجوانبهُ لدى الإمام الشاطبي –رحمه الله– بالتحليل و الدراسة من ناحية:

أولاً/ الجانب الصوتي : يعني أن الصوت هو أصغر وحدة يمكنُ أن ينتهي إليها تحليل مكونات الخطاب اللّغوي ؛ إذ نحلل الجملة إلى كلمات ، ثم نحلل الكلمة إلى أصوات للتفريق بين المعاني، و لنوضح ذلك بالمثال الآتي:« وفي معجم البغوي عن مجاهد قال :" دخلتُ أنا و أبو يحي بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب رسول الله (ص) قال : ذكرُوا عند رسول الله (ص) مولاة لبني عبد المطلب فقالوا : إنها قَامَتْ اللّيل و صَامَتْ النهار..»[1] . والفرقُ بين الكلمتين هو وجود القاف في الأولى والصاد في الثانية، وقد نتج عن هذا التغيير الصوتي تغييرًا في المعنى ف : القاف و الصاد : صوتان متمايزان في لغتنا العربيّة كما نلاحظُ أن البُنَى الصوتية المنطوق بها في ثنايا كتاب الاعتصام على الأغلب كلها مفتوحة بشكلٍ لا نلاحظُ فيه أي اعتراضٍ لمجرى الهواء ، فهذه الفونيمات هي صوائت (في العربية : الألف و الواو و الياء الّتي للمد) ، وهذا ما وردَ في المثال التالي :« فقد قَالَ الفضِيلُ بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة لم يُعطِ الحكمة ، و قِيْلَ : لإبراهيم بن أدهم : إن الله يَقُوْلُ في كتابه :" أدعوني أستجب لكم " **[غافر /60]**»[2] ، إذن فالفتحة و الضمة و الكسرة تسمى " صوائت قصيرة " ، لأن الصوائت المذكورة أعلاه أطولُ نفسًا من حيثُ مدة النطق ، أما باقي الصوائت فهي عبارة عن "صوائت طويلة " .

وبالتالي، إذا ما اعترضَ الهواء الخارج من الرئتين عند عملية الكلاّم تضييق أو إغلاق تام في إحدى نقاط جهاز النطق نسمي هذا الفونيم " صامتًا " .

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص55.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص64.(المصدر نفسه)

أما عن مخارج الفونيمات وصفاتها الّتي وردت في كتاب الاعتصام ، نصنفها على الشكل التالي:

1/**المخارج:** وهي نقطة صدور الفونيم في جهاز النطق ، و سنحددُ ذلك وفق مدونة الدراسة كمايلي :

أ-**المخرج الشفوي**:مثل:«قال تعالى:" و لا تتَّبِعُوا السُّبلَ فتفرّقَ بكمْ عن سبيله"[الأنعام: 153] ، فجعل طريق الحق واضحا مُستقيما و نهى عن البُنيَّاتْ ، و الوَاضِح من الطرق والبنيَّات ، كل ذلك مَعلوم بالعوَائد الجارية ، فإذا وقع التشبيه بها بطريق الحق مع البُنيَّات في الشرع فواضح أيضا ، فمن ترك الواضح واتبَعَ غيرهُ ، فهو مُتبع لهواء لا للشرع »[1]

حيث تم تقريب المسافة بين الشفتين أثناء النطق أو إغلاقهما لتصدر لنا فونيمات : "الباء والميم والواو"

ب-**المخرج الشفوي الأسناني** : مثل : « قول النبي (ص) :" حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ النّاس رؤساء جهالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتُوا بغير علمٍ " ، لأنّهم أقامُوا أنفُسهم مقامَ المستنبط للأحكام الشرعية المقتدى به فيها»[2] ، وهنا تم التقاء الشفة السُفلى بأسنان الفك العُلوي وينتج لنا فونيم "الفاء".

ج-**المخرج الأسناني**:مثل : «" و أما الداعي إذا دعَا إليها فمظَنةُ الاقتداء أقوى و أظهر ولا سيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب ، إذَا أخذَ في الترغيب و الترهيب " "وحملوهم عليها طوعًا أو كرهًا ، حتّى عمَ داؤُها في النّاس ، وثَبتتْ زمانًا طويلاً ، ثُم ذَهبَ منها جملة و بقيتْ أخرى إلى اليوم ، ولعلَ الزمان يتسِعُ إلى ذِكر جملة منها في أثناءِ الكتاب بحول الله"»[3] ، إذ يتمُ بالتقاء طرف اللسان بالأسنان العليا وتنتج لنا فونيمات : "الثاء والضاد والذال" .

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام،ج1-2، ص99.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص109.(المصدر نفسه)

(3)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص112-113.(المصدر نفسه)

د-**المخرج الأسناني اللثوي** : مثل :« قال : أحمد بن يحي ثعلبًا (؟) : قال: كان أحدُ الأئمة في الدِّين يعيبُ النحو ويقول : أول تَعلُمهِ شغل ، و آخره يزدَرِي العالم به النّاسَ ،فقرأ يومًا :" إنّما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ "[فاطر :28] برفع الله ونصب العلماء فقيل له: كفرتَ من حيثُ لا تَعلم : تَجعل الله يخشى العلماء ؟ فقال : لا طَعنت (؟) عن علم يدُلُ إلى معرفة هذا أبدًا»[1] ، فقد وقعَ اتصال في مقدمة اللسان باللثة و طرفهِ بالأسنان لينتج لنا فونيمات " الدال و التاء و السين والطاد".

هـ-**المخرج اللثوي**: مثل:« وقال إبراهيم الخواص –رحمه الله–: دخلْتُ خِرْبةً في بعض الأسفار في طريق مكة باللّيل فإذا فيها سبعٌ عظيمٌ فخِفْتُ، فهتفَ بي هاتف: أثبت فإنَّ حولك سبعونَ ألف ملك يحفظونَكَ»[2]. ومنه تم اتصال طرف اللسان باللثة وأنتج لنا فونيمات " الراء واللاّم والنون".

و-**المخرج الغاري**: مثل:« قال علي:"..فانظروا إلى تجَاسرهم على كتاب الله تعالى وسُنة نبيِّهِ (ص)! كل ذلك ترجيح لمذاهبهم على محض الحق، و أقربهم إلى هيبة الشَريعة من يتطلبُ بها المخرج فيتأول لها الواضحات، ويتبعُ المتشَابهات، وسيَأتي والجَميعُ داخلون تحت ذمها»[3]. فباتصال مقدم اللسان بالغار تصدرُ لنا فونيمات " الشين و الجيم والياء".

ز-**المخرج الطبقي**: مثل: « قال أبو الحسن القرافي : أيُ الماضيين من الصدر الأول حجة على من بعدهم ، ولم يكُونوا يلحنون الأشعار ولا ينغَمونها بأحسن ما يكون من النغَم إلا من وجه إرسال الشعر و اتصال القوافي ، فإن كَان صوت أحدهم أشجن من صاحبهِ كان ذلك مردودًا إلى أصل الخِلقة لا يتصنعون ولا يتكَلفون»[4] . وباتصال مُؤخر اللسان بالطبق تنتجُ لنا فونيمات " الكاف و الغين و الخاء".

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام،ج1-2، ص131.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص140.(المصدر نفسه)

(3)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص153.(المصدر نفسه)

(4)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص178.(المصدر نفسه)

ر-**المخرج اللّهوي**: مثل:« أن عامة المبتدعة قَائلة بالتحسين والتقْبيح، فهو عمدتهم الأولى و قَاعدتهم الّتي يبنون عليها الشرع، فهو المقَدم في نحلهم بحيث لا يتهمون العقل»[1]. وأثناء التقاء مؤخر اللسان باللهاة يصدر لنا فونيم "القاف" .

ي-**المخرج الحلقي**: مثل : «عن أنس –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله (ص) :"يا بني ، إن قدرتَ أن تُصبحَ و تُمسِي ليس في قلبك غش لأَحَد فافعَلْ ، ثم قال لي : يا بني وذلك من سنتي ، ومن أَحْيَا سنتي فقد أَحَبني ، ومن أحبني كان معِي في الجنة»[2] . وهذا يكون بتضييق الحلق ، ومنه تصدرُ لنا فونيمات " العين و الحاء".

م-**المخرج الحنجري**: مثل: « ويولون وجوهَهُم شطرَ الحق، فهُم على سيرة من تقدمَ، و إن يسمى ذلك بدعة باعتبارٍ ما؛ بل هِي سنة، وأَهْلُهَا متبعون للسنة، فهِي طريقة خاصة لأُناس»[3]. حيثُ ينتج لنا إقفال الوترين الصوتيين أو تضييقهما لينتج لنا فونيم " الهاء".

2/**الصفات**: للتمييز بين الفونيمات بالصفات الناتجة عن كل طريقة نطق كل منهما،لابُد من تحديد جُملة من الخصائص السمعية ، ومتبوعة بصفات الفونيمات العربيّة كالشدة والرخاوة ، الانحراف ، الغنة ، اللين ، القلقلة ، الانفتاح ..الخ ، ولنأْخُذ على سبيل المثال لا الحصر بالشرح و التحليل البعض من هاتهِ الصفات الّتي أكثر الإمام الشاطبي –رحمه الله– من استخدامها في كتاب الاعتصام ، والمتمثلة في الجدول التالي :

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص99.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص118.(المصدر نفسه)

(3)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص133.(المصدر نفسه)

الصفة	ثنائية	الحرف ومثالهُ من المدونة	التعليل	الملاحظات
الجهر / الهمس	+	-إذا تذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق بالفونيم فهو مجهور، أما إذا لم يتذبذبا فهو مهموس و الفونيم المهموس تجمع في قولنا :" فحثهُ شخص سكت "، أما البقية فمجهورة ك: ء/ق/ط. مثل:« و لذلك جاء في الحَديث أن رسُول الله (ص) رأى رجُلاً قَائِمًا في الشمس فقال:" ما بالُ هذا "؟ فقالوا: نذر أن لا يسْتظِل ولا يتكَلم ولا يجلس و يصُوم ،فقال: (ص)"مروهُ فليجلس وليتَكَلم وليستظل وليتم صِيامهُ "»[1]	-وهذا ما أدى إلى تطور في الفونيمات المجهورة ،الّتي أشبعت موضع النطق، ومنعت النفس من أن يجري معهُ حتّى ينقضي والاعتماد عليه يُعطي مجرًى للصوت أما الفونيمات المهموسة فهي ضعيفة نظرًا لمجرى النفس معها.	-أثناء توضيحنا لصفات الحروف اللاّزمة الّتي لها ضد سواءًا المعلن عنها في فونيم الجهر أو المخفي عنها في فونيم الهمس (ضد الجهر) ، لاحظنا انحباس في جريان النفس عند النُطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج ، كما لاحظنا جريان للنفس عند النطق بالحرف ، لضعف الاعتماد على المخرج .

التكرير	–	–صفة فونيم الراء لأن طرف اللسان يطرقُ اللثة طرقًا متكررًا عند نطقهِ مثل:« وخرّجَ سعيد بن منصورْ عن خضيرِ عن أبي مالك، قال:نزلتُ في عثمان بن مظغون و أصحابه ،كانوا حرَمُوا عليهم كثيرًا من الطعام و النساء و همَّ بعضهم أن يقطع ذكرَهُم فأنزل الله تعالى :" يا أيُّها الّذين آمنوا لا تحرِّموا " [المائدة : 87]»[2]	–نرى بأن حرف الراء هو مشدد و يجري فيه الصوت لتكريرهِ و انحرافهِ إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه.	–أثناء شرحنا لصفات الحروف اللاّزمة الّتي ليس لها ضد والمُعادة مرةً بعد أخرى و تسمى تكريرًا فيرتعِدُ طرف اللسان عند النطق بالحرف.

*و على أساس المعايير السالفة الذكر فإن أهم صوامت صنفها الإمام الشاطبي –رحمه الله– في كتاب الاعتصام تتمثلُ في:

1–الألف و الفتحة: أمامي +منفتح +غير مستدير.

2–الواو والضمة: خلفي + مُغلق +مستدير.

3–الياء والكسرة: أمامي +مُغلق+غير مستدير.

---

(1)-(2)–نقلا عن كتاب الاعتصام –مصدر سبق ذكره–، ص201–213.

3/**المقطع الصوتي**: بما أن الفونيم يمثل الوحدة الأساسية في الجانب الصوتي، لكن هذا لا يعني أننا نعبرُ مباشرة منهُ إلى الكلمة ؛ بل هناك وحدة صوتية أخرى هي " المقطع" وهو مجموعة من الفونيمات تحتوي على صائت واحد فقط ضمن نظام معين ، ويمثلُ هذا الصائت قمة المقطع ونواته ، ويكون لهُ جملة من الأشكال هي :

أ- **مقطع قصير**: ويتكون من صامت "ص" وحركة "ح"، مثل :"أ" ، والتعبير عنه مقطعيا يكون "ص.ح"

ب-**مقطع متوسط**: وهو ينقسمُ إلى مقطع متوسط مغلق ، وهو ما يكونُ آخرهُ "صامت" مثل:"قَدْ" ، وتعبيرهُ المقطعي " ص ح ص" ، ومقطع متوسط مفتوح : وهو ما يكون آخرهُ حركة مثل :"مَا " ، ويكون التعبير المقطعي عنه " ص ح ح" .

ج-**مقطع طويل**: وينتهي بصورتين :مقطع مُنتهٍ ب :" ح ص" مثل: "مِيْنْ " ، من كلمة " العالمين" ، ويكون التعبير المقطعي عنه " ص ح ح ص" ، ومقطع منته ب " ص ص" مثل : "خَوْفْ" ، ويكون التعبير المقطعي عنهُ " ص ح ص ص".

ومما سبق ذكره آنفًا حول أهمية المقاطع الصوتية في لُغتنا العربيّة ، سنأخذُ آية كريمة ونقم بتحليلها و تقطيعها صوتياً من مدونة الاعتصام للإمام الشاطبي -رحمه الله- مثل : « ولأنّ لفظ القرآن في قوله :" وَلَا اَلْضَّالِّيْنَ " [الفاتحة:7] يعمهم وغيرهم ، فكلُ من ضلَّ عن سواء السبيل داخل فيه»[1] .

فلفظة [ولا الضّالين] تقطع صوتيًا على الشكل التالي:

*وَ: ص ح /لَا: ص ح ح/ اَلْ: ص ح ص/ ضَّالْ: ص ح ص / لِيْنْ: ص ح ح ص.

*مقطع قصير+مقطع متوسط مفتوح + مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مغلق + مقطع طويل .

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي الاعتصام، ج1-2، ص96.(مصدر سبق ذكرهُ)

نخلصُ إلى أنّ الإمام الشاطبي قد أعطى قيمةً للدلالة الصوتية في مدونة الاعتصام والمستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى ، أدّى بذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى؛ وذلك بدراسة التغيرات الصوتية على تنوُعِهَا وتصنيفها ؛ لمعرفة نسق كل منها.

ثانيًا/ الجانب الصرفي: يختصُ بدراسة بنية الكلمة وينظرُ إليها من حيثُ وظائفها الشكلية لا معناها ؛ لأن المعنى يدرس ضمن المستوى الدلالي ، فقد اهتم اللُّغويون بمصطلح المورفيم "morphème" للدلالة على الوحدات الّتي يدرسها هذا المستوى من التحليل اللساني و لمزيدٍ من التوضيح نقدمُ التقسيمات التالية حسب أهل اللّغة ، وكيف وردت في مدونة الاعتصام للإمام الشاطبي –رحمه الله– على الشكل الآتي :

1–**كلمات تامة:** وهي الّتي نتوقعُ أن نجدها في المعجم مثل:«**النزاع، الحمام، الباب،الأجير ، الأجل ، الثمن ، الحصاد ، الجذاذ ، الأثمان ، شراء...**»[1]

2–**كلمات شكلية:** وهي الّتي تحملُ معنًى لا يظهرُ إلاّ داخل السلسلة الكلاميّة، فهي تحملُ معنًى قواعدي فقط مثل:«**لا، من، إن، إذا، هم، ما، في، أن، عن، أما، إلى...**»[2]

3–**وحدات ذات معنى معجمي و معنى نحوي:** مثل: «**أن ظاهرهُ يدلُ على أن ما رآهُ المسلمون حسنًا فهو حسن**»[3]

⟸ال + مسلم ⟵ وحدة ذات معنى معجمي ⟵ لكسيـــــم

+

و ن ⟵ وحدة ذات معنى صرفي ⟵ مورفيـــــم

وبالتالي، فالمورفيم يمثلُ أصغر وحدة لُغوية تحملُ وظيفة نحوية أو صرفية ، ومن أمثلتهِ

---

(1)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص328.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)– (3)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص332.333(المصدر نفسه)

في العربيّة حروف المعاني و المباني "كحروف العطف و حروف الجر وأدوات التوكيد و النفي و غيرها و أدوات التعريف و التأنيث..."

و للمورفيم أنواع، ويردُ حسبَ وقوعهِ في السلسلة الكلاميّة، أوحسب ورُودهِ في السياق أو من حيثُ الكمية ، وقد لاحظنا بأن الإمام الشاطبي قد اهتم بالمورفيم حسب وقوعهِ في سياق الكلام في مدونة الاعتصام ، ولنأخذ مثالاً على ذلك على النحو الآتي :

أ-**مورفيم حر**: لا يكون متصلاً باللكسيم كتابةً ونُطقًا ، كالضمائر المنفصلة مثل:«**إذا سرتك حسناتك وساءتك سيئاتك فأنت مؤمن**»[1] ، أو بعض حروف الجر مثل : «**إذا حاك شيءٌ في صدرك فدعه**»[2].

ب-**مورفيم مقيد** :عكس الحر ويرتبط باللكسيم ، كالضمائر المتصلة مثل :«**استفتَ قلبك و إن أفتوك**»[3] ، أو بعض حروف الجر مثل :«**والحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُ الصالحات**»[4]

ومن هنا، يتمُ النظر إلى الجانب التصريفي من حيثُ أبنية الكلمات، ويتم دراستها لمعرفة أصلها و أفرادها و جمعها مثل كلمة " فقهيات " ، الّتي أفردها الإمام الشاطبي –رحمه الله– في الفقرة التالية :« فانظر كيف اجتمعَ في الشيء الواحد كونهُ عبادة ومنهيًا عنهُ ، لكن باعتبارين ونظيرهُ في الفِقْهِيَاتْ ؛ما يقولهُ جماعة من المحققين في البيع بعد نداء الجمعة فإنه نهي عنه لا من جهة كونهِ بيعًا ، بل من جهة كونهِ مانِعًا من حضور الجمعة فيجيزون البيع بعد الوقوع ، ويجعلونهُ فاسدًا ، و إن وجد التصريح بالنهي فيه ، للعلم بأن النهي ليس براجع إلى نفس البيع ؛ بل إلى أمر يجاورهُ ، ولذلك يعلل جماعة ممن يقول بفسخ البيع ،لأنه زجر للمتبايعين لا لأجل النهي عنه ، فليس عند هؤلاء ببيع فاسد أيضا ولا النهي راجع إلى نفس البيع»[5] .

* وعليه، سيتمُ دراسة أصل كلمة " فقهيات" في الجدول الآتي :

---

(1)-(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص333.(مصدر سبق ذكرهُ)

(3)-(4)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص339.(المصدر نفسه)

(5)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص209.(المصدر نفسه)

الكلمة	أصلها	إفرادها	جمعها
الفقهُ/ فقهيات	«الفقهُ: هو في اللّغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعيّة العمليّة من أدلتها التفصيليّة، وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفيّ الّذي يتعلقُ به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاجُ فيه إلى النظر و التأمل ولهذا لا يجوزُ أن يسمىّ الله تعالى فقيهًا لأنهُ لا يخفى عليه شيء»[1]	« فِقهْ: الفقهُ: العلمُ في الدّين يقال: فَقُهَ الرّجل يفقهُ فِقهًا فهو فقِيهٌ ،وفقِهَ يَفقَهُ فِقْهًا إذا فَهِمَ و أفْقَهتهُ: بيَّنتُ لهُ والتَّفقهُ: تعَلُّمُ الفِقْهِ »[2]	« وفقِهَ فِقهًا: بمعنى عَلِمَ عِلمًا...وقد فَقُهَ فقَاهةً وهو فَقِيهٌ من قومٍ فُقهَاءَ...و رجُلٌ فَقُهٌ : فَقِيهٌ ، والأنثى فَقُهَةٌ ويُقال : للشاهدِ : كيف فقَاهَتُكَ لِمَا أَشهَدْنَاكَ ، ولا يُقالُ في غير ذلك ...وأمَّا فَقُهَ ، بضم القاف فإنّما يُستعمل في النعوت يقال: رجلٌ فَقِيهٌ ، وقد فَقُهَ يَفقَهُ فقَاهَةً ، إذا صارَ فَقِيهًا وسادَ الفُقهَاء»[3]

(1)- محمد الشريف الجرجاني : كتاب التعريفات ، ط1، مكتبة لبنان ، بيروت-لبنان ، 1985، ص175.

(2)- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تر و تح : عبد الحميد هنداوي : ج 3، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م، ص 334.(مادة:فقه)

(3)- ابن منظور : لسان العرب ،-مصدر سبق ذكره-، ص 3450.(مادة: فقه)

*أما من ناحية تصريف كلمة " فقه" سيكون على الشكل الآتي:

فَقِهَ	فعل ثلاثي مجرد ومعناه فَقِهَ علمًا ، أو فَهِمَ ، وهو لِمُطلَقِ الفَهم.							
تصريفه			المذكر				المؤنث	
		الزمن	مفرد	مثنى	جمع	مفرد	مثنى	جمع
1/الأفعال المبنية للمعلوم	الماضي	الغائب	فَقِهَ	فَقِهَا	فَقِهُوا	فَقِهَتْ	فَقِهَتَا	فَقِهْنَ
		المخاطب	فَقِهْتَ	فَقِهْتُمَا	فَقِهْتُمْ	فَقِهْتِ	فَقِهْتُمَا	فَقِهْتُنَ
		المتكلم	فَقِهْتُ	فَقِهْنَا	فَقِهْنَا	فَقِهْتُ	فَقِهْنَا	فَقِهْنَا
	المضارع	الغائب	يَفْقَهُ	يَفْقَهَانِ/يَفْقَهَا	يَفْقَهُونَ/يَفْقَهُوا	تَفْقَهُ	تَفْقَهَانِ /تَفْقَهَا	يَفْقَهْنَ
		المخاطب	تَفْقَهُ	تَفْقَهَانِ/تَفْقَهَا	تَفْقَهُونَ/تَفْقَهُوا	تَفْقَهِيْنَ/تَفْقَهِي	تَفْقَهَانِ/تَفْقَهَا	تَفْقَهْنَ
		المتكلم	أَفْقَهُ	نَفْقَهُ	نَفْقَهُ	أَفْقَهُ	نَفْقَهُ	نَفْقَهُ
		الأمر	أَفْقَهْ	اَفْقَهَا	اَفْقَهُوا	اَفْقَهِي	اَفْقَهَا	اَفْقَهْنَ
	الماضي	الغائب	فُقِهَ	فُقِهَا	فُقِهُوا	فُقِهَتْ	فُقِهَتَا	فُقِهِنَ
2/الأفعال المبنية للمجهول	الماضي	المخاطب	فُقِهْتَ	فُقِهْتُمَا	فُقِهْتُمْ	فُقِهْتِ	فَقَهْتُمَا	فُقِهْتُنَ
		المتكلم	فُقِهْتُ	فُقِهْنَا	فُقِهْنَا	فُقِهْتُ	فُقِهْنَا	فُقِهْنَا
	المضارع	الغائب	يُفْقَهُ	يُفْقَهَانِ/يُفْقَهَا	يُفْقَهُونَ/يُفْقَهُوا	تُفْقَهُ	تُفْقَهَانِ/تُفْقَهَا	يُفْقَهْنَ
		المخاطب	تُفْقَهُ	تُفْقَهَانِ/تُفْقَهَا	تُفْقَهُونَ/تُفْقَهُوا	تُفْقَهِينَ/تُفْقَهِي	تُفْقَهَانِ/تُفْقَهَا	تُفْقَهْنَ
		المتكلم	أُفْقَهُ	نُفْقَهُ	نُفْقَهُ	أُفْقَهُ	نُفْقَهُ	نُفْقَهُ

الأسماء المشتقة								
تصريفها	المذكر				المؤنث			
1/اسم الفاعل	مفرد	مثنى	جمع سالم	جمع تكسير	مفرد	مثنى	جمع سالم	جمع تكسير
	فَقِهْ	فَاقِهَانِ/فَاقِهَيْنِ	فَاقِهُوْنَ /فَاقِهِينْ	/	فَاقِهَة	فَاقِهَتَانْ /فَاقِهَتَيْنِ	فَاقِهَاتْ	/
2/ اسم المفعول	مَفْقُوهْ	مَفْقُوهَانِ /مَفْقُوهَيْنْ	مَفْقُوهُونْ/مَفْقُوهِينْ	/	مَفْقُوهَةٌ	مَفْقُوهَتَانْ / مَفْقُوهَتَيْنِ	مَفْقُوهَاتْ	/

وهكذا، نرى بأن كلمة "الفقه "اسم مذكر لا يُجمع في الأسماء المشتقة ولهُ ثلاث معانٍ هي:

1-الفهم العميق و الفِطنَةُ والحذقِ في العلم.

2-العلم بالشيء وفهمهِ و التبحُر فيه .

3-"علمُ الفقه ": هو علم مختص بفهم الدين الإسلامي فهمًا عميقًا و العلمُ بالأحكام العملية ، والوقوف على المعاني الخفيّة ممّا يتيحُ للفقيه اِستنباط الرأي والاِجتهاد فيما يحتاجُ فيه إلى النظر و التأمل .

إذا فقد أعطى الإمام الشاطبي –رحمه الله– قيمةً للدلالة الصرفية في مدونة الاعتصام،عن طريق صون اللسان من الوقوع في الخطأ أثناء صياغة الجمل والمفردات و النطق بها، مع معرفة القواعد الكُليّة والضوابط الجامعة للُّغة المدروسة معجميًا ونحويًا، وكذا توضيح أشكال الكلمات ومعانيها والتمييز في أصولها أو زيادتها في الدلالات اللّفظية ، وغيره من القيّم الصرفية الّتي تُبنى عليها إيحاءات الكلِم العربي .

ثالثًا/الجانب التركيبي: ويختصُ بالدراسة الوصفية العلمية ، الّتي تقومُ على وصف الواقع اللُّغوي لاستنباط خصائص التراكيب في لُغةٍ ما ، وكما أن الفونيم هو الوحدة الأساس في المستوى الصوتي ، و المورفيم وحدة المستوى الصرفي الأساس ، فإن الوحدة الأساس في هذا الجانب هي " الجملة"، كونها أعم من الكلاّم وهي نوعان اسمية و فعلية ، ومنه فإننا سنقم بدراسة و تحليل هاتهِ الجمل على سبيل المثال لا الحصر في مدونة الاعتصام للإمام الشاطبي ، وتوضيحاً لهذه الإجراءات السالفة الذكر ، نعرضُ نموذجاً عمَلِيًّا في المثال الآتي:« **وكان مالك كثيرًا ما ينشدُ :**

-و خيرُ أمُورِ الدين ما كان سنة ** وشرُ الأُمُورِ المحدثـــــــاتِ البدائِـــعُ»[1]

1-**المعنى التحليلي:** ومقامُ الإنشاد لهذا البيت إذًا أنهُ من قصيدة للإمام مالك -رحمه الله- في رؤيتهِ للبدع كونها أخطر على العبد من ارتكاب الكبائر، و إن كان كلٌ منهما شرٌ على دين المرء ، وقد حذّرَ الإمام الدعاة الّذين ينفقون أوقاتهم في التحذير من المعاصي من دون التعريج على البدع ، وهو في هذا -رحمه الله- يعتبرُ بأن الكبائر أهون في الوقوع فيها من البدع ، غير أن كل منها شر و العياذُ بالله ؛ وذلك أن الله قد يغفر للعبد ما بينهُ وبين ربه إلاّ أن أمر البدعة يتعدى ذلك ليُضِلَ آخرين عن الطريق السَوِي المستقيم ، فالإمام مالك شغوفًا بالمبالغة و البيان، يطلب التحذير و البراءة من مُخالِفِي أهل السنة و الجماعة ولاشك أن هذا الطلب وذاك الشغف يُساعدان على فهم المرامي القريبة والبعيدة .

2-**التحليل الإعرابي:** ويتمثل في:

-**الواو:** ابتدائية مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب.

-**خيرُ:** مبتدأ مرفوع و علامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره وهو مضاف .

-**أمُورِ:** مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره.

-**الدينِ:** مضاف إليه ثان مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره.

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام،ج1-2، ص61.(مصدر سبق ذكرهُ)

-**مَا**: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر للمبتدأ " خَيْرُ، واسمها ضمير مستتر تقديرهُ هو.

-**كانَ**:فعل ماض ناقص مبني على الفتح ، واسمها ضمير مستتر تقديرهُ هو.

-**سُنةً**: خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة في آخرهِ .

-**الواو**: حرف عطف.

-**شرُ**: مبتدأ مرفوع و علامة الضمة الظاهرة في آخره وهو مضاف .

-**الأمُورِ**: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة في آخره.

-**المُحدثاتِ**: صفة مجرورة وعلامةُ جرها الكسرة لأنها جمع المؤنث السالم.

-**البدَائِعُ**: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره للمبتدأ شرُ.

⟸ و جملة " وخيرُ أمورِ الدين" جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

و جملة " و شرُ الأمورِ المحدثاتِ" جملة معطوفة ، والصدرُ معطوفًا عن العجز.

*والجملة ككل هي عبارة عن جملة اسمية متكونة من الابتداء والعطف.

* أما معاني الأدوات يرد بهذا الشكل : [الواو: استئنافية ،تعرب حسب ما قبلها / الدين: أل: عهدية ذهنية / سُنةً: التنوين للضرورة الشعرية / الواو الثانية : معطوفة عن العجز /الأمورِ: المحدثات : البدائع : أل : العهدية الذهنية كذلك]

وتأسيسا على ما سبق، نرى بأن الإمام الشاطبي –رحمه الله – قد أولى عنايةً خاصة بالجانب النحوي، وكما رأينا في المثال السابق الذكر، أنه نوع من استخدامه للجمل من اسمية و ابتدائية و معطوفة مع تبيان معاني أدواتها ، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدلُ على لُغة الإمام النحوية للجملة العربيّة وبالأخص " الإسناد "، فالمستوى التركيبي يهتمُ بدراسة نظام بناء الجملة ودور كل جزء في هذا البناء ، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض وأثرُ كل جزء في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية لا غير .

رابعًا/الجانب الدلالي : و يختصُ بالسبُل المؤدية للأحكام ، ثم النظر إليها من ناحية

الألفاظ وعلاقتها بمعانيها في حالة إفرادها و تركيبها ، والبحث عن أوجُه الأدلة وارتباطها بمدلولاتها ، مع الإلمام بالمقتضيات العامة للخطاب ، والوقوف على مقاصدهِ وسياقاتهِ الشيء الّذي مكن الإمام الشاطبي –رحمه الله– في مدونة الاعتصام الإسهام بألفاظ وتراكيب لها استخداماتُها الاصطلاحية (القاموسية) ، ودلالاتُها الإبلاغيّة "المقاصدية" فهو يستقرئ ويرصدُ مواطنها ، ويتتبعُ صيغها و مساقاتها و سنعرضُ أمثلة على ذلك بالإجمال لا بالتفصيل ، وكيفية تعامُلهِ مع المادة الدلالية ، وأخذها بأوسع معانيها وأشملها وقسمها إلى:

أ– **وضعية**: وهو جعل اللفظ على المعنى بأن يكون من الأوضاع العربيّة.

ب– **عقلية**: تختص بإفادة كلام المتكلم وراء ذلك الموضع المراد الحديث عنه.

ج–**عرضية**: يُؤتى به للدلالة والإخبار على شيءٍ ما دون إفادة.

*ومن المعلوم أن الدلالة عمومًا تُؤخذ من الألفاظ منطوقها ومفهومها، ومن العلل الكلية وتفاريق الأمارات الجزئية .

أمثلة: 1/ « **فقوله (ص)** :" يحسبون أنه لهم" واضحٌ فيما قلنا ، ثم إنهم يطلبون إتباعه بتلك الأعمال ليكونوا من أهله ، وليكون حجة لهم ،فحين سرفوا تأويله وخرجوا عن الجادة كان عليهم لا لهم»[1] ، فقوله –عليه الصلاة والسلام– " يحسبون أنه لهم " ، وضع للإخبار والإعلام عن اعتبارهم وظنهم بأن الرسول (ص) منهم و إليهم بإتباع أعمالهم ، ودلالتهُ على ذلك "وضعية" .

2/«وفي معنى ذلك من قول ابن مسعود قال:" وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذُوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتعمُق عليكم بالعتيق" فقوله: " يزعمون كذا "، دليلٌ على أنهم على الشرع فيما يزعمون»[2]، ومنه فإننا نجدُ في قول ابن مسعود إفادة للمتكلم إزاء المعنى الّذي أراد إيصاله لذهن القارئ بكل حكمةٍ ورويّة وعقلٍ راجح وفي هذا الموضع نجدُ إفادة (دلالة) "عقلية" لا يتكلمُ فيها سوى أهل الحكمة و التجربة المسبقة .

---

(1)–(2)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص363.(مصدر سبق ذكرهُ)

3/« قال أبي هريرة–رضي الله عنه– أن رسول الله (ص) خرج إلى المقبرة فقال:" السلام عليكم دار قوم مؤمنين ! وإنا إن شاء الله لاحقون ، وددتُ أني قد رأيتُ إخواننا ،قالوا : يا رسول الله (ص) ألسنا إخوانك ؟ فقال:بل أنتم أصحابي و إخواننا الذين لم يأتوا بعد ، و أنا فرطكم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك ؟ قال : أرأيت لو كان لأحدكم خيل غير محجلة في خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : فإنّهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من الوضوء ، و أنا فرطهم على الحوض ، فليذادن رجال عن حوضي كما يُذادُ البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ألا هلم ! فيقال قد بدلوا بعدك فأقول: فسُحقًا فسُحقًا فسُحقًا " ، فوجهُ الدليل من الحديث أن قوله:" فليذادن رجالٌ عن حوضي"، إلى قوله :" أناديهم ألا هلم "، مشعر بأنهم من أُمتهِ و أنه عرفهم ، وقد بين أنهم بالغرر و التحجيل ، فدلَ على أن هؤلاء الّذين دعاهم و قد كانُوا بدلُوا ذوُو غرر و تحجيل ، وذلك من خاصية هذه الأمة فبان أنهم معدودون من الأمة ولو حكم لهم بالخروج من الأمة لم يعرفهم رسول الله (ص) بغرة أو تحجيل لعدمهِ عندهم»[1]

من هنا، نرى بأنّ كلام الرسول (ص) فيه إفادة ، لكنها إفادة غير وضعية إذا لم يوضع لأن يدُل عليها ولا يفيدُها ، وإنّما وُضِعَ للإخبار عن دعوة الرسول (ص) للأمة و التفريق بين أصنافها فإفادتهُ أن لأمتهِ ملذات و شهوات دنيوية ولا يسعون للعمل لأجل الآخرة هي دلالة "عرضية" لا وضعية فلم يكن كلامًا من جهتهِ.

ومما سبق ذكره، نرى بأن الإمام الشاطبي –رحمه الله– قد نوع في استخدامهِ لدلالة الألفاظ والتراكيب في مدونة الاعتصام، من حيث هي ألفاظ دالة على معانٍ محددة **أحدها**: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيّدة دالة على معانٍ مُطلقة وهي " الدلالة الأصلية " (اللفظ و مدلولية العقل)، **وثانيها** : من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيّدة دالة على معانٍ خادمة وهي " الدلالة التابعة " (الوضع الأصلي للفظ و مقتضيات الخطاب).

(1)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص364.(مصدر سبق ذكرهُ)

إذا فقد أعطى الإمام الشاطبي قيمةً أيضا للجانب الدلالي في مدونة الاعتصام ، كونها خاصية كل لسان لها مقصديتها واصطلاحاتها الخاصة بها ، كما تبوأت لغتنا مكانة خاصة في تلك الخصوصية ، حيثُ بات على الناظر في الألفاظ والمعاني استحضار تلك التوابع فهذه نظرة إجمالية عن المستوى الدلالي و أقسامهِ عند الشاطبي، ونظرًا لارتباط الدليل بها من حيثُ أنهُ يمثلُ طرفًا أساسًا فيها لأهمية اللفظ وصلتهِ بالمعنى ، متبُوعًا بالكشف عن حقيقة المعنى في اللغات الإنسانية ، القوانين اللّغوية الّتي تساعدُ على معرفة العلاقات ،الّتي تربطُ بين أجزاء المعنى و المعاني الضمنية داخل سياق النص ومقامهِ.

2-2/**الدراسة التداولية للأفعال الإنجازية في الخطاب الدّيني الدعَوِّي** : قبل الخوض في تبيان أهم الأفعال في الخطاب الدّيني الدعوِّي و الوظيفي، يجدرُ بنا الحديث عن« الطريقة الجديدة الّتي تميَّزَ بها الشاطبي والّتي تكمنُ في أساسًا في اعتبار المقاصد مدخلاً أساسيًا لتحليل الخطاب ، وهذا ما يدفعُنا منذُ البداية إلى دائرة القراءة التداولية التي وسعها الأصوليون ، وفي مقدمتهم الشاطبي ، لقد شاءت الظروف التاريخية أن تُهمش هذه القراءة التداولية للخطاب الدّيني ، لصالح قراءات أخرى تدورُ في فلك الإعجاز والمجاز ...ومن هنا يمكنُ القول بأنّ العودة إلى دراسات الأصوليين للخطاب الديني، من شأنها أن تُبرز ذلك الوجه المشرق للخطاب البلاّغي العربي »[1] ، ومنه، فإن تحديد مقاصد الخطاب لا يمكنُ أن تتم دون استحضار كل الشروط المقامية المتعلقة بالمتلقي ، حيث تُضاف إلى مراعاة الإفهام مراعاة كل ما يتعلق بالحكم الشرعي « **ومن المسائل الّتي أبدى فيها الشاطبي و أعاد في كتابهِ (الموافقات) ضرورة مراعاة أفهام المخاطبين وهي مسألة كثيرًا ما نبهَ عليها الأصوليون ، لما يترتبُ عنها من آثار عملية ، ومن قوة حجاجية تُؤدي إلى الإقناع وأول مسألة تطفُو على السطح هي مسألة اللُّغة ، الّتي تعتبرُ عِمَاد الحجاج ، إن لم تكن الطريق الوحيد لتحقيقهِ** »[2]

وليس الغرض هنا هو إثبات قيام نظرية للفعل الكلامي لدى الأصوليين، وفي مقدمتهم الشاطبي، وإنّما إبراز سبقهِم للتداوليين المُحدَثِين أمثال "أوستن و سورل " ، حين قالوا بأن الأفعال متضمنة في الأقوال ، وبأنّ قول شيءٍ ما هو فعلُ شيءٍ ما ، وكان الجابري قد نوهَ بأن القارئ « للمرة الأولى الّتي يتعرفُ فيها على الشاطبي ، فإننا لا نشكُ أنه سيهتزُ دهشةً وتعجُبًا ، لأنه سيقرأ في خطاب الشاطبي نفس المعاني التي يقرأها في خطاب فلاسفة العلم المعاصرين. »[3] ، ولكن «ليس هذا هو الغرض ، و إنما سنسعى إلى تقرير حقيقة ثابتة وهي أن اكتمال الخطاب الديني ؛ بل حقيقتهُ وجوهرهُ ، إنّما يكون تحققاته على مستوى أفعال

---

(1)-(2)- محمد مشبال : بلاّغة الخطاب الديني (أعمال مهداة للدكتور محمد الولي)، ط 1، دار الأمان،الرباط – المغرب ، 1436-2015، ص123.116.115.

(3)- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظُم المعرفة في الثقافة العربية)، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، 2009، ص 539.

المُخَاطبِين و المكلفين، ولا شك أن استحضار الفعل هو مطلب عام للخِطَابِيَة، الّتي تحتكِمُ إلى المستمعات (Auditoires) وحثهم على الفعل الناتج عن الإقناع»[1]

إذن، فبعد أن تعرفنا على أهم الأفعال المساهمة في تداعِيّات الخطاب الديني ، وجبَ علينا أن نعرف ما هو الفعل الإنجازي ؟ وما هي أهم تصنيفاتهِ ؟ و بنوعٍ من الاختصار سوف نحاولُ الإجابة عن هذين السؤالين مُحاولين التمثيل لكُل ما يُذكر من الأفعال الإنجازية من مختلف الفعل الإنجازي الديني الّتي تحتويها مُدونتنا أو يحتويها المحيط الديني بصفةٍ عامة وهكذا يعدُ الفعل الإنجازي « **نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسلُ أفعالاً قولية (Actes Locutoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illwtoires) كالطلب و الأمر و الوعد والوعيد ...الخ و غايات تأثيرية (Actes Perlocutoires) تخصُّ ردود فعل المتلقي "كالرفض و القبول "**.»[2]

الأمثلة:« 1/ وفي الصحيح قوله (ص) " فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذِ، وإياكُم و محدثات الأمور " ⟵(طلب)

2/ أن ما سنهُ الخلفاء الراشدون لا حق بسُنة رسول الله (ص)، لأن ما سنُوه لا يعدُو أحد أمرين : إما أن يكون مقصُودًا بدليل شرعي فذلك سُنة لا بدعة ، وإما بغيرِ دليل – ومعاذ الله من ذلك – و لكن هذا الحديث دليل على إثباتهِ سنة ، إذ قد أثبتهُ كذلك صاحبُ الشريعة (ص) ⟵(أمر وتنفيذ)

3/ و دليلهُ من الشرع ثابت فليس ببدعة، ولذلك أردف أتباعهم بالنهي عن البدع بإطلاق، ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقعَ في الحديث التدافُع ⟵(نهي وتباين) »[3]

---

(1)– محمد مشبال : بلاّغة الخطاب الديني (أعمال مهداة للدكتور محمد الولي)، ص136.(مرجع سبق ذكره)

(2)– مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي)، ص40.(مرجع سبق ذكره)

(3)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص123.(مصدر سبق ذكرهُ)

ومنه، فإن إنجاز أي فعل من أفعال اللّغة، يكون من خلاّل النُطق بجُملة أو عدة جُمل في سياقٍ مناسب لها، فالتلفُظ بالجملة التالية:" تنفيذ ما جاء في طلب الرسول (ص) وخطابهِ تعدُ أو تتدرجُ في إنجاز فعل الأمر "، فإنجازُ الفعل لا يكون بمعزلٍ عن سياقٍ معين اقتضتهُ مقصدية خطاب يومي أو رسالة كلاميّة موجهة لجمهور المتخاطبين والمتكلّمين ، و إنّما لهُ ارتباطٌ وثيق بالتواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، وهذا ما يؤكدُ هذا القول«اللّغة وقبل كل شيء تعتبرُ على الأرجح أداة لتمثيل المعرفة و المعلومة و إبلاغها ...فاللّغة تمكنُ من التعبير عن كلّ شيء وهي تكتفي بنفسها ...و اللّغة أيضا هي بمثابة الجوهر الّذي يمكن للأفكار الّتي لا يتسنى نقلُها مُباشرة –لأنّها مُجردَة– أن تصبح من خلالهِ قابلة للنقل بواسطة الجمل (وهي ماديّة) الّتي تعبّر عنها... وليس إنتاج اللّغة وتأويلها عمليتين قائمتين على نظام ذي طابع ترميزي حصرًا ، فوجودُ نظام ترميزي و المُواضعَة في اللّغة لاشك فيه إلاّ أن استعمال اللّغة لا يقتصرُ على مُجرد عملية ترميز (بالنسبة إلى الإنتاج) وفك للرموز(بالنسبة إلى التأويل) ...وهكذا فإن اللّغة و إن كانت نظام ترميز مُستقِلاً، فإن استعمالها لا يمكنُ فصلهُ عن القدُرات البشرية (الاستدلال والمعارف الّتي تخصُّ الكون) الّتي ليس لها البتّة أيّة صِبغَة لسانية »[1] ، وهناك أفعال في حياتنا اليومية لا تنجز إلاّ باللّغة ففي تعاليم ديننا الحنيف ، لا يفتحُ الخطاب إلاّ بذكرِ الله تعالى و الصلاة على حبيبنا و شفيعنا محمد (ص) ، ومع نُطق الإمام (الخطيب) بجملة " بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله "، ولا تُختتَمُ إلاّ بالدُعاء والابتهال بُغيّةَ التقرب من رب العباد و الصلاة و التسليم أيضا و التبارُك برسوله الكريم ، أو بتعبير آخر يحملُ معنى الاختتام ومثل هذا "جملة مواضيع كالمناسبات الدينية و الوطنية ، وكذا الاجتماعية و السياسية " .

وضمن هذا المضمار يعودُ الفضل في تعميق الفهم بالأفعال الكلاميّة، إلى الفيلسوف الانجليزي أوستن "J.L.Austin" في كتابهِ " How To Do Things with words"، وهو عبارة عن 12 محاضرة ألقاها سنة 1955 بجامعة هارفرد حول فلسفة وليام جيمس "The william James Lectures" ، توخى منها وضع بعض أسُس الفلسفة الانجليزية

---

(1)– آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، تر: محمد الشيباني ، مرا:لطيف زيتوني ، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت –لبنان ، 2003، ص22.19.

موضع السؤال و التشكيك خاصةً ما يتعلقُ بوظيفة اللّغة، إذ رأى بأن« كثيرًا من الأفعال الإخبارية تقومُ بوظائف الأفعال الأدائية ، فاستدرك هذا بالإجابة على سؤالٍ طرحَهُ : كيف ننجزُ فعلاً حين ننطقُ قولاً ؟ و أجاب بأن الفعل الكلاّمي مُركب من ثلاثة أفعال تعدُ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد ، ولا يُفصل بينهما إلا لغرض الدرس ، وقسم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية تتمثلُ في :

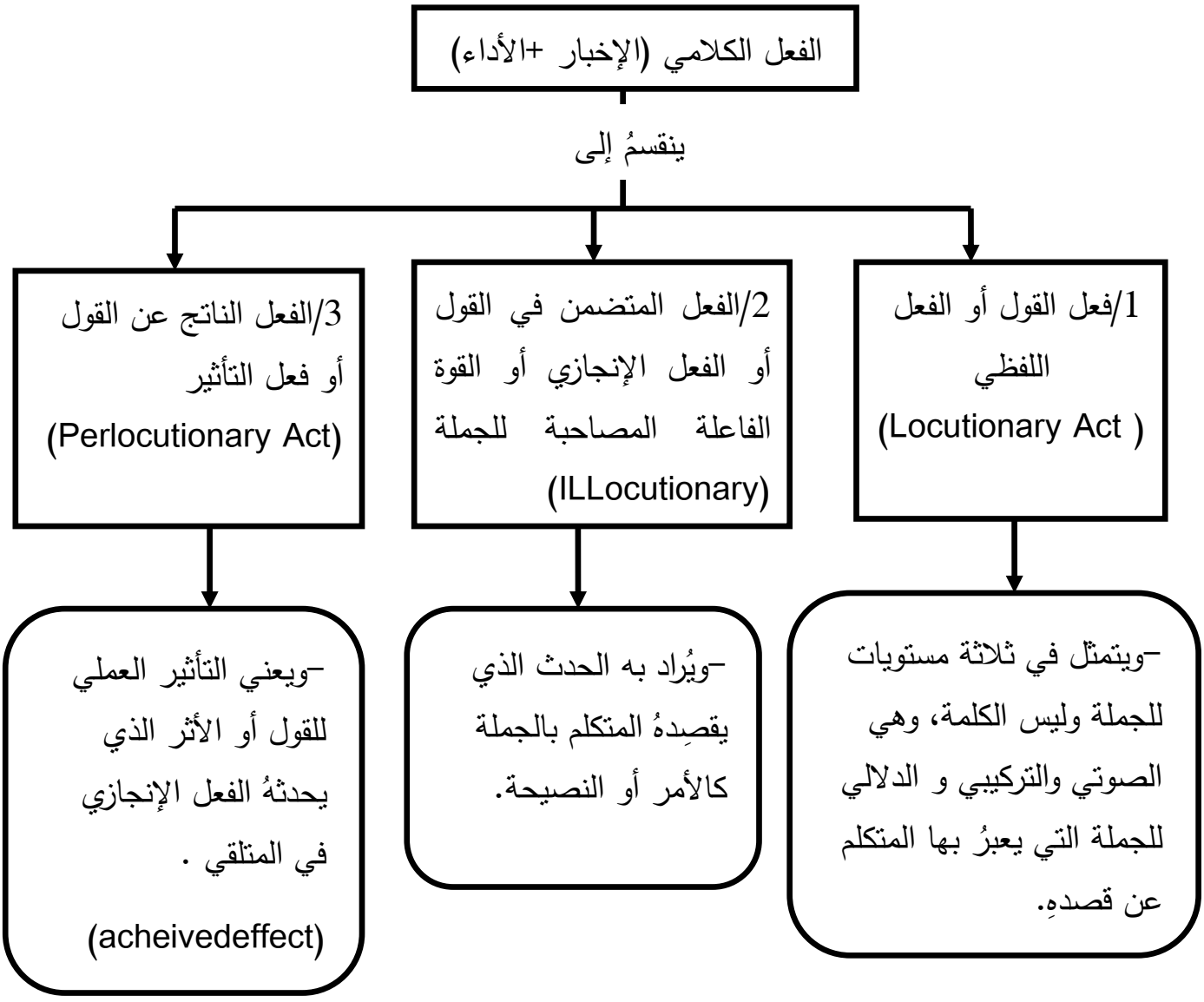

[1]»

ومن هنا، نرى بأنّ أوستن "Austin" لم يكتفِ « بالتمييز السالف الذكر فقط ، وإنّما شدَّ

(1)– محمود عكاشة : النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية (التداولية)–دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ – ، ط1، مكتبة الآداب علي حسن ، القاهرة –مصر ، 2013، ص 100.99.

انتباهَهُ أيضًا أن الملفوظات الوصفية التقريرية ليست في واقع الأمر سوى ملفوظات إنجازية فِعلُهَا الإنجازي مُضمَر ، يظهرُ ذلك جلِيًا عندما نتأملُ جملة من قبيل " السماء ستُمطر" فظاهرها وصفي ، وباطنُها إنجازي حسب أوستن ، على اعتبار أن أصلها هو "أحذرك من أن السماء ستُمطِر" ، وبناءًا على ذلك فقد ميّزَ أوستن في الملفوظات الإنجازية بين جُمل إنجازية مضمرة "implicit performatives" ، وجمل إنجازية صريحة " explicit performatives" ، وبالإمكان تلخيص دور هاتهِ الملفوظات على النحو الآتي:

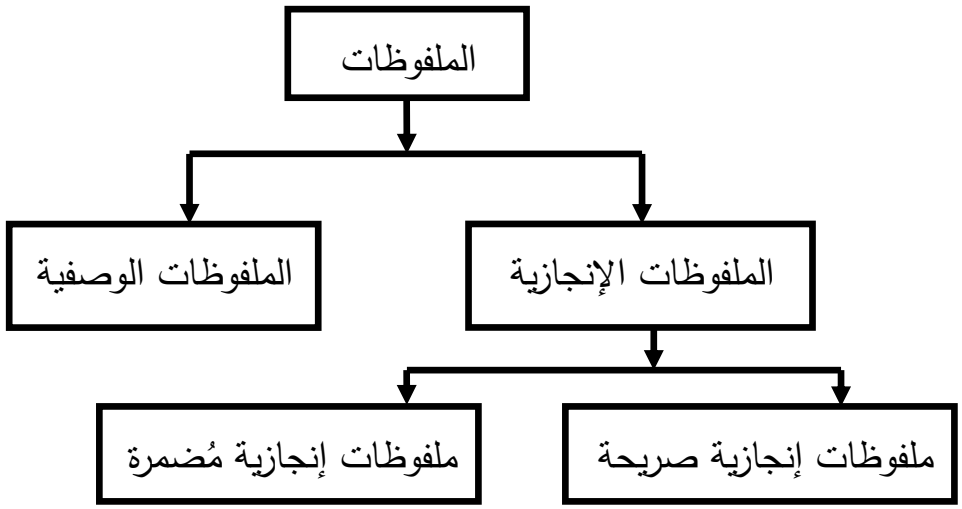

»[1]

أمثلة:1-"أنهُ/ لو طبقَ /الحرامُ /الأرض/ أو ناحية /من/ الأرض يعسرُ/ الانتقال /منها/ وانسدت/ طرقُ/ المكاسب الطيبة/ ". ⟵ أداة نصب + ضمير متصل + أداة امتناع + فعل + فاعل + مفعول به +نعت + حرف جر + شبه جملة جار ومجرور + مضاف إليه...الخ

2-" إن/ العلماء /نقلوا الاتفاق/ على /أن /الإمامة الكُبرى/ لا /تنعقدُ/ إلا /لمن/نال/ رُتبة الاجتهاد/ والفتوى/ في/ علوم الشرع /" ⟵ أداة نصب + اسم إن + فعل مضارع مرفوع بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة +خبر +حرف جر ...الخ

---

(1)- جواد ختام: التداولية (أصولها و اتجاهاتها) ، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، عمان –الأردن 1437-2016، ص89.88.

-الأمثلة:(1+2) نقلاً عن كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي ، ص 317.316.-مصدر سبق ذكرهُ-

* ويتضحُ لنا من خلاّل المثالين السابقين، أن طبقة الأفعال السلوكية

"Behabitives Verbs" ، والّتي اشتملت على جملة من الأفعال الدالة على سلوك اجتماعي وتصرفات مثل : طبق ، العسر ، انسدَ، المكسب ، الطيبة ، النقل ، الانعقاد الرتبة ،الاجتهاد ، الفتوى ، العلوم ، الشرع .

« وقد وسعَ جون سورل "John Searle" ، نظرية أُستاذهِ أوستين "Austin" فطوّرَ نظرية أفعال الكلاّم ...حيثُ أنهُ صنفَ الأفعال الكلاميّة ، أو أفعال الكلاّم إلى أفعال مُباشرة وأفعال غير مباشرة ،أما الأولى فهي التي تكون فيها علامات الفعل المقصود في القولِ نفسه في حين أن الأفعال غير المباشرة ، فتحتاجُ إلى تأويل لإظهار نيتها أو قصدها الإنجازي ...فالقول في نظر سورل ، يتشكل من السلوك الاجتماعي الّذي تضبطهُ قواعد ، وهذا يعني إنجاز أربعة أفعال في الوقت نفسه :

أ/فعل القول ـــ يتمثلُ في ← التلفظ بكلمات (بُنَى صرفية وكلمات وجمل)

ب/ فعل الإسناد ـ يسمحُ ب ←ربط الصلة بين المتكلم 1و 2 (فعل الكلام)

ج/فعل الإنشاء ـــ يُحقق ← القصد المعبر عنهُ في القول (إما نصح أو تحذير أو تهديد)

د/ فعل التأثير ←ـــــ يتوقفُ على التأويل الذي يُعطِي للقول، أن المستمع يعتمدُ على جميع العناصر المقامية لتأويل دور المتكلم التأثيري تأويلاً مُناسبًا»[1]

(1)– خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ، ط2، دار القصبة للنشر و التوزيع، حيدرة –الجزائر 2006، ص163.162.

«ولعلَّ هذه البنية تتضحُ أكثر في الخُطاطَة أدناه:

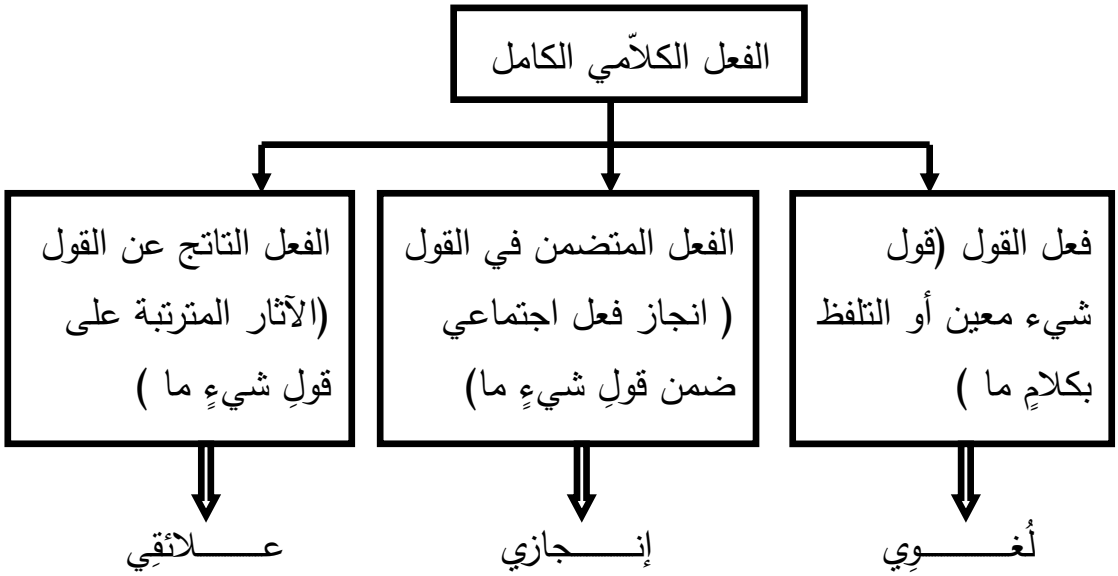

»[1]

مثال:1/" قولهم في النكاح الفاسد الّذي يجبُ فسخهُ : إن لم يُتفق على فسادهِ فيُفسخ بطلاق ، ويكون فيه الميراث ، ويلزمُ فيه الطلاق على حدهِ في النكاح الصحيح ، فإن اتفق العلماءُ على فسادهِ فَسُخَ بغيرِ طلاقٍ ، ولا يكونُ فيه ميراث ولا يلزمُ فيه طلاق " [2]

* ومن خلال المثال السالف الذكر بإمكاننا تمثيل دور الأفعال الكلاميّة على الشكل الآتي:

أ–فعل القول : قولهم / في / النكاح الفاسد / الّذي / يجبُ فسخهُ .

ب–فعل الإسناد : المرسل بإمكانه أن يفسخ النكاح الفاسد مع المرسل إليه .

ج–فعل الإنشاء: يفسخُ النكاح الفاسد إذا لم يُتفَق على فسادهِ.

د– فعل التأثير : (تحديد الحكم الشرعي لعدم الالتزام بتعاليم الدّين السمحة)

إن أهم ما يجبُ أن يتسم به الفعل الإنجازي حتّى يكون إلزاميا و تكلِيفيًا يكتسبُ قوة فعل

---

(1)– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي) ، ص43.(مرجع سبق ذكره)

(2)– الاعتصام، أبي إسحاق الشاطبي، ج1–2، ص328.(مصدر سبق ذكرهُ)

الكلام:

1-أن يكون بفعل تعبيري .

2- أن يُعطي لهذا الفعل قوة إلزامية .

3-أن يترتب على الفعل حدوث بعض الآثار .

مثال:2/ " قال تعالى: ﴿الّذين يستمعون القول فيتَبِعُونَ أحسنَهُ﴾ (الزمرآ18) يحتاجُ إلى بيان أن ميل النفوس يُسمى قولاً، وحينئذٍ ينظرُ إلى كونهِ أحسنَ القول كما تقدمَ وهذا كلهُ فاسد ، ثم إنا نُعارِضُ هذا الاستحسان بأن عقولنا تمِيلُ إلى إبطالهِ، وأنهُ ليس بحُجة ، وإنما الحُجة الأدلة الشرعية المتلقاة من الشرع "[1]

فالإلزام هنا أعطى للقولِ قوة يترتبُ عنها عدم إتباع أهل الهوى " واستحسان العوام ومن ليس من أهل النظر، إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهوى الطباع ؛ وذلك مُحال، للعلم بأن ذلك مُضاد للشريعة ، فضلاً عن أن يكون من أدلتها "[2]

وعلى هذا الأساس « قيّدَ أوستن الملفوظات الإنجازية بجملة من الشروط ، يُفضِي الالتزام بها إلى تحقيق الغايات المرجُوَة من الفعل الإنجازي ، كما قد يؤدي الإخلال بها إلى الإخفاق وعدم التوفيق ، ومن ثم إنتاج ملفُوظات فاشلة the infelicity/les infelicities وتتلخصُ هذه الشروط في :

*لابُد من وجُود إجراء عرفي مقبول، له أثر عُرفي محدد.

*لابُد من تنفيذ هذا الإجراء بطريقة صحيحة .

*لابُد للطرف المشارك في الإجراء أن يتوافرَ فعليًا على الأفكار و المشاعر.

*على باقي المشاركين في الإجراء التصرف على هذا النحو »[3]

---

(1)-(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص332.(مصدر سبق ذكرهُ)

(3)- جواد ختام: التداولية (أصولها و اتجاهاتها)، ص 88.87.(مرجع سبق ذكره)

فالشاهد هنا، أنّ لُغة الدّين الدعَّوِيَة إلى الأفعال المباشرة ، الّتي تحققُ بها إيصال الخطاب لجمهور المتخاطبين ؛ بُغيّة استمالتهم و إقناعهم ، ولكون طبيعة هذه اللّغة تقتضي ذلك فهي لُغة سلُوكية اجتماعية مباشرة حاملة لخطابات مختلفة ومواضيع هامة، صادرة من مصادر التشريع الإسلامي وأحكامه، ولا يعني هذا أنها تقتصِرُ في استخدامها اللّغوي إلاّ على الفعل المباشر ؛ بل تستخدم أيضا الفعل غير المباشر لكي تحقق هدفها التواصلي و التفاعُلِي مع مُتلقيها.

*<u>**أهم الأفعال الكلاميّة في لُغة الخطاب الدّيني**</u> : إن النظرة الجديدة للُّغة الّتي أحدثتها الدراسات التداولية الحديثة ، غيرت مفهوم اللّغة (المضمون) من كونها دلالات لُغويّة فقط إلى كونها إنجازات وأغراضًا فعلية تواصُلِيّة تفاعُلِيَّة، ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية بالكلمات ، ساعية للتأثير في مُتلقيها بحملهِ على تطبيق مقاصد الخطاب الإسلامي، أوتوكيد معلومة لديه ، أو لفت انتباههِ أو تقديرِه ، أو شكرِه ، أو مدحهِ...الخ وبالإمكان تمثيل دور أهم هذه الأفعال الكلاميّة على الشكل الآتي :

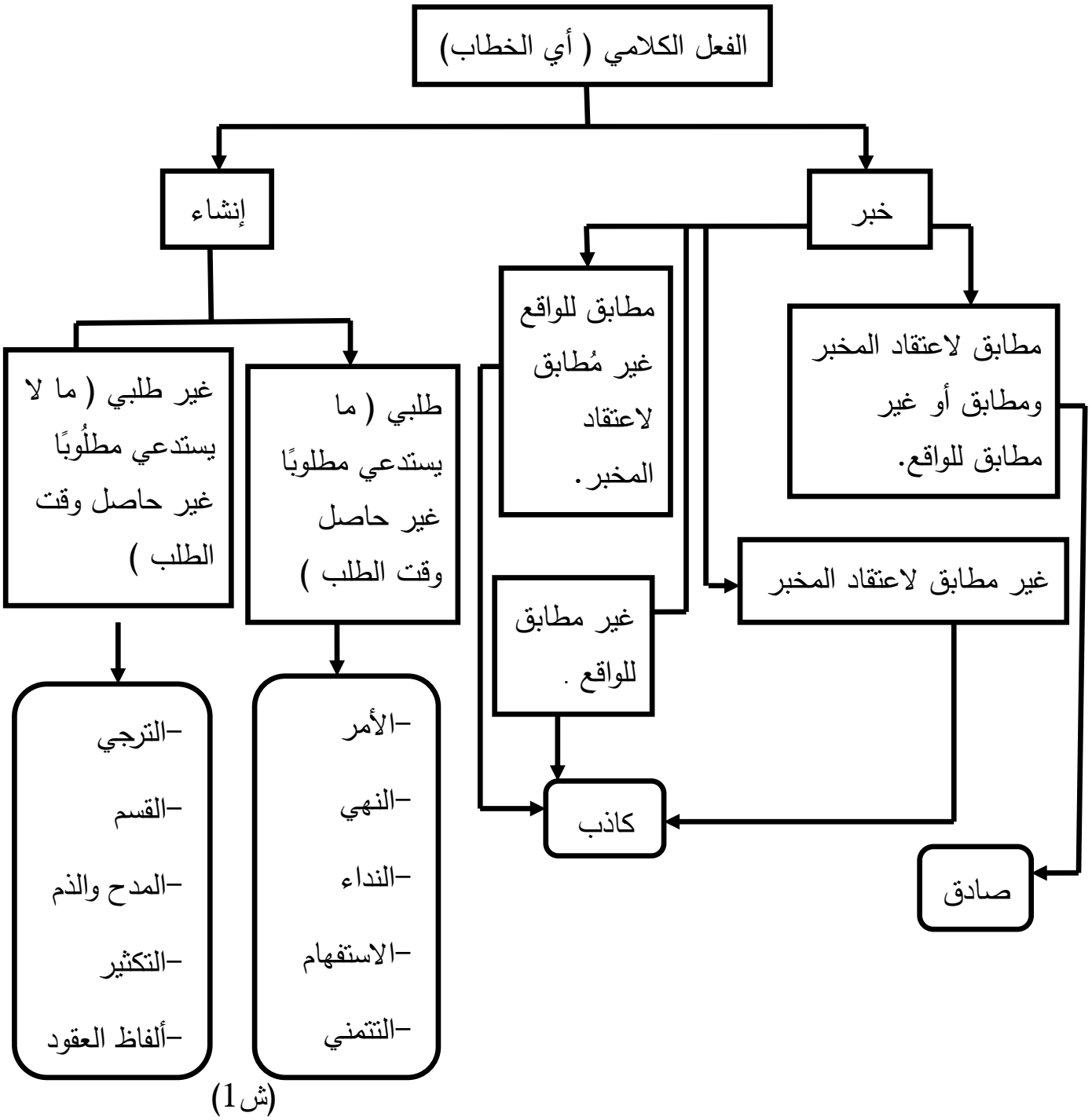

(ش1)

(ش1)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي) ، ص127.117.99.91.(مرجع سبق ذكره)

وهاهُنا، أضحت لُغة الخطاب الديني الدعَوِّي والوظيفي لُغة عربيّة محضة ، تعدُ نشاطًا اجتماعيًا مُؤسسًا، وهي صورة واضحة عن ليونة هذه اللّغة وسهولة تنوُعِها ، اتساقًا مع أي ميدان تكون هي لسان حال به وهذا التنوُع إنما هو من طبيعتها وجُزء من كيانها ، فتلونت بألوان مضامين الدّين الإسلامي و اتجاهاته و مُقتضياتهِ وكذا مُتعلقاتهِ ، وفي الوقت ذاته جعلت من الدّين عنصُرًا خادما لأهدافه ومُسهِلاً لتعامُلاته المختلفة ، والخطاب الديني في جوهره لم يخلُوا من نظام اللّغة العربيّة فقد استعمل نظام جملتها بأنواعها ، وأساليبها وتراكيبها الإخبارية والإنشائية منها دون إلحاق الضرر بسلامتها أو صحتها ، اللّهم الأخطاء اللّغوية و الهفوات الشائعة ، الّتي يقعُ فيها الخُطباء والأئمة أصحاب المستوى الضعيف في اللّغة العربيّة ، وقد أصبحت اللّغة بذلك صُورة عاكسة لكل ما يجري في مُحيطه الخاص ؛ بل ومُلازِمة لتَطوُرِهِ ، لأن « حقيقة العلاقة بين الفرد و المجتمع واللّغة ، وجدناها كالمثلث الذي تكون اللّغة رأسَهُ ، والفرد و المجتمع قاعدتهُ ، ويظهرُ التكامل في التواصل بين الفرد و الجماعة إذا عرفنا حقيقة العلاقة بينهما وبين اللّغة ، وذلك كما هو موضح في الشكل الآتي:

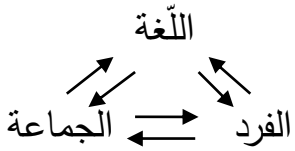

فبين الفرد والجماعة علاقة ثُنائية الاتجاه ... وبين الجماعة و اللّغة علاقة ثُنائية الاتجاه كذلك، فلغة الجماعة تفرضُ نفسها عليها، مهما ضعُفَتْ صِلتُهَا بتلك اللُّغة »[1]

فالمجتمع يتطورُ وتتطوَرُ معهُ كل المؤسسات، وتلك هي صيرورة الحياة، فاللّغة مؤسسة اجتماعية تتفاعلُ مع كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى، تعكِسُ حركة و متطلبات الأفراد في المجتمع.

وبالتالي، تتنوعُ الأفعال الكلاميّة في لُغة الخطاب الديني الوظيفي بتنَوُع السياقات الموجودة في المجتمع الديني، منها الإخبارية، ومنها الإنشائية.

(1)- سمير شريف استيتية : اللسانيات (المجال ،والوظيفة والمنهج)، ص 680.679.(مرجع سبق ذكره)

أ/ **الفعل الكلاّمي الإخباري**: ويتمثل في الخطابات والمواضيع الدينيّة، الّتي تحملُ في طياتها تعاليم وتوجيهات وإرشادات ، تلك التوجيهات مُطابِقَة للواقع الاجتماعي و الثقافي المُعاش ، فلا يمكنُ أن نخضعها لمعيار الصدق و الكذب ، لأن الملفوظات الإخبارية (Assertives) كما يقول سورل "Searle":«تتميزُ بكون المتكلم يستهدِفُ الإخبار بمحتوى معين ، يعلمُ بصحتهِ، لذلك فهي ملفوظات ينطبقُ عليها معيار الصدق و الكذب» [1]

كما و يتمثل الفعل الكلامي الإخباري في الدّين الإسلامي، أيضا، في كُلِ ما تصدرهُ وزارة الشؤون الدينيّة من قرارات و خطابات و رسائل دينيّة ذات صِبغَة اجتماعية وثقافية، فهو، إذن، فعل إنجازي حامل لمعلومةٍ ما وتختلفُ كل معلومة عن أخرى.

أمثلة: « 1/ أن أصحاب رسول الله (ص) اتفقواُ على جمع المصحف...

2/اتفاق أصحاب رسول الله (ص) على حدِ شارب الخمر ثمانين ...

3/ إن الخلفاء الراشدين قضَوا بتضمين الصُناع ...

4/ أنهُ لو طبق الحرامُ الأرض، أو ناحية من الأرض يعسرُ الانتقال منها وانسدت طرقُ المكاسب الطيبة...

5/أنهُ يجوز قتل الجماعة بالواحد، و المستندُ فيه المصلحة المرسلة...

6/إن العلماء نقلُوا الاتفاق على أن الإمامة الكبرى لا تنعقدُ إلا لمن نال رُتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ...»[2]

فالفعل الإخباري يحملُ في كل مرة خبرًا جديدًا من (اتفاق، أو قضاء،أو تطبيق، أو جواز أو نقل ...الخ) ويتمثلُ الغرضُ الإنجازي للأفعال الإخبارية في نقلها و تصويرها للأحداث المادية في الواقع ، ويشترط فيه سلامة النية حتّى يُحقق الخبر غرضهُ الاجتماعي بشكلٍ عام وربما أمكننا أن نمثل لهذا النوع بالكتابات التاريخية والرسائل الاجتماعية والثقافية خاصة

---

(1)- جواد ختام: التداولية (أصولها و اتجاهاتها)، ص94.(مرجع سبق ذكره)

(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص317.316.312.310.(مصدر سبق ذكرهُ)

الدينية منها، هذا فيما يخصُ الفعل الكلامي الإخباري، أما عن:

ب/**أهم الأساليب الإنشائية التي تميِّزُ الفعل الإنجازي الديني** : تتمثل في :

ب-1: **الاستفهام**: « يعدُ استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللُّغوية التوجيهية بوصفها تُوجه المرسل إليه إلى خيارٍ واحد وهو ضرورة الإجابة عليها ، ومن ثمَّ ، فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مُجريَاتِ الأحداث ؛ بل وللسيطرة على ذهنِ المرسل إليه وتسيير الخطاب تُجاهَ ما يريدهُ المرسل ، لا حسبَ ما يريدهُ الآخرون ، وتعدُ الأسئلة المغلقة من أهم الأدوات اللُّغوية لإستراتيجية التوجيه »[1]

حيث « يُؤدَّى الاستفهام بالهمزة ، والاستكثار برُبَّ ، والطلب بلام الطلب ، فإذا عدل عن ذلك الأصل وأدّيتَ تلك المعاني الجُزئية بأسماءٍ ،كانت تلك الأسماء مُشَابِهَةً للحرف في معناه فوجبَ بِناؤُهَا بعد هذا نستطيع أن نقول : إن العلّة في بناء أسماء الاستفهام نحو : من، وما ، ومتّى ، و أين ، وكيف ، وكم ، هو تضَمُنِهَا معنًى إنشائِيًا»[2] . ومنه، نقول أن الحروف السالفة كلها أسماء ذات ، أما متى و أنى وأيان هي ظروف مكان و زمان (معنى محدد) ، إذ يتوفرُ فعل الاستفهام بشكلٍ مكثف في لُغة الخطاب الدّيني خاصة في اللُّغة الشفاهية منه ، أو في الخطابات فالفرد مثلا منذُ أن تطأَ قدمَاهُ المؤسسات الدينيّة (خاصة المسجدية منها) ، وهو يسألُ ومن أمثلتها الآتي:

« 1-هل لمن سبَ أصحاب رسول الله (ص) في الفيءِ حقٌ؟

2-من أين قلت ذلك ؟

3-هل يعدُ مثلهُ بدعة ؟

4-فكيف به في المكروه أو الممنوع ؟

---

(1)- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، ص 352.(مرجع سبق ذكره)

(2)- عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربّي ، ط1، مكتبة الخانجي ، مصر -القاهرة 1421-2001، ص 27.26.

5-ما يحلُ لي مما يحرم عليَّ ؟

6-أين السائل ؟

7-وهو الأمر المشتبه الذي لا يدري أحلال هو أم حرام ؟

8-هل هو آثِمٌ أم لا ؟ » [1]

وعادةً يكونُ الاستفهام عن شيء يجهلهُ المتكلم، وفي هذا يقول السكاكي في الفرق بين الاستفهام والاستخبار و باقي أنواع الطلب (الأمر ، النهي ، والنداء)، بأن «الثاني الاستخبار ؛ وهو طلب خبر ما ليس عندك ، وهو بمعنى الاستفهام ؛ أي طلبُ الفهم ومنهم من فرّقَ بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حقَ الفهم ؛ فإذا سألت عنهُ ثانيًا كان استفهامًا ...ولكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيلهِ في الذهن لزِمَ ألاّ يكون حقيقة إلا إذا صدر من شك مُصدّق بإمكان الإعلام ؛ فإنّ غير الشك إذا استفهمَ يلزمُ تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدُّق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام»[2]

ويتضحُ لنا مما سبقَ أن الاستفهام ما هو إلاّ عبارة عن استعلام (استخبار) ما في ضمير المخاطب، وقيل هو طلبُ حصول صورة الشيء الحاصل في الذهن ، والاستفهام كفعل انجازي يترتبُ عليه آثار على مشاعر المخاطب به، أو على أفكاره أو على تصرُفَاتهِ لأنه لو لم تحصل بعض الآثار تامة الإنجاز لم تكُن قوة فعل الكلام مُناسبة للاعتبار، ومقبولة وبالتالي لو لم يكن ذلك ، كذلك لم يقع الفعل على وجههِ.

« فبالنظر إلى "معنى الاستفهام " بوصفهِ غرضًا إبلاغيا مُتعلِقًا بالتحقُق وعدمهِ (في التصوُر و التصديق معًا) ، أو بمُصطلحات المعاصرين " فعلاً كلاميًا استعلاميًا" ، يقوم بوظيفة تواصلية في غاية الأهمية ، وضع النُحاة العرب لأسلوبه بعض القيود التركيبية حتّى لا يفقِدَ هويته الانجازية ، أي ليكون مُحافِظًا على معناه الفني الّذي أضفاهُ عليه أوستين

---

(1)- أبي إسحاق الشاطبي:الاعتصام، ج1-2، ص337.334.306.301.299.(مصدر سبق ذكرهُ)

(2)- بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 2،ط3،دار التراث ، القاهرة -مصر ، 1404هـ-1984م، ص 327.326.

حتّى يصنعَ أفعالاً اجتماعية مُتوخاة منه ، فيكون " فعلاً كلاميًا ناجحًا" ويحققُ شرط " الفائدة الخاصة "، الّتي يتوخّى المتكلم إيصالها إلى المخاطب »[1]

ب-2:**الأمر**: تعدُ الأفعال الكلاميّة الأمرية المنبثقة عن تعاليم ديننا الإسلامي أفعالاً غايتُها النُصح والإرشاد و الوعظ ، وتكادُ تكون الأفعال الدينيّة كلها أوامر لها مقصد ومُبتغَى معين ، قد تكون بأفعال أمرية أو بصِيّغ و تراكيب تحمِلُ معنى الأمر ، وهي في طبيعتها أوامر وجبَ الحِرصُ عليها مع العمل على تطبيقها ، خاصة إذا كانت صادرة عن وزارة الشؤون الدينيّة ، فكلُ مؤسسة تذعنُ لأوامر الدين و مقاصد الشريعة السمحة و الّتي تعلُوها مرتبةً وهذا طبيعي ، فالأوامر تأتي من الأعلى إلى الأسفل مرتبةً ، فالمسجدُ تحت وصاية مكتب الشؤون الدينيّة ، ومكتب الشؤون الدينيّة تحت رعاية الهيئة الوصِيَة ، والهيئة الوصِيَة تحت رعاية الوزارة ، والوزارة تذعنُ للأوامر والتعاليم الدينيّة المنصُوص عليها من طرف جمهور العلماء والفقهاء وذوِي الاختصاص .

كما وتدخلُ في الفعل الكلامي الأمري جُملة من الأدوات من أهمها :[فعل الأمر "افعل" واسم فعل مثل : أنتم مدعوون لذلك ، فعل المضارع المسبوق باللام ، اسم فعل مثل :" صهْ حذارِ" ، بمعنى احذر ، ألفاظ مخصُوصَة للوجُوب " يجبُ ، ينبغي " ، المصدر النائب عن فعل الأمر ، صيغ الأخبار عن مرسل ذي سُلطَة ، الصيّغ الصرفية مثل : الفعل المبني للمجهول ،شبه الجمل]

أمثلة:« وقد رُوِي عن الربيع بن زياد الحارثي أنهُ قال لعلي بن أبي طالب"رضي الله عنه" أغدُ بي على أخي عاصم : قال : ما بالهُ ؟قال: لبِسَ العباءَ يريدُ النسك ، فقال علي –رضي الله عنه – : علَيَّ به .فأَتِيَ بهِ مُؤْتَزِرًا بعباءَة ، مُتدِيًا بالأُخرى ، شعث الرأس و اللحية فعبسَ في وجههِ وقال : ويحك ! أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ أترى الله أباحَ لك الطيبات وهو يكرهُ أن تنال منها شيئًا ؟ بل أنت أهون على الله من ذلك، أما سمعت الله يقول في كتابه:﴿والأرض وضعهَا للأنامِ﴾ (الرحمن /آ10) إلى قوله:﴿يخرجُ منهُمَا اللؤلُؤُ﴾

---

(1)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي)، ص 197.196.(مرجع سبق ذكره)

والمرجان﴾ (الرحمن /آ 22) ؟ أفترَى الله أباحَ هذه لعبادهِ إلا ليبتذِلُوهُ و يحمَدُوا الله عليه فيُثِيبَهُم عليه ؟ و إن ابتذالك نعم الله بالفعل خيرٌ منه بالقول .قال عاصم : فما بالُك في خشُنة مأكلك و خشُونة ملبسك ، قال : ويحك ! إنّ الله فرضَ على أئمة الحق أن يقدِرُوا أنفسهم بضُعفَةِ النّاس»[1] ، كما جعل أيضا « في الأوامر إذا امتثلت وفي النواهي إذا اجتُنِبَتْ أجُرًا منتظرَة ولو شاء لم يفعل ، وجعل في الأوامر إذا تُرِكَتْ و النواهِي إذا ارتُكِبَتْ جزءًا على خلاف الأول ، ليكون جميعُ ذلك منهضًا لعزائِم المكلفين في الامتثال »[2]

وبهذا لم يكن الأمرُ فعلاً كلامِيًا مُوجهًا فحسب؛ بل قد أنتجَ بعدهُ أفعَالاً انجازية أخرى وكانت لرُتبة المرسل أثرٌ في سُرعة تنفيذ الأمر، ويبدُو أن التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليسَ تابِعًا للمُواضعَة اللُّغوية فقط و إنما المُعوَلْ عليه هو اتفاقُهَا مع سلطة المرسل ، بشرط أن لا تتعارضَ مع سلطة أعلى من سُلطتهِ .

ودون أن ننسى كُلاً من سرول (Sroel) وباخ (Bahek) وبراون (Brawien) وغلسون (Gillsoen) قد أولَوْا اهتمامًا مُنقَطِعَ النظير بفعل الأمر و رأَوْ بأنهُ جزءٌ لا يتجزأ من الأفعال التوجيهية .

وقد عرفَ السكاكي (ت 626هـ) الأمر بقوله :« للأمرِ حرفٌ واحد وهو اللام الجازم في قولك : ليفعلْ ، وصِيَغ مخصُوصَة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف ، وعدة أسماء ذُكِرَت في علم النحو ...ولا شُبهة في أن طلب المتصور ، على سبيل الاستعلاء ، يُورِثُ إيجاب الإتيان على المطلوب منهُ ، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رُتبة من المأمور استتبعَ إيجابَهُ وجُوب الفعل بحسبِ جهات مختلفة ...و إلاّ لم تُفِدْ غير الطلب ، ثم إنها حينئذٍ تولد بحسبِ قرائن الأحوال ما ناسبَ المقام »[3]

مثال: « فروى عن عمرُو بن ميمون الأودِي قال : قال عمر حين طعنَ لصُهيب : صِلْ

---

(1)-(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص224.(مصدر سبق ذكرهُ)

(3)- أبي بكر محمد بن علي السكاكي : مفتاحُ العلوم ، ض و تع : نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، 1407هـ-1987م، ص 319.318.

بالنّاس ثلاثًا وليدْخُل علَيَّ عثمان وعليّ وطلحة والزبير و سعد وعبد الرحمن ، وليدخُلْ ابن عمر في جانب البيت و ليس لهُ من الأمر شيءٌ ، فقُمْ يل صهيب على رؤوسهم بالسيف فإن بايعَ خمسة ونكَصَ وحَدْ فاجْلِدْ رأسَهُ بالسيف ، و إن بايعَ أربعة ونكصَ رجلان فاجْلِدْ رؤوسهما حتّى يستوثِقُوا على رجل ، قال : فالجماعةُ الّتي أمرَ رسول الله(ص) بلزُومِهَا وسمى المنفرد عنها مُفَارِقًا لها نظير الجماعة الّتي أوجب عمر الخلافة لمن اجتمعتْ عليه و أمرَ صُهيبًا بضرب رأس المنفرد عنهم بالسيف فهم في معنى كثرة العدد المجتمع على بيعتهِ وقلةِ العدد المنفرد عنهم »[1]

ب-3:**النهي و التحذير**: يمكنُ أن يظهرَ مثلُ هذين الفعلين الكلاميين في لُغة الخطاب الدّيني الدعَّوِي ، على شكل خطاب مُوجه للمستمعين ، أو على عرض أحكام منصُوص عليها من مصادر التشريع الإسلامي ، يصدرهُ الخطيب (الإمام) للفرد أو الجماعة للحد من تصرُفَات غير لائقة بتعاليم ديننا أو أنها تكررت أكثر من مرة ، وقد يُوافق هذان الفعلان فِعلٌ كلاّمي آخر عادة ما يختتمانِ به وهو التحذير و الوعد والوعيد ، حتّى يترك كامل الأثر في نفسية مُتلَقِيهْ ، مع ضمان المرسل لعدم تكرار تلك التصرُفات .

مثل:1/« وخرجَ أيضا عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه –أنهُ قال:"اتبِعُوا آثارنَا ولا تبتدِعُوا فقد كفيتُمْ»[2]

2/« وخرج عنه ابن وهب أيضًا أنهُ قال :"عليكُم بالعلم قبل أن يُقبض ، وقبضهُ بذهابِ أهلهِ ، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقِرُ إلى ما عندهُ ، وستجِدُون أقوامًا يزعمُونَ أنهم يدْعُون إلى كتاب الله وقد نبذُوهُ وراء ظهورهم ، فعليكُم بالعلم و إياكم و التبدُع و التنطُع و التعمُق و عليكم بالعتيق "»[3]

والأصلُ في النهي هو الكف عن الشيء « ولهُ حرفٌ واحدٌ هو " لا الناهية " الداخلة على الفعل المضارع... وتُحمَلُ عليه مجازَاتهُ، من الالتماس و الدعاء و التهديد والإرشاد ونعتقدُ أن النهي فيها هو "فعل كلامي أصلي "، أما البقية فهي أفعال متضمنة في القول

---

(1)-(2)-(3)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص392.393.ص57.(مصدر سبق ذكرهُ)

مُنبثِقَة من الأصل »[1]

وإن كان النهيُ يختلفُ عن الأمر في المعنى و في الأدوات فإنهُ يتفِقُ معهُ في مرتبة المرسل « فالنهيُ طلبٌ يصدرُ من صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو في مرتبة دونه ، ولا يختلفُ النهي في ذلك عن الأمر ، وهذا ما يشهدُ به أكثر من عالم ، ومنهم المبّرِد بقولهِ:" واعلم أن الطلب من النهي بمنزلتهِ من الأمر يجري على لفظهِ كما جرَى على لفظ الأمر "»[2]

ب-4:**الوعد**: لقد ربطَ "فرانسواز أرمينكُو" (Françoise Armingaud) الوعد بقيام

« المتكلم بالإدلاء -مثلاً الإعلان عن بداية الجلسة -ليُعبِرَ فيه عن قصد، و بالضبط فلأنَهُ يعبرُ عن هذا القصد ، فهو يمتلكُ أثر تحقُق حالة الأشياء الّتي يُمثِلُهَا ، دون أن يكون تحقُق حالة الأشياء هذهِ مقدمة ، تحت مسؤولية أي كان ، فإذا تمَ وعدٌ بشيءٍ أو على العموم التزامٌ ما ، فإن المتكلم يعبرُ عن قصد الإنجاز " بسبب الملفوظ" ، والّذي يعبرُ عن هذا القصد ، وعن حالة الأشياء المقدمة ، فإذا ما تمَ الالتزام ، فإن في ذلك تعبِيرًا عن قصد تحقيق السامع لحالةِ أشياء الإحالة ، بسبب الملفُوظ الّذي يعبرُ عن هذا القصد من ثمَ يقدِمُ الكاتبُ بعد هذا جدولاً إجماليًا للأنماط الكُبرى لأفعال الإنجاز كالتالي :

(1)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي) ، ص111.(مرجع سبق ذكره)

(2)- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، ص349.(مرجع سبق ذكره)

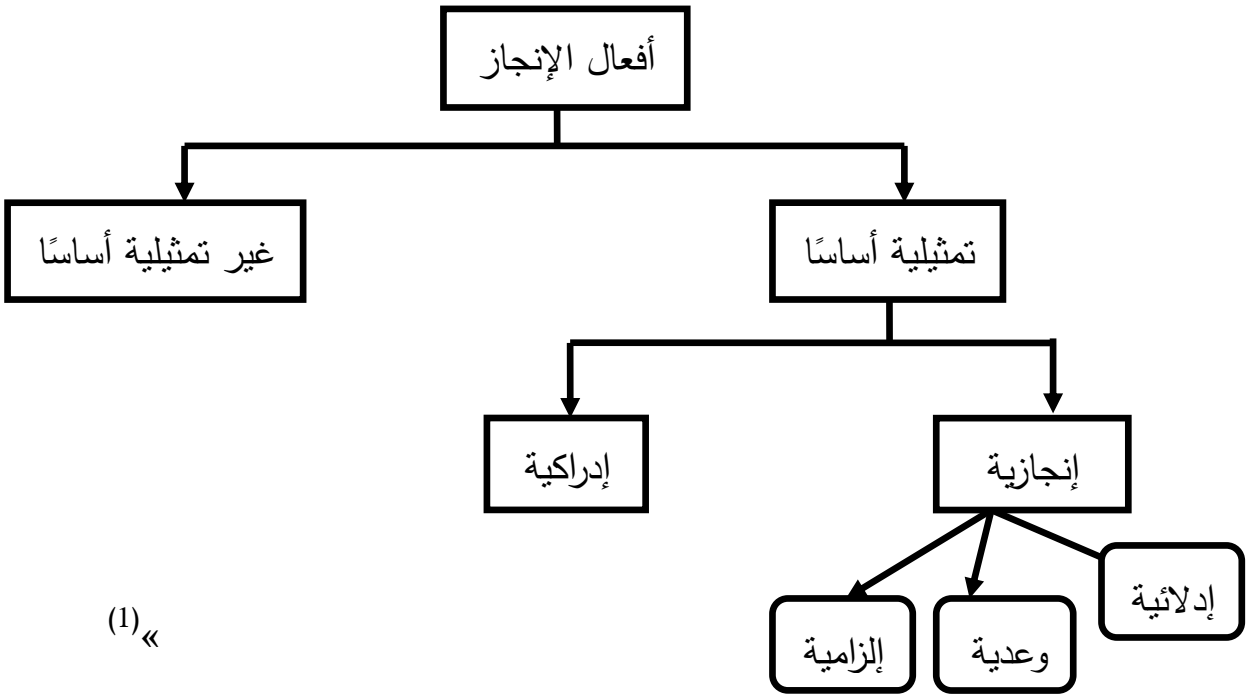

»[1]

يتّضح بالملاحظة أنّ الوعد يعدُ من الأفعال الإنجازية الإلزامية، كما ويرى أوستن "Austin" أن فعل الوعد من الأفعال الأدائية الواضحة وعدم الوفاء بالوعد أو عدم اللجوء إلى فعل الوعد من الأفعال الأدائية الأولية وفي ديننا لا تتمُ الوعُود إلاّ بتصريحٍ مُباشر من طرف المعني بالأمر ، سواء أكان ذلك تحذِيرًا أو وعدًا للقيام بكذا أو تنبيه و إلزام في الوقت ذاته ، وعادةً ما يفقِدُ ديننا مِصداقِيتَهُ وعدم تطبيقهِ يتجلى في عدم وفائهِ بالوعُود خاصة للأفراد (المؤمنين)؛ وذلك قد يكونُ عن قصد أو عن غير قصد ، فأصبحنا نقفُ على عدة مواقف بهذا الشكل ، وأصبحَ الوعدُ بمثابة تحذير لموقف المرء أو طردًا لهُ ، أو تهرُبًا من آداء تعاليم دينهِ لا غير ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالمشاكل الّتي قد تحدثُ في مجتمعنا اليوم سببُهَا عدم احترام الوعد ، أو عدم احترام تحقيقهِ في الوقت المحدد ، وحتّى و إن كان العذرُ مُؤكدًا ومقبُولاً فلا يستطِيعُ بحَالٍ من الأحوال إقناع الطرف الآخر ، لأن الوعد لم يتحقق و يتركزُ بذلك فكرة التلاعُب بالدّين بمصالح و أوقات الفرد ، ومنهُ يحدثُ الانشقاق في التواصل اللُّغوي العادي ، وقد تنشبُ المُشاجرَات و المشاحنَات بين الطرفين

(1)– فرانسواز أرمينكُو : المقاربة التداولية : تر: سعيد علوش ، دط، مركز الإنماء القومي ، الرباط –المغرب،1986، ص71.70.

وتختلفُ طبيعة اللُّغة المتبادلة، ويتضحُ هنا أن اللُّغة من أكبر تجلّيات التفاعُل و الصورة الأوضح للتواصل الجيّد ، و التفاعُل الايجابي ، الّذي يساعدُ على سيرورة العمل الدّيني لخدمة مصالح النّاس ، من خلال ما يستعلهُ من أفعال إنجازية محققة فعلاً لأهداف التواصل، وحسنُ التعامُل .

الأمثلة: وفي الوسط الديني يُلزِمُ الفرد نفسَهُ للقيام بعدةِ وعُودٍ، أو هو ملزمٌ بها ويسعى لتحقيقها، وقد وردَ في كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (ت 790هـ) عدة أمثلة في هذا المضمار نذكرُ منها الآتي:« و حكى ابنُ العربي عن الزُبير بن بكار قال : سمعتُ مالك بن أنس – و أتاهُ رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة من حيثُ أحرم رسول الله (ص) فقال: إني أريدُ أن أحرم من المسجد فقال : لا تفعل قال : فإني أريدُ أن أحرم من المسجد من عند القبر قال : لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة فقال : وأيُ فتنة هذه؟ إنّما هي أميال أزيدُها قال : و أيُ فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضِيلَةٍ قصَّرَ عنها رسول الله (ص)؟ إني سمعتُ الله يقول :﴿ فلْيحذَرِ الّذينَ يُخَالِفُونَ عن أمرهِ أنْ تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أو يُصِيبَهُم عذَابٌ أليمٌ ﴾ (النور /آ 63)»[1]

وهكذا نقول بأن كل خطاب لهُ تأثير على مُتلَقِيه، إذْ يقول المرسل شيئًا ما- و ← يفعَلُ المرسل فعلاً ما في ذلك القول المُوجَه إلى المرسل إليه - حيثُ ← يؤثرُ المرسل على المرسل إليه بواسطة ذلك الفعل .

ب –5:**صيّغ العقود**: إن الصيّغ الإنشائية المُسمَاة ألفاظ العقُود هي الّتي تصاغُ بها العقود والمعاهدات وهي خاصة بالإجراءات التعامُلِيَّة العامة : كالزواج ، والطلاق ، والعمل ...وما تقتضيهِ تلك المعاملات من إبرامٍ للعقود أو فسخٍ لها ، ولا تتمُ هذهِ الأفعال إلا بالنُطق بها ، ولقد اهتم الأصوليون و الفقهاء العرب بهذهِ الصِيَّغ بمُنحنى من التداولية بتعبيرٍ خاص وهي من الأفعال الإلزامية ، كون الصيغة الأساسية لإنشاء العقود هي صيغة الماضي ، لأن دلالتها على حصُول الرضا من الطرفين قطعية ولا تحتملُ أي معنى آخر في الصِيّغ الدالة على الحال والاستقبال فإنها لا تدلُ على حصُول الرضا أثناء التكلم .

---

(1)– أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1–2، ص91.(مصدر سبق ذكرهُ)

*ولنأخذ بعض الأمثلة عن هذه الصِيَّغ :

أ/**صيغ الزواج** : يقرُ الأصوليون العرب أنهُ لإنجاز بعض الأفعال لابُد من أن تكون الصيغة مُنجزة ، أي مُطلقَة غير مقيدة بأي قيد من القيُود ، كما في مثل :(أنا أريدُ أن أتزوج) ، فصيّغُ الزواج هي من الأفعال التصريحية الإلزامية ، فالزواجُ لا يتمُ إلا عن طريق عقد قولي ذي صِيغَةٍ محددة يتلفظُ بها الطرفان وهما المتزوج وولي أمر المرأة ، إذْ لابُد أن يقوم كل منهما بدورهِ العرقِي باستخدام اللّغة في السياق « ومهما كان تركيبُ الخطاب الذي يتلفظُ به طرفَا العقد ، فإنّ الإنجاز اللّغوي يتمُ ليُصبح الخطاب هو الفعل ، وبهذا فإن إنجاز الخطاب لا يقفُ عند حدود تراكيب لُغويّة معيّنة ؛ فيستوي في ذلك قول ولي أمر المرأة: (زوجتك) في جملة ذات فعل ماض ، أو (أنا أزوجك) في جملة مكونة من مبتدأ أو خبر أو(أنا زوجتك) ليظل الشرط هو إبداءُ الرضا، الّذي يتبلورُ في خطابٍ لُغوي للدلالة عليه ليتم بهِ فعل التزويج والقبول ، فخِطابُ كلٌّ من طرفي عقد الزواج ركن من الأركان الثلاثة وأركانهُ ، أي أركان الزواج ثلاثة أحدها: الزوجان الخاليان من الموانع كالمعتدة ، والثاني: الإيجاب وهو اللفظ الصادر من الولي ، أو من يقومُ مقامَهُ ، والثالث: القبول وهو اللفظ الصادر من الزوج ،أو من يقومُ مقامَهُ ، ولا يصحُ النكاح ممن يحسنُ العربيّة بغيرِ لفظ زوجت ، أو أنكتُ ؛ لأنهما اللفظين الذي ورد بهما القرآن ، ولأمتهِ أعتقتُكَ ، وجعلت عتقك صداقك ونحوهُ »[1]

فالخطابُ، هنا، قام بفعل التزويج والقبول وكان خطاب الزواج وولي المرأة ، رُكنًا من أركان عقد الزواج الثلاثة (الزوجين +الإيجاب + القبول) وعند عقد القِرَان في البلدية يسألُ كل من الزوج و الزوجة ويجبُ سماع كلمة موافق أو موافقة ، وبناء على القول ينجزُ الفعل في هذه الحالة .

ب/**صيِّغ الطلاق**:توجدُ أفعال لا تنجزُ إلا بألفاظٍ مخصُوصَة سواء أكان اللفظ صرِيحًا أم هي الدليل عليها ، وتكونُ بعبارة أخرى العلامة ليست بُؤرة العملية الاتصالية وحدها ؛ بل تكمنُ بؤرة العملية الاتصالية على الأصح في استخدامها لانجاز الفعل اللُّغوي ، فيحدثُ

(1)– عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية– ص78.77.(مرجع سبق ذكره)

كناية كألفاظ الطلاق ، و أنهُ لابُد من توفُر النية و القصد عندما تعجِزُ الصِيغَة وحدها عن تأدية إنجاز الفعل ، ففِعلُ الطلاق لا يتمُ إلاّ بالفعل الإنجازي القولي ، وبالتالي تصبحُ اللّغة في هذا المقام هي الأداة الرئيسية ، أي المفتاح الذي لابُد منه للكشف عن المقاصد بوصفها الزواج أو الطلاق بالفعل ، وتكون هناك حياة جديدة انطلقت بفعلٍ قولي انجازي وقد« ناقشَ الأصوليون والفقهاء المسلمون في كتُبهِم الألفاظ والصِيّغ الّتي تتمُ بها عقود الزواج ...وفي الطلاق بالماضي واسم الفاعل ، نحو: أنت طالق ، وأنت حر»[1]

إذن، فالفائدة المستخلصة من هاتهِ الدراسة ، إنّما هو التعرُف على الألفاظ الّتي تعدُ بمنظُور تداوُلِي " أفعالاً كلامية "، باعتبارها تهدفُ إلى إنشاء أو إيجاد أفعال ومواقف وسلُوكات اجتماعية بالكلمات كما قال الفيلسوف أوستن "Austin" ، أو الألفاظ الّتي تعدُ أفعَالاً كلاميّة غير مباشرة كما قال سورل.

ومن ألفاظ الطلاق الصريحة نذكر :"أنت طالق وطلقتُك"، وسرحتُك ...أما ألفاظ الطلاق الأخرى يُطلقُ عليها "الكنايات " (كما قال ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد وقد فصل في الأمر كثيرًا) ونذكر : حبلك على غار بك، واعتدي ،استبرئي ، تقنعِي، أنت عليا كظهر أمي ... **أمثلة:** «1–وعن أنس –رضي الله عنه – قال : جاءَ ثلاثةُ رهطٍ إلى بيُوت أزواج النبي (ص) يسألون عن عبادة النبي (ص) ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها .فقالوا: و أين نحن من النبي (ص)؟ وقد غفر الله لهُ ما تقدمَ من ذنبهِ وما تأخر ؟ فقال أحدهم: أما أنا فإني أُصَلِي الليل أبدًا. وقال الآخر: إني أصومُ الدهر ولا أفطر .وقال الآخر : إني أعتزِلُ النساء فلا أتزوجُ أبداً ،فجاء رسول الله (ص) فقال : " أنتم الّذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكُم لله و أتقاكُم له ، لكني أصوم و أفطر ، وأصلي و أرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رَغِبَ عن سُنَتِي فليس منِي "

2–قال تعالى :﴿يا أيّها الّذين آمنُوا لا تُحَرِّمُوا طيِّبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدُوا إنّ الله لا يحبُ المُعتدين، وكلُوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيِّبًا واتقُوا الله الّذي أنتم به

(1)– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي) ، ص170.169.(مرجع سبق ذكره)

مؤمنون﴾(المائدة /88.87)، روي في سبب نزول هذه الآية أخبار جُملتها تدورُ على معنًى واحد و هو تحريم ما أحل الله من الطيبات تديُنًا أو شِبه التديُن والله نهى عن ذلك وجعلهُ اعتداءً و الله لا يحبُ المعتدين.

3-و إلى منع تحريم الحلال ذهب الصحابة و التابعُون ومن بعدهم، إلا أنهُ إذا كان التحريمُ غير محلوف عليه فلا كفارة، و إن كان محلُوفًا عليه، ففيه الكفارة، ويعملُ الحالِفُ بما أحل الله لهُ »[1]

ب-6:**النداء**: يكونُ النداء حاضرًا بأدواتهِ وبقُوةٍ فعلية ، ففي الخطاب الدّيني الدعوِّي (الوظيفي) ، يغُوص في ذكر قضايا اجتماعية و ثقافية و كذا دينية ، ويظهرُ ذلك جلِيًّا في جُل الخطابات المُلقاة من طرف الإمام (الخطيب) "المرسل" لجمهور المتلقين "المرسل إليه".

مثال: «1-"قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه -أيها النّاس ! لا تبتدِعُوا ولا تنطعُوا ولا تعمقُوا ، وعليكم بالعتيق خذُوا ما تعرفون ودعُوا ما تنكرون ".

2-"قال رجل لأبي بكر بن عياش : يا أبا بكر ، من السُنِيُّ ؟ قال : الّذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيءٍ منها"»[2]

3- رسالة من الإمام : الخطيب المسؤول عن مسجد كذا ← مرسل إلى
السيد: مدير الشؤون الدينية و الأوقاف للولاية ← مرسل إليه إلى

* ومن هنا نرى بأن الجملة الندائية تتكون من أربعة عناصر هي :

أ-المُنَادِي: الإمام (الخطيب).

ب-المُنادَى: مدير الشؤون الدينية.

---

(1)-(2)-أبي إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج1-2، ص194.211.212.213.61.58.(مصدر سبق ذكرهُ)

ج-أداة النداء: حُذفت وعُوِضَت بحرف الجر "إلى"

د-جواب النداء: وهو المضمون المراد تبليغهُ إلى المدير.

* والنداء «هو طلب الإقبال حقيقةً ...و طلبُ الإقبال بشِقَيهْ يتمُ بحرفٍ من حروف النداء نائب عن فعل هو (أدعُو) أو (أنادي) أو (أطلب) ونحوها، وحروف النداء قسمان: قسم يُنَادِي به القريب وهو " الهمزة" و "أيُّ" ...وقسم ينادي به البعيد وهو "يا" ، "أيا" "هيا"،"آ" "أي" ،"وا" »[1]

إذًا فالنداءُ يعدُ تركيبًا لطلبٍ يُرَادُ به توجيه الدعوة إلى المخاطب (المنادى) وتنبيههِ إلى سماع ما يريدهُ المنادي (المتكلم) ، ولمرتبة المنادى قوة في تنفيذ الفعل ، ولهُ تأثير على مُتلقِيه.

(1)- عبده عبد العزيز قلقيلة : البلاّغة الاصطلاحية ، ط3، دار الفكر العربي ، مصر- القاهرة ، 1412-1992، ص181.

* **لُغة الشاطبي من الناحية الحجاجية** : يهدفُ كل خطاب إلى تحقيق وظيفتين وظيفة تعاملية ووظيفة تفاعُلية ، وللخطاب الديني خصوصية تجعلُ الحديث عن إستراتيجيتهِ الخطابية أمرًا ضروريا لأجل فهم هذه الخصوصية ، ثم إدراك أبعادها التداولية ، ومن ثم إدراك دلالات بنيتهِ الحجاجية ضمن هذه الإستراتيجية ، وللخطاب الحجاجي لدى الإمام الشاطبي –رحمه الله– ، مجموعة خصائص محورية و فاعلة في تكَوُّنِهِ واتخاذ شكلهِ الخطابي الذي يتَسِّمُ به و ينبني عليه من وُجهة نظر الخطاب و آلياته ؛ لذلك نسعى في مقامنا هذا لمحاولة الكشف عن لغة البنية الحجاجية تطبيقًا على مدونة الاعتصام ، انطلاقًا من البنية اللسانية للمدونة ، لأن اللّغة تحملُ حجاجيتها في ذاتها ، مع ما يفرضهُ المقام و الواقع المعرفي الفكري للمتلقي فتتنوعُ الأدلة الحجاجيّة وتُتابع مُبرزة للُّغة الحجاج في مدونة الاعتصام للإمام الشاطبي، كما يختصُ الحجاج بالدلالة أساسًا على معانٍ نذكر منها : "معنى القصد ، ومعنى الإحالة، ومعنى الإقناع عن طريق الجدال والتخاصم الفكري" ولنبدأ ب:

أ/ **مفهوم الحجاج**: (Argumentation)

***في اللغة** : تجمعُ المعاجم اللّغوية الأساسية في تعريفها للحجاج على ما جاء في" لسان العرب " لابن منظور « يقال : حَجَجَ: حاججْتهُ أحاجَهُ حِجَاجًا ومُحَاجَةً حتّى حجَجْتُهُ أي غلبتهُ بالحُجج الّتي أدليت بها [...] و الحجة : البرهان وقيل : الحجة ما دفعَ بهِ الخصم وقال الأزهري : الحجةُ الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج أي جدل ، وحجَهُ يحجُهُ حَجًا : غلبَهُ على حجَتِهِ وفي الحديث :" فحجَ آدم موسى " ، أي غلبهُ بالحُجَة»[1]

فمصطلح الحجاج في معناه اللّغوي لم يخرج عن دائرة الخصام و الإنكار وطلب الدليل و الإدعاء ، ونستنتج من هذا التعريف أن دلالة الحجاج ترتكزُ على وجود اختلاف بين الباعث للرسالة اللّغوية و المستقبل لها ، ومحاولة الأول إقناع الثاني بحُجة و دليل يقدمهُ له لاستمالةِ عقلهِ والتأثير فيه وبالتالي إقناعهِ ، أما رسالة الإمام الشاطبي –رحمه الله– وقضيتهُ

(1)– ابن منظور: لسان العرب،–مصدر سبق ذكره– ص 779.778(مادة حَجَجَ)

تمثلت في توجُهِهِ بمنهج إصلاحي إلى الأمة الإسلامية لنقد البدعة وذم أهلها لا غير، وفق نصوص القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهرة.

***في الاصطلاح:** لاشك ونحنُ نحاولُ تقديم مفهوم للحجاج بأننّا سوف نصادفُ مصاعب جمّة ، تحولُ بنا دون الإلمام بالمفهوم إلمامًا كاملاً ، إن لم نقل استحالَ تحقيق ذلك على الوجه الأكمل الّذي يقتضيهِ عملنا ؛ وذلك لسبب رئيسي وهو استمرار هذه النظرية في التأسيس و التشكُل حتّى تاريخ انجاز هذا العمل ، فهي نظرية لم تنغلق بعد ؛ بل نراها تشهدُ كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني وتُثير الأسئلة من حولها ، بالإضافة إلى وجود خلافات في صلب هذه النظرية واختلافات بين الخائضين في شأنها تصلُ أحيانًا إلى التعارُض و التناقُض الصريحين ، حيثُ يقابل هذه اللفظة في الفرنسية لفظة "Argumentation" الّتي تدلُ على معاني متقاربة أبرزها حسب قاموس "روبير "

(Petit Robert):«*القيام باستعمال الحجج .

*مجموعة من الحجج الّتي تستهدفُ تحقيق نتيجة واحدة» [1]

أما في الإنجليزية، فيشيرُ لفظ "Argue" :«إلى وجود اختلاف بين طرفين و محاولة كل منهما إقناع الآخر بوُجهة نظرهِ ؛ بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons " ، الّتي تكون حجة "Argument" مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما»[2]

ومن خلال هذه التحديدات المعجمية، نجدُ لفظ الحجاج أو المحاجة متضمنا لدلالة ومعنى مستمدين من طبيعة سياقهِ ، أو شرطهِ التخاطُبِي المتمثل في :(التخاصم، والتنازع ، والجدل و الغلبة [...] أي بمعناه الفكري و التواصلي.

وبهذا التتبُع المعجمي سنتناول في هذا العمل، مفهوم الحجاج من ناحية الإحالة والمقصدية وحسب وُجهة نظر الإمام الشاطبي –رحمه الله– في مُدونة الاعتصام.

---

(1)–Petit Robert , Dictionnaire de la langue français , le redection , Paris , 1990,P99.

(2)– Longman , Dictionary of contemporary English , Longman , 1989,P87.

ب/ الإحالة لدى الإمام الشاطبي: تزخرُ مدونة الاعتصام بمسائل علمية مختلفة ، إلا أن لمسألة البدعة و الضلالات –على ما لاحظنا – الحظ الأوفر في مدونتهِ ، ولأن مسألة البدعة تجددُ النظرة إلى النصوص ، ارتأينا تسليط الضوء على ظاهرة الإحالة من منظور الإمام الشاطبي ، باعتبارها ظاهرة لُغوية انتشرت في مدونتهِ بشكل كبير، ومنه تعدُ الإحالة أهم عنصر من العناصر الاتساقية في النصوص ، كونها علاّقة معنويّة بين ألفاظ وأسماء معينة ، وما تدل عليه من موجودات أو مُسميّات داخل النص أو خارجهُ سواء كان ذلك في السياق الخطي أو المقام الحضوري ، ولها مُحَدِّدَاتُها الّتي تُعرَفُ منها الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة و أدوات المقارنة ...الخ، فالإمام الشاطبي أوردَ مصطلح الإحالة بمفهومهِ عند القدماء بمعنى " **النقض والاستحالة** "،« ففي قوله تعالى ﴿أجعلَ الآلهة الهًا واحدًا إنّ هذا لشيءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:5] ،إذ دعاهُم إلى عبادة المعبود بحق وحدهُ لا شريك له ، مع الإقرار بمقتضى هذه الدعوة الصادقة ، وقال أيضا :﴿فإذا ركِبُوا في الفُلك دعَوْا الله مُخلصين لهُ الدّين ﴾[العنكبوت: 65] ، وإذا أنذرهم بطشة يومِ القيامة أنكرُوا ما يشاهدون من الأدلة على إمكانهِ وقالوا :﴿ أَءِذَا متنا وكُنَا تُرابًا ذلك رجعٌ بعيدٌ ﴾[ق:3] ،وإذا خوفهم نقمة الله قالوا:﴿اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء أوِ ائتِنَا بعذابٍ أليم﴾[الأنفال: 32] ،اعتراضًا على صحة ما أخبرهم به مما هو كائن لا محالة »[1] . فالمقصود بالإحالة هنا هو:"الدعاء، والإقرار، والنذر والإنكار والخوف والاعتراض والإخبار، والنقض"، وإن كانت الإحالة هنا جاءت بصيغة المصدر فقد وردت في موضع آخر بصيغة الفعل ،وهو معنى أقرب إلى مفهوم الإحالة في الدراسات اللّغوية ،حيث يحيلُ لفظ في الخطاب إلى لفظ آخر أو جزء من الخطاب ، ويبرر هذا المعنى في مدونة الاعتصام أثناء تفسيرهِ لقوله تعالى:﴿ولا يزالونَ مختلفين إلاّ من رَحِمَ ربُّكَ﴾[هود: 119.118] « والذي أُحِيلَ عليه هنا هو قوله تعالى في سورة هود ،وهذه غربةٌ أيضا ظاهرة وإنّما كان هذا جهلاً منهم بمواقع الحكمة ، وأن ما جاءهُم به نبيهم (ص) هو الحق ضد ما هم عليه ، فمن جهِلَ شيئًا عاداهُ ، فلو علموا لحصلَ الوفاق ، ولم يُسمع الخلاف ، ولكن سابق القدر حتَّمَ على الخلق ما هم عليه »[2].

---

(1)-(2)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام ،ج1-2، ص19.17.(مصدر سبق ذكرهُ)

ففي هذا الموضع، يستعمل الإمام الشاطبي لفظ أُحِيلَ، وأحالَ المراد به الانتقال من جزء النص إلى جزء آخر، بناءًا على علاقة قائمة بين الجزأين وهذا ذاته معنى الإحالة في علم اللّغة التواصلي.

و هذا ليس الموضع الوحيد الّذي يُبرز فيه مفهوم الإحالة عند الإمام الشاطبي، وإنّما تنتشرُ عبارات عدة في أجزاء مدونة الاعتصام تدل على مفهوم الإحالة ومنها: (الإشارة إلى..) ،(الآثار الدالة على..)،(وتارة نسبت إلى ..)،(وقد نقل عن..) ،(والمخاطب بقوله..هم..) ،(وفي كذا..قال لي..) ،(و حكى ..أن..) ..الخ ، فهذه العبارات وغيرها يحيلُ بها الإمام الشاطبي إلى ألفاظ و أجزاء أخرى من الخطاب ، ولم يقتصر استعمالهُ على الكنائيات فقط وهي الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات ، وإنما تجاوزها إلى أنواع أخرى من المعارف كالتعريف ب"أل" وبالعلم .

ولم يغفل الإمام الشاطبي دور المخاطب /المتلقي في تفسير الإحالة و إعادة العنصر المحيل إلى العنصر الإشاري ، ويظهرُ ذلك من خلال عبارات مثل : (وذلك أن أصل..الترغيب في..) ،(وفي حديث ..فإياكم..) ،(وكذلك ..وما أشبه ..)،(فأما ..إن قيل..) ،(ومن جهة تصور ..فلابد..) ،(وإلى هذا المعنى أشار ..أما بعد :فإني ..) ،وغيره من العبارات ، فقد حاول الإمام الشاطبي من خلالها أن يفسر الإحالات الواردة في مسألة البدع والابتداع والضلالات متبوعة بنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة ، وكذا أحاديث الصحابة –رضي الله عنهم– ، وفق لمن يوجه إليه الخطاب فلِلْمُتلَقِي دورٌ كبير في تفسير الإحالة ، فأيُ عبارة لا تكون عبارة إحالية ، إلا إذا كان المخاطب قادرًا على التعرف على ما تحيلُ عليه ، أي إذا كانت المعلومات الّتي تحملها عبارات ما قادرة أن تجعل المخاطب يهتدي إلى المُحَال إليه المقصود.

وممّا سبق، يكون الإمام الشاطبي قد تعرضَ لعناصر الإحالة جميعها، فنجدهُ يتحدث عن العنصر المحيل الّذي قد يكون ضميرًا، أو اسم إشارة، أو اسماً موصولاً، أو اسم علم..الخ كما تعرض للعنصر الإشاري الّذي قد يكونُ لفظًا مُفردًا أو خِطابًا تامًا ، بالإضافة إلى المتكلم أو صاحب المدونة وهو صاحب البدعة الخارج عن طريق الصراط المستقيم ، ثم المخاطبين بهذه المدونة الّذين يختلفون باختلاف التجربة والخبرة المسبقة في أمور الدين

والدنيا ، وكذا عدم التفقُّه بأصول الشريعة والعِنادُ فيه ، وإعطائهم منزلة تُضاهي منزلة الشارع وإتباعهم للهوى والشهوات والضلالات ، ثم لا يغفل الإمام الشاطبي تبرير ردهِ لفظًا إلى آخر أو إلى خطاب، وهو ما يُعرف في الدراسات النصية بالعلاقة المعنوية بين المحيل والمحال إليه ، ولتوضيح عناصر الإحالة من خلال ما أوردهُ الإمام الشاطبي نلاحظُ تفسيرهُ لقوله تعالى :﴿إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنَّاهُ للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون﴾ [البقرة: 159] ، إذْ اعتبر اسم الإشارة متوجه إلى الكفار الذي أجرى عليهم من الصفات ما تقدمَ فكانوا فريقين ، وأصل الإشارة أن تعود إلى ذات معينة إلا أن «الّذي اشترك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين ، وذلك مضادة الشارع فيما شرع ؛ لأن الله تعالى أنزل الكتاب وشرع الشرائع ، وبيّن الطريق للسالكين على غاية ما يمكنُ من البيان ، فضادّها الكافرُ بأن جحدهَا جحدًا ، وضادها كاتمها بنفس الكتمان ، لأن الشارع يبيِّنُ ويظهر ، وهذا يكتم ويخفي ، وضادها المبتدعُ بأن وضع الوسيلة لترك ما بيَّنَ وإخفاء ما أظهر ، لأن من شأنهِ أن يدخل الإشكال في الواضحات ، من أجل إتباع المتشابهات لأن الواضحات تهدمُ لهُ ما بنى عليه في المتشابهات ، فهو آخذٌ في إدخال الإشكال على الواضح حتّى يرتكبَ ما جاءت اللعنة في الابتداع به من الله والملائكة و النّاس أجمعين»[1] .

فيبدو من كلام الإمام الشاطبي أنهُ يُراعِي في تفسيرهِ لإحالة اسم الإشارة دور المتكلم والمخاطب وكذا العلاقة الّتي تربطُ عُنصري الإحالة (المشار والمشار إليه)، وهي علاقة لغوية تستنِدُ إلى كلام العرب أي إلى قواعد اللّغة العربيّة.

إذْ يبرزُ المشار إليه عن طريق ذكر مجموعة من الصفات ، ويقوم اسم الإشارة باستحضار ذلك المشار إليه عن طريق صفاتهِ فيصبحُ و كأنهُ حاضر للمتلقي وحرِيًا عليه اتخاذ الحكم الصادر بعد اسم الإشارة ، فتكون الإحالة بهذا المنظور كالآتي :

(1)- أبي إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1-2، ص81.(مصدر سبق ذكرهُ)

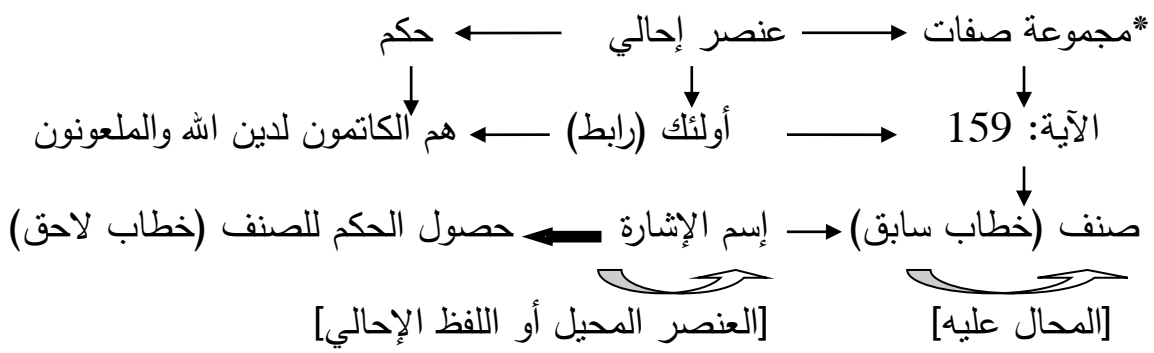

فيبدُو مما سبق أن الإحالة تمت داخل النص فهي نصية و المشار إليه سبقَ اسم الإشارة لذلك تعتبر إحالة قبلية ، وفي حديث الإمام الشاطبي عن صفات الكفار الكاتمين لدين الله و الملعونين من قبله ، قبل إسم الإشارة للحكم الصادر عنه ، إشارة إلى دور الإحالة باسم الإشارة في ربط الكلام السابق باللاّحق لا غير.

***خاتمة الدراسة:** إذن، فقد تنوعت الأفعال اللُّغوية في الخطاب الديني ، بتنوُع السياقات الدينيّة والاجتماعية، فاللّغة بالنسبة لأوستن "Austin" ،عبارة عن نشاط وعمل يُنْجَزُ، أي أن المتكلم لا يخبرُ ويبلغ فحسب ؛ بل إنهُ يفعلُ ويعملُ معًا ، كما ويقومُ بنشاطٍ مُدعم بنِيّة وقصد، ويريدُ المتكلم تحقِيقهُ من إجراء تلفُظهِ بقولٍ من الأقوال اللّغوية ، فاللُّغة ليست مجرد بُنى ودلالة فقط ؛ وإنّما هي أيضًا فعلٌ كلاّمي ينجزهُ المتكلم ليُؤدي به أغراضًا ذات سياقات معينة .

وعلى هذا الأساس، تعدُ هاتهِ الأفعال الكلاميّة المختلفة والمستخدمة ، ضمن إطار الخطاب الديني أساليبًا مساهمة في تأدية اللّغة لمهامها التواصلية ، وكذا التفاعلية ، وهناك أيضا أنواعٌ أخرى تستخدمُ فيه كالتوكيد والحسرة و العفو وغيرها ، وهذا التنوُع في استعمال الأفعال الإنجازية من شأنهِ أن يجعلَ الخطاب الديني خِطابًا وظيفيًا (دعَوِيًّا)، تواصُلِيًا اتصاليًا ، إقناعِيًا، تفاعُليًا ، استماليًا .

وهذا ما لمسناه أثناء تحليلنا لمدونة الدراسة كونها أصولية بحتة و مستمدة من نظرية المعرفة، بالاستدلال على أطروحة "البدع و الضلالات " ، ولأن الإمام الشاطبي (ت 790هـ) لما كان أصُوليًا كان يعِي آثار صنوف الكلام، الّتي يُجرِيها بِكُلِ اطراد ومعنى ومع كيفية استخدام اللّغة ودراستها ضمن الواقع المعيش .

الخاتمة

إن هدفنا من هذا البحث هو فحص جُملة من الفرضيات، ومُحاولة الإجابة على الإشكالات الّتي تطرحُها لُغة الخطاب الدينيّ عند الشاطبي؛ ولأجل تحقيق ذلك، اخترنا المقاربة اللسانية التداولية نظرًا لِمَا تتميَّزُ به من أُطُرٍ مفاهيمية وأدوات اختبار وفحص إجرائي، يتيحُ لنا الكشف عن آليات اشتغال الخطاب الدينيّ على المستويين اللُّغوي والخطابي وكذا الحجاجي ، فقد مكنتنا هذه المُقاربة من الوقوف على درجة تأثير السياق المقامي الخارجي ، واللُّغوي التواصلي الداخلي على مستويات التلفُظ الدينيّ و تعَالُقِهِ ،وكيف يتجاوزُ النص الشاطبي السياق المقامي للتفاعُل المُزدوج في الخطاب الدينيّ إلى مشهدة ترجيح المعاني في النصوص المرتبطة بمقاصد المتكلم المُحِيلْ إليها ، وهي من سبيل الأداء التداوُلِي،الّذي يُساهِمُ في عملية التواصل اللُّغوي في ثنايا مُدونة الاعتصام ، ولفهم النصوص وربط المنهج بالجانب الأصولي ، كما أنّها مُحاولة جادّة لكيفية من كيفيات دراسة التُراث الإسلامي،أي نتحدثُ عن تداوُلية عربية وظيفية بحتة وليس غربية لارتباطها بمنهج الأصول وسياق التخاطُب والأداء الكلاّمي .

كما دلّنَا توظيف مفهوم المستويات اللُّغوية على وجود مستويين تلفُظيين آخرين ، طرف أحدهما التواصل بين المتكلمين ومعرفة مقاصدهم مع كيفية إيصال الرسالة اللُّغوية لجمهور المتخاطبين ، والقارئ العام مُخاطباً وشريكًا في التلفُظ في جُل مدونّة الاعتصام ، ومن هنا جاء تساؤلنا حول ضرورة إعادة النظر في تصنيف لُغة الخطاب الدينيّ بالنسبة لمُدوّنة الدراسة .

وقد وقف بنا جُهدنا عند أعمال الإمام الشاطبي (ت 790هـ)، إذ ألفينا عندهُ بُغيتنا ووجدنا عندهُ مُقترحًا لحلِ الاختلاف، وهو المُقترح التداوُلِي؛ لذلك تيسَّرَ لنا مُقاربة لُغة خطاب الإمام الشاطبي –رحمهُ الله– الحجاجية "مُقاربة لسانية تداولية" ، ولم يكُن توظيف المقاربة إلاّ توَاؤُمًا مع طبيعة ذلك الخطاب، ومع طبيعة ما يدعُو إليه الشاطبي من إعمال أبعاد المجال التداوُلِي والتأويلي ، وبصورة وجيزة، فقد خَلُصَ البحث إلى النتائج والتوصيات المُتعلقة بالخطاب الدينيّ عامة ومنها :

1-أن لُغة الخطاب تمِيلُ نحو البساطة وعدم التعقيد، فقد اعتمدَ هذا الخطابُ على مفردات وتراكيب مألوفة كثيرة الاستعمال في الواقع اليومي ، ممّا يُحقِقُ تواصُلاً مع المتلقي دون وجود أية صعُوبة في فهمها ، فهي أقربُ إلى مستوى المتلقي .

2-أن لُغة الخطاب في طرح قضايا الموضوع تتَسِمُ بالدِّقة والتسلسل في الأفكار من المقدمة إلى الخاتمة، مع وضُوح العرض وترابُط التراكيب اللُّغوية.

3-التوسُع في الحديث عن ضرورة تجديد الخطاب الدينيّ ،خاصة في النصوص وفي مضمون الخطاب وشكلِ عرضهِ مع بقاءِ حقَّ الاحترام كاملاً لاجتهادات العلماء السابقين .

4-أنهُ ليس هناك من خطاب أو منهج بريء، فكلُ خطاب هو نسيجٌ من الأهواء والتقاليد والانفعالات والمؤثرات، واللون الثقافي والحضاري، ويستوي في ذلك النص الدينيّ والبشري فكِلاَهُمَا غير بريء.

5- البحث عن دور الرُؤية الخِطابيّة في الربط بين التصوُّرَات والمفاهيم ، وكيفية التعبير عنها :"دراسة في الأفعال الكلاميّة الإنجازية " بصفةٍ عامة ، وكذا في انعكاسات طبيعة الخطاب ، وأنماطهِ على نظرية التواصُل اللساني اللُّغوي –دراسة مُقارنة – بصفةٍ خاصة .

6- إنّ الخطاب الدينيّ في مُدونة الاعتصام بُنِيَّ على لُغَةٍ تواصُلِيَّة تداوُلِيَّة ، فكانت هناك مُسَوِّغَات عدة تقتضي الطريقة المُثلى باختيارهم الآليات اللُّغوية الّتي تتضمنُ فن التخلُق في التخاطُب ، وساهم ذلك في إقناع المتلقي لأنهُ يخلقُ قناة تواصُل بين الطرفين لأنّ الاستعمال اللُّغوي ليس إبراز منطُوق لُغوِي فحسب ؛ بل هو إنجاز حدث اجتماعي مُعين أيضا في الوقت ذاته .

7- أن الإمام الشاطبي كان حريصاً بشدة على إحياء السُّنة وإماتة البدعة، ولما كان المجتمع الغرناطي قد فشت فيه بدع منكرة، فقد تصدى –رحمه الله –لمقاومتها، ممّا جعله من المشهورين في المجتمع الغرناطي بمقاومة البدع وأهلها، من أجل ذلك؛ كان تحرير مسائل البدع والابتداع من أهم ما ينفع المسلمين في أمر دينهم ودنياهم، ويكون أعظم عون للدعاة والمصلحين في هداية الخلق بإذن الله ،فمدونة الاعتصام تحتوي على زخَمٍ تدافُعِي من الكليات؛ نظرا لاختلاف طبيعتها المعرفية ووظيفتها المنهجية الّتي لزمت عنها لتأدية وظائفَ

في العلم تجديدًا وتكميلاً، تصنيفًا وترتيباً، كما وُفِقَ إلى حدٍ –لا يُستهان به– في بثّ ذخائر نفيسة من أنواعها وفق منظومة التصور الكلي في الإصلاح ، والإشادة بمبدأ التكامل المعرفي ،الّذي يستدعي تذويب الجزئيات الخِلافية وإعادة تصنيفها ، لتقوم على سنن أمهاتها من الكليات في إثمار معرفةٍ متوازنة ؛ تلوحُ فيها أهم المقاصد العليا للشريعة الإسلامية السمحة في تجلياتها الحضارية وتُضْفِي عليها مسحةً من سراج جمالها .

8–يبقى الخطاب الدّيني مُمَيَّزًا عن باقي الخطابات الأخرى ؛ ذلك أنّ به بداهات تشتغل لإنتاج الحقيقة والمعنى تتمثلُ في القول بأولوية الذات ، ومنطق الهوية ، ومثالية المدلولات وجوهرية المعاني ، وتواطؤ المفهومات وحقيقة التصوّرات ، وذاتية الحدود، وشفافية العلامات إذ يشكِّل الخطاب الدّيني المرتبط بخلفيات عقَدِيَة جزءا مهما من تراثنا اللُّغوي والأدبي .

9–بروز أهميّة التواصل مع غيرنا من بني البشر ، والأهم في عمليّة التّواصل هو ضمان حسن سير العمليّة التّواصليّة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا فقد طرفا التّخاطب فنّ التّعامل الأخلاقي لما له من أهميّة بالغة في تحقيق انسجام الفرد مع مجتمعه ؛ ولذلك يجب على الإنسان أن يستخدم الأساليب التأديبيّة في خطابه ، وأن يعامل غيره بلين وأدب ، حتّى يستطيع كسب قلوبهم ، والتّأثير فيهم ، وبذلك يتحقق الهدف من الخطاب ، والّذي هو باختصار جعل الآخر يتفاعل مع الذات .

10–الحجاج فعل مقصود لإحداث الإقناع الّذي يعدُّ مقوما أساسيا من مقومات الخطاب الدّيني، ويهدف إلى غرس الفضيلة والأخلاق العالية والمبادئ السّامية، مع الكشف عن أهمية الوصول إلى مقاصد منتج الخطاب ، وكذا توضيح الأبعاد التداوليّة للأفعال الكلاميّة الّتي تضمنتها المدونّة ، والّتي تناولت جوانب عدة من الحياة ؛ بخاصة فيما يتعلق ب :" الآداب والقيم والأخلاق".

- ولا يغربُ عن البال، أن هذه النتائج ما هي إلاّ بعض ممّا يلفتُ النظر من موضوعات قادنا إليها العمل في أعمال الإمام الشاطبي لا غير.

قائمة المصادر و المراجع

*قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية (حفص عن عاصم)

أولا/ المصادر والمراجع:

1- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص – دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1997.

2- ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3.دس.

3- ابن قيم الجوزية : تهذيب مدارج السالكين ، هذبه : عبد المنعم بن صالح العلي العزي ، ط1، دار ابن الجوزي ، مصر – القاهرة ، 2010م-1431هـ.

4- ابن منظور: لسان العرب ، تح : هاشم محمد الشاذلي وآخرون ، دار المعارف ، ط1، النيل –القاهرة ،1411ﻫ-1981م، 2/.مادة (خطب).

5- أبو الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي : المدهش : ض، و تص ، و تع :د.مروان قبّاني ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت –لبنان ، 1426ﻫ-2005م.

6- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971.

7- أبي القاسم جَارَ الله بن أحمد الزّمخشري: أساس البلاّغة ، تح:محمّد باسل عُيون السُّود ، ج1،دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان 1419ﻫ-1998م،.مادة (بدَعَ).

8- أبي بكر محمد بن علي السكاكي : مفتاحُ العلوم ، ض و تع : نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت –

9- أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقديم، طه جابر العلواني، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط4، 1995م).

10- أحمد عرفات القاضي (رئيس قسم الفلسفة الإسلامية)، بحث حول مساق الفكر الإسلامي الحديث و المعاصر ، كلية دار العلوم ،جامعة الفيوم.

11- أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة.

12- أشرف أبو عطايا ، يحي عبد الهادي أبو زينة : تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة " ،المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة :2-3/4/2007.

13- الإمام أبي إسحاق بن محمّد اللّخمي الشاطبي : الاعتصام ، ض و تص : أحمد عبد الشافي ، ج1، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت –لبنان،1408ھ-1988م،.مادة (بدَعَ).

14- الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1-2،وضع حواشيه : محمد باسل عيون السود ،دط، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ، 1971.

15- السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي : الإسلام في عالم متغيّر (بحوث إسلامية قيّمة) ، نقل : علي عثمان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دط،بيروت –لبنان ، 1400ھ-1980م.

16- الشّريف الجرجاني: كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، طبعة جديدة ، بيروت –لبنان ، 1985ھ .

17- الطاهر بومربز: التواصل اللساني والشّعريّة (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكسون) ، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت-لبنان ، 1428-2007.

18- آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، تر: محمد الشيباني ، مرا:لطيف زيتوني ، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت –لبنان ، 2003.

19- أيمن صالح : القرائِن و النَّص (دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص)، المعهد العامي للفكر الإسلامي ،ط1،هرندن-فرجينيا-الو. م .أ،1431ھ-2010م.

20- بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 2،ط3،دار التراث ، القاهرة –مصر ، 1404هـ-1984م.

21- بول ريكور : من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل) ، تر: محمد برادة وحسان بورقية ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2001.

22- جميل حمداوي :التواصل اللساني و السيميائي و التربوي ، شبكة الألوكة ، ط1، دب،2015.

23- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون طبعة، 1998.

24- جواد ختام: التداولية (أصولها و اتجاهاتها) ، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، عمان –الأردن 1437-2016.

25- جوليا كريستيفا : علم النص ، تر: فريد الزاهي ،ومر: ع.الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، ط2، الدار البيضاء –المغرب ، .1997

26- حمادي العبيدي : الشاطبي و مقاصد الشريعة ، ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت –لبنان 1412هـ-1992م.

27- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.

28- خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات ، ط2،دار القصبة للنشر والتوزيع ، حيدرة –الجزائر ، .2006

29- دان سبيربر / ديردري ولسون: نظريّة الصِّلة أو المناسبة في التواصل و الإدراك ، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، بيروت –لبنان ، دس.

30- رازق سرياني : الخطاب الديني وتحديات العصر ،محاضرة ألقيت بتاريخ 2009/3/2، مكتبة الإسكندرية المؤتمر 6 للإصلاح العربي .

31- رائد جميل عكاشة : المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ،بحث بعنوان : اللغة في الخطاب الثقافي.

32- رضوان القضماني و أسامة العكش : نظريّة التّواصل (المفهوم و المصطلح)،مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ، المجلد (29)، العدد 1، 2007./6/12

33- روبرت دي بوجراند : النّص و الخطاب والإجراء : تر: د.تمّام حسان ، عالم الكتب ، ط1، القاهرة – مصر 1998م-1418هـ .

34- ريهام عاطف : الخطاب الديني و الحاجة إلى التجديد ، مجلة البيّان (دورية ثقافية)، العدد ،12 يناير 2015م،الإثنين 21 ربيع الأول 1436هـ.

35- سعيد بن ناصر الغامدي : حقيقةُ البدعة و أحكامها ،ج1، مكتبة الرُشد للنشر و التوزيع ، ط3، الرياض –السعودية ، 1419هـ-1999م.

36- سمير شريف استيتية : اللسانيات (المجال ،والوظيفة ،والمنهج) ، ط2،عالم الكتب الحديث ، اربد-الأردن 1429 -.2008

37- شكري عزيز ماضي، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط1، 1997.

38- صالح بلعيد : دروس في اللّسانيات التطبيقيّة ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،ط5،الجزائر- بوزريعة .2009

39- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، إشراف : أحمد مشاري العدواني ، سلسلة عالم المعرفة ، دط، الكويت ،.1992

40- عبد الجليل أبو المجد ،عبد العالي حارث : تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة ، إفريقيا الشرق ، دط،الدار البيضاء –المغرب،2011.

41- عبد الحميد العلمي: منهجُ الدرس الدّلالي عند الإمام الشاطبي (ت790هـ)، تح : د.عبد الكبير العلوي المدغري ،د ط ،المملكة المغربية ،-مراكش ، 1422هـ-2001م.

42- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللّغة و أنواعها ، شر و ض و تص وعن وتع:محمد أبو الفضل إبراهيم و آخرون ، ج 1، د ط ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، .1986

43- عبد السلام حمود غالب :مقال بحثي بعنوان الوسطية في الخطاب الديني و أثره على المجتمع ،2013م،1434هـ.

44- عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربّي ، ط1، مكتبة الخانجي ، مصر –القاهرة 1421-2001.

45- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981.

46- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1985.

47- عبد الهادي بن ظافر الشهري (استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداواية)، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت-لبنان،2004.

48- عبده عبد العزيز قلقيلة : البلاّغة الاصطلاحية ، ط3، دار الفكر العربي ، مصر- القاهرة ، 1412-.1992

49- عرابي أحمد: أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ط1، دد، مصر، 2010.

50- علاء الدين عبد الفتاح عبد الحميد علي أبو العز:بحث بعنوان:متطلبات الخطاب الإسلامي لمواجهة الفكر الغربي جامعة النيلين –السودان، ديسمبر، 2014.

51- عماد علي عبد السميع حسين: تجديد الخطاب الديني (بما يتناسب مع رُوح العصر ، ضرورة دعوية في ضوء المستجدات و المتغيّرات المعاصرة)، دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت –لبنان ، 1425ﻫ-2004ﻡ.

52- فرانسواز أرمينكُو : المقاربة التداولية : تر: سعيد علوش ، دط، مركز الإنماء القومي ، الرباط –المغرب،1986.

53- كمال عبد اللطيف، نصر محمد عارف: إشكاليات الخطاب العربي المعاصر، دار الفكر، ط1، دمشق-سوريا 1422هـ-2001م.

54- مالوري ناي : الدين الأسس : تر: هند عبد الستار ،مر: جبور سمعان ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، ط 1، بيروت –لبنان ،2009.

55- ماهر أحمد راتب السوسي : مفهوم الخطاب الديني و سماته ، محاضرة ألقيت في قرية الفنون و الحِرف ، جمعية القدس للبحوث و الدراسات الإسلامية ، مايو 2010.

56- مجدي بن عيسى: اللسان وعلومه (في مقدمة ابن خلدون)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت–لبنان، 1436-2015.

57- محمد التونجي: المعجَم المفصّل في الأدب ، ج1، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت–لبنان ،1419ه–1999م.

58- محمد جواد لاريجاني : التدّين والحداثة : تر:علاء رضائي ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط1بيروت –لبنان ، 1421ه–2001م.

59- محمد خطابي : لسانيّات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت –لبنان ، 1991.

60- محمد سعيد حوى : التأصيل لمفهوم البدعة و أثرهُ في توحيد الأمة ، جامعة مُؤتة /كلية الشريعة –قسم أصول الدين ، دط، دب،1431ه–2010م.

61- محمد صالح المنجَد : بدعة إعادة فهم النص : تق: د.صالح بن فوزان الفوزان ، مجموعة زاد للنشر ط1، جدّة –المملكة العربيّة السعودية ،1431ه–2010م.

62- محمد عابد الجابري : الخطاب العربي المعاصر "دراسة تحليلية نقدية " ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ط5، بيروت–لبنان ، مارس 1994م.

63- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظُم المعرفة في الثقافة العربية)، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، 2009.

64- محمد عبد الشّافي القُوصِي : عبقرية اللّغة العربية ، دط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –ايسيسكو-، 1437هـ-2016م.

65- محمَّد علي التَهَانَوِي : موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، تق واشر و مر: د. رفيق العجَم ، تح : د.علي دحدوح ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، بيروت – لبنان ، 1996م، 1/ ،مادة (دان).

66- محمد محمد يونس علي : مقدمة في علمي الدلالة والتخاطُب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت –لبنان ، 2004.

67- محمد مشبال : بلاّغة الخطاب الديني (أعمال مهداة للدكتور محمد الولي)، ط 1، دار الأمان،الرباط –المغرب ، 1436-2015.

68- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986.

69- محمد منير حجاب: تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر ، دار الفجر للنشر و التوزيع ، ط1،القاهرة – مصر ، 2004.

70- محمود أحمد محمّد الرجبي : اتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية الإخبارية (تحليل مضمون موقع "البوصلة" الإخباري)،رسالة ماجستير ،،إش :حلمي ساري ،كلية الإعلام ،جامعة الشرق الأوسط ،.2012

71- محمود حامد عثمان : القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليّين ، محمود حامد عثمان : دار الزّاحِم للنشر و التوزيع ، ط 1، الرياض – السعودية ، 1423هـ-2002م.

72- محمود عكاشة : النّظريّة البراجماتيّة اللّسانية (التداولية)–دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ – ، ط1، مكتبة الآداب علي حسن ، القاهرة –مصر ، 2013.

73- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي)، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت –لبنان، 2005.

74- ميشيل فوكو: نظام الخطاب ، تر: محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر و التوزيع ، ط3، بيروت–لبنان، 2012.

75- ناصر بن عبد الله القفاري و آخرون: الموجز في الأديان و المذاهب المعاصرة ، دار الصميعي للنشر و التوزيع ، ط1، الرياض ، 1413هـ-1992م.

76- نايف خرما : أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، العدد9 ، سبتمبر 1978.

77- نصيرة محمد غماري : النظرية التداولية عند الأصوليين (دراسة في تفسير الرازي ت544-606هـ)، د ط،عالم الكتب الحديث ، اربد-الأردن ، 2014.

78- هيام كريدية : أضواء على الألسنية ، مكتبة نرجس ، ط1،بيروت-لبنان ، 2008م-1429هـ.

79- يحي محمد: مدخل إلى فهم الإسلام (الفكر الإسلامي:نظمهُ.....أدواته.....أصوله)، مؤسسة الانتشار العربي ط 1، بيروت -لندن ،1999م.

80- يحي محمد: منطق فهم النص (دراسة منطقية تُعنى ببحث آليات فهم النص الدّيني وقبلياته)، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء -المغرب، 2010م.

81- يوسف أحمد محمد البدوي: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، دار النفائس للنشر والتوزيع, الأردن, ط1, 2000م.

82- يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ، ط1، القاهرة -مدينة نصر ، 1424هـ-2004م.

83- يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997.

84- أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري : أسّاس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السّود ، دار الكتب العلمية ط1، بيروت -لبنان ، 1419هـ-1998م، 1/ مادة (دانَ).

85-أبو الفتح عثمان إبن جني : الخصائص ، تح: محمد علي النجار ،ج 1،دار الكتب المصرية ،المكتبة العلمية ، دط ، دب، 1371هـ-1925م .

86-أبي إسحاق بن محمد الشاطبي : الموافقات ، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد ، ض و تق و تع و تخ : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، المجلد الثالث ، ط1، دار ابن عفان للنشر و التوزيع ، الخُبَرْ، العقربية -السعودية ، 1417هـ-1997م.

87-الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، تروتح: د. عبد الحميد هنداوي, ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م), 4.3/, مادة (نصَصَ).

88-بهجت عبد الرزاق الحباشنة : الدين مفهومه و حقيقته في ضوء القرآن والسنة ، دورية متخصصة صادرة عن المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية و الإدارية)، عمان –الأردن ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، 1425هـ-2004م.

89-منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط1،1990، ص208. عن رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي.عدد(3) بيروت، 1988.

90-نعمان بوقرة : المدارس اللسانية المعاصرة ، د ط ، مكتبة الآداب ، القاهرة –مصر ، 2003.

ثانيا/ المراجع باللغة الأجنبية:

1-Ferdinand de Saussure : cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert séchehaye, Grande Bibliothèque Payot, page, Paris, 1997.

2- /Jean Dubois :"outré" ,Larousse :Grand Dictionnaire "Linguistique :seiences du langage" ,E'ditions :larousse 2007 pour la présente édition , la premiére édition ,Paris ,1994.

3-Roman Jakobson, Essais de linguistique générale(1960), dans Bougnoux, D., Sciences de l'Information et de la Communication. Larousse, Paris, 1993.

4-Webster's Third New Intemational Dictionary of the English Language unbraided Merriam-Webster INC. Publishers Spring field Massachusetts USA.

ثالثا/ الشابكة:

1-عزيز عبد الواحد : مقال بعنوان : نحو خطاب ديني معاصر /القسم 1 ،24جانفي 2010، 7صفر 1431هـ، مالمو –السويد www . TAWASOL . SE . COM//:HTTP

2-HTTP:// . WWW. alukah.net/ sharia/0/ 57153#ixzz48GKDENCB.COM.

الفهرس

*فهرس الموضوعات

-مقدمة :.....(أ- ي)

*الفصل التمهيدي: الإطار النظري للموضوع (مفاهيم المصطلحات الأساسية للموضوع)

أولا: مفهوم اللُّغة (وسيلة تعبير وتواصل).....10-15

ثانيا: مفهوم الخطاب والنص (الدلالة اللُّغوية والاصطلاحية للخطاب).....16-21

ثالثا: مفهوم البدعة في اللُّغة والاصطلاح 22-26

رابعا: مفهوم القصد و المقصدية 27-28

خامسا: المقصدية لدى الإمام الشاطبي 28-33

5-أ/آلياتها النظرية (التعليل والمصلحة).....28-29

5-ب/أنواعها (الضرورية و الحاجية والتحسينية) 29-33

سادسا:الدلالة العامة والخاصة لدى الإمام الشاطبي ومنهجهَ الأصولي.....34-41

1-سياقُ الخطاب وآلياته.....34-36

أ/الآلية الحسية 35

ب/الآلية العقلية 35

ج/الآلية اللُّغوية ومقصدية الخطاب 35

د/العُرف القولي 36

2-منهجهَ الأصولي.....37-41

*الفصل الأول:لُغة الخطاب الدّيني "الأسُس والمنطلقات والمفاهيم "

*توطئة:.....44-45

أولاً/وظائف جاكبسون السِت ودورُها في فهم طبيعة الخطاب عامةً والخطاب الديني خاصةً.....46-56

*اللّغة بين الوظيفة والتبليغ والشعرية.....46-47

*علاقة الوظائف اللسانية بالملفوظات الخِطابية 48-49
1-1/دور وظائف جاكبسون في فهم طبيعة الخطاب 49-54
1-2/طبيعة الخطاب الديني في ضوء وظائف الخطاب لدى جاكبسون 54-56
ثانيا/دلالة مُصطلَحَيْ الخطاب الدّيني /النص الدّيني.....56-81
2-1/مفهوم الخطاب الدّيني 56-59
2-2/مفهوم النص الدّيني 60-75
2-1:مفهوم النص 60
أ/لُغة.....60-62
ب/اصطلاحًا.....62-75
2-2:مفهوم الدّين.....76-81
أ/في اللُّغة.....76
ب/في الاصطلاح.....77-81
ثالثا/البِدعةُ في فهم النص الدّيني وأقسامه.....82-88
رابعا/تأثير البدعة على الخطاب الدّيني 88-92
خامسا/معالم وخصائص التفكير الدّيني 92-96
سادسا/من أجل إستراتيجية خطاب ديني مُعَاصِر.....97-107
6-1/قراءة الخطاب الدّيني عند المتلقي 97-103
6-2/إستراتيجية الخطاب في بناء الخطاب الدّيني من جهة الخطيب 104-107
*الفصل الثاني :كتاب الاعتصام للشاطبي (ت790هـ) مواضيع ونماذج "دراسة لسانية تداولية"
*توطئة:.....110-111
أولا:ماهية كتاب الاعتصام.....112-115
1-1/لمحة موجزة حول التعريف بمنزلة الكتاب وفوائدِه.....112

1-2/منزلة مُصطلح الاعتصام.....113

1-3/الغرضُ من تأليف الشاطبي لكتابه الاعتصام.....114-115

ثانيا:الدراسة اللسانية والتداولية لنماذج من كتاب الاعتصام للشاطبي.....116-188

*تمهيد:.....116

2-1/فصل الدراسة اللسانية 117-158

*الجانب التواصلي لدى جاكبسون.....117-141

*الجانب اللُّغوي "مُستويات اللُّغة".....141-158

2-2/فصل الدراسة التداولية 159-188

*الأفعال الإنجازية في الخطاب الدّيني الدَعَوِي 159-167

*الأفعال الكلامية في لُغة الخطاب الدّيني.....167-182

*لُغة الشاطبي من الناحية الحِجاجية 183-188

أ- مفهوم الحِجاج "لُغة واصطلاحا".....183-184

ب-الإحالة لدى الإمام الشاطبي 185-188

-خاتمة الدراسة :.....189

-خاتمة:.....191-193

-قائمة المصادر والمراجع:.....195-203

-فهرس الموضوعات.....205-207

أسأل الله التوفيق والإخلاص والقبول، وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

ملاحظات

*<u>**الملخص باللّغة العربية**</u>: تتناولُ هذهِ الأطروحة بالبحث الطابع اللساني التداوُلِي للخطاب الدينيّ عند الشاطبي،الذّي يختزنُ –كما هو معروف– مُحتويات ومُكونات لُغويَّة تنتمي إلى أنماطٍ خِطابية مُختلفة ،ولاسيما الخطاب الحجاجي ، وهذا ما دفعنا إلى تبني المقاربة اللُّغوية الخِطابية التداوُلية لمُعالجة الإشكالية الّتي يطرحُها موضوع هذه الرسالة .

قمنا في البدء باستعراض الأسُس النظرية للمقاربة اللّغوية الخِطابية التداولية ، وأعقبناها بالكشف عن المفاهيم الإجرائية الّتي اعتمدناها لانجاز التحليل المفترض لمدونة الاعتصام وهو جوهرُ البحث ، ثم تطرقنا إلى الدراسة التواصلية وفق عناصر الخطاب الدينيّ الدَعَوِّي ، كما تجلّت لنا في مدونة الشاطبي ، مُتكئِين على المفاهيم النظرية الّتي سبق عرضها ، وقد تمثل ذلك في تحليل عددٍ من الأمثلة المقتطفة من مدونة الاعتصام ، توزعتها المستويات اللسانية الجميلة ، والنصيّة ، والخِطابيّة ، والتداولية .

*<u>**الكلمات المفتاحية**</u> :اللّغة ، اللسانيات ، الخطاب ، الدين ، النص ، المنهج ، البدعة ، الشاطبي ، التخصيص ، التواصل ، التداولية ، الحجاج ، الإحالة ، المقصدية ، الفعل الكلامي والانجازي .

*<u>**Résumé en arabe**</u>: Cette thése porte sur la recherche du caractére linguistique pragmatique du discours religieux d'al-Chatibi, qui stocke-comme on le sait –des contenus et des composants linguistiques appartenant à différents styles discursifs, en particulier le discours argumentatif.

Dans un premier temps , nous avons passé en revue les fondements théoriques de l'approche délibérative-discoure-linguistique ,et nous l'avons poursuivi en révélant les concepts procéduraux que nous avons adoptés pour accomplir l'analyse supposée du blog sit –in , qui est l'essence de la recherche .a été présenté précédemment ,et cela a été représenté dans l'analyse d'un certain nombre d'exemples extraits du blog du sit –in, répartis entre les beaux niveaux linguistiques , textuels, discursifs et délibératifs.

*<u>**Les Mots Clés**</u> : Langue, linguistique, discours, religion, texte, méthode, hérésie, Shatib, spécification, communication ,délibération ,arguments, renvoi, intentionnalité ,acte verbal et réalisation.